آية الله جوادي آملي

علي بن موسى الرضا (ع)

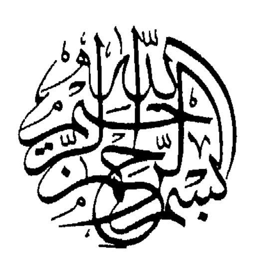
والقرآن الحكيم



بيروت - لبنان

علي بن موسى الرضا (ع)

والقرآن الحكيم



الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

دار الصفوة

بيروت ـ بئر العبد ـ الصوبرة ـ مقابل سنتر داعر ـ بناية دياب مهدي

ت: ٨٢٣٥١٨ـ ٨٢٢١٦٧ـ ٦٠١٠٠٢
فاكس: ٠٠٩٦١١٦٠١٠١٩
ص.ب: ٦٣ / ٢٤

Tel: 823518 - 822167 - 601002
Fax. 009611601019
P.o. Box: 36/24

مقدمة

الحمد لله الذى حمد في الكتاب نفسه وافتتح بالحمد كتابه وجعل الحمد آخر دعوى اهل جنته وصلى الله على من جعل لواء الحمد بيده وبعثه مقاما محمودا وعلى عترته الذين بهم يبين القرآن اذ عطفوا الهوى على الهدى حين عطف الناس الهدى على الهوى.واللعن على اعدائهم اجمعين من الآن الى يوم الدين.

وبعد: فيقول العبد المفتاق الى مولاه الجواد عبدالله الجوادى الطبرى الاملى: هذه وجيزة حول القرآن الحكيم من وجهة نظر مولينا ثامن الحجج على ابن موسى الرضا عليهما السلام رحبنا بالمشروع مهدفا استبانة مقامه السامى بها فى ضوء القرآن الكريم وان يبين معارفه الراقية ببيان القرآن الناطق، حيث ان مستقاهما واحد، كما و ان مسيرتها و منتها هما ومعيتها بالحق فارده فلن يفترقا ابدا ونهائيا. حررتها للموتمر العالمى الثانى المنعقد بمناسبة ذكرى ميلاده(ع) ١١ ذى القعده الحرام عام١٤٠٦ فى جوار روضته المغروسة بطوبى المعرفة التى «توتى اكلها كل حين باذن ربها». ونظمتها فى روضة وجنان:

اما الروضة:فلبيان مايتصل الى القرآن الكريم بالذات.

واما الجنان:فهى لبيان شرائط معرفة القرآن والموانع عنها وكذا بيان

المعارف المستفادة من القرآن، مقتصرا فى ذلك كله على ماصدر عن مولينا الرضا (ع) عدا مواضع خاصه. وقد حان الآن الغوص فى هذا البحر اللجى معتمدا عليه سبحانه وثقةً به تعالى ومساندا اليه ومسلما له راجيا ان يكون فيضه سبحانه قلبي الذى به اعقل ولسانى الذى به انطق وبصرى التى بها أَبْصُرُ وسمعى التى بها اسمع ويدى التى بها اكتب، نائباً فى ذلك كله عن بقية الله -ارواح من سواه فداه- مهديا ثواب هذه النيابة الى اهل بيت الوحى والعصمة(ع) الذين هم اولى بحسناتنا منا اذ بولايتهم إكتمل نصاب ديننا وتمت نعمة ربنا ورضى الله الاسلام لنا دينا فهولاء السادة القادة(ع) اولى بنا من انفسنا فضلا عن حسناتنا، لان الاحسن من الحسنة هو فاعلها حيث انها اثر منه والموثر افضل وجودا من الاثر، كما اوعزاليه اميرالمومنين(ع) بكلمته:

خير من الخير فاعله[1]

---

١ - نهج البلاغة، كلمات القصار.

الفصل الاوّل

روضة: فى العلوم التى تحوم حول القرآن نفسه

ان القرآن له وجود علمى و وجود عينى لم يفترقا قط ولن يفترقا بعد وكانا لدى الله سبحانه نورا واحدا صدرا من عنده تعالى، بان ارسل وجوده العينى وانزل معه وجوده العلمى لا «ليقوم النـــاس بالقسط»[1] فقط وليس الا، بل ليخرجوا «من الظلمات الى النور»[2] ذاتا و صفةً و فعلا.

فتحقيق المقال فى مقامين: احدهما حول القرآن العلمى والاخر حول القرآن العينى، فنقول:

المقام الاول: حول القرآن العلمى

ان القرآن كلام الله سبحانه وكتابه الذى تجلى لعباده فيه من غير ان يكونوا رأوه[3] وحبل الله المتصل به تعالى الذى امرالناس بالاعتصام به[4] فله طرفان احدهما بيدالله سبحانه والطرف الآخر بايدى الناس وله مراتب بعضها فوق بعض يتنزل من عال الى دان بالحق نزولا[5] ويترقى من دان الى عال

---

١ - الحديد /٢٥.

٢ - ابراهيم /٥.

٣ - نهج البلاغة.

٤ - واعتصموا بحبل الله جميعا - آل عمران /١٠٣.

٥ - بالحق انزلناه وبالحق نزل -بنى اسرائيل (الاسراء)/١٠٥.

كذلك صعودا كما قال سبحانه:

انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه فى ام الكتاب لعلىّ حكيم[١].

والمراتب الوسطى التى هى بين عالم الطبيعيه وكسوة اللفظ وبين عالم العقل والتجرد التام المعبر عنه بقوله تعالى =ام الكتاب=:

صحف مكرمة، مرفوعة مطهرة، بايدى سفرة، كرام بررة[٢].

وحيث انه من مبتدأ ظهوره وصدوره حتى منتهى نزوله وهبوطه مصاحب الحق ومحفوف به فطبيعى ان لا يتطرّقه الضلال من بين يديه و لامن خلفه ولايتسرب اليه البطلان من يمينه ولا شماله، كما قال قائله -سبحانه-:

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا. الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا. ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شئ عددا[٣].

اذاً فهو معصوم عن الجهل والخطا حدوثا ومصون عن الضلال والبطلان بقاءً، وهو الحق لاغير، وما ذا بعد الحق الا الضلال فالتقدم عليه كالتأخر عنه ضلالة والإنحراف عنه الى اليمين كالانحراف عنه الى الشمال مضلة،اذ الجادة هى الوسطى لا جانباها والصراط هو سبيل القصد لا حاشيتاها.

واليك بعض ماعن مولانا الرضا (ع) فى ذلك كمايلى:

قال الريان بن الصلت للرضا (ع):ماتقول فى القرآن؟ فقال (ع): كلام

١- الزخرف / ٤ - ٣.

٢- عبس /١٢ - ١٦.

٣- الجن / ٢٨ - ٢٦.

الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدی فی غیره فتضلوا[1].

یعنی الامام(ع): ان القرآن کلام الله وظهور فعله، فهو دون الذات المتکلم به وآیة له فلا یصح التجاوز عن حده الوجودی کما انه هدی للناس وبصائر من الله فلا یجوز التعدی عنه وطلب الهدی والبصیرة فی غیره، ولذا قال(ع) فی شانه:

هو حبل الله المتین وعروته الوثقی وطریقته المثلی المودی الی الجنة والمنجی من النار لایخلق علی الازمنة ولایغث علی الالسنة لانه لم یجعل لزمان دون زمان بل جعل دلیل البرهان والحجة علی کل انسان لایاتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه تنزیل من حکیم حمید[2].

فالقرآن حیّ لایطرئه الموت والبوار کماوانه حق لایقتربه البطلان، لانه المظهر التام لله سبحانه الذی هوحیاة لاموتة فیها وحق لایحوم حوله البطلان لانه تعالی لم ینزله لزمان دون زمان ولا لاناسٍ دون اناس فهو فی کل زمن جدید عند کل قوم، غضّ الی یوم القیمة[3].

والعامل الأساسی فی خلود حیاته عدا ماتقدّم من کونه مظهراً ومجلّی للحی الذی لایموت من ناحیة مبدئه الفاعلی، هوکونه موافقا لصمیم الفطرة الانسانیة و هادیا لها مزکیا ایاها من حیث مبدئه القابلی کماوان الفطرة طالبة ومسوقة ایاه مشتاقة له بلا تبدیل ولا تغییر، کما قال فاطرها تعالی:

.... فاقم وجهك للدین حنیفا فطرة الله التی فطرالناس علیها لا تبدیل لخلق الله ذلك الدین القیم[4]

---

۱ ـ مسند الامام الرضا(ع) ۳۰۷/۱، عن التوحید ۲۲۳ والامالی ۲۲۶.

۲ ـ مسند الامام الرضا(ع) ۳۰۹/۱، عن عیون الاخبار ۱۳۰/۲.

۳ـ مسند الامام الرضا(ع) ۳۰۹/۱، عن عیون الاخبار ۸۷/۲.

٤ـ الروم / ۳۰.

وحيث إنّ الرسالة العامة ضرورية لامحيص عنها، كماقال سبحانه:

ماكنا معذبين حتى نبعث رسولا [١].

وقال سبحانه:

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما [٢].

وقال تعالى:

انما انت منذر ولكل قوم هاد [٣].

وقال سبحانه:

ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولاارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى [٤].

وقال تعالى:

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة، رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة [٥].

الى غير ذلك من الآيات الدالة على ضرورة النبوة وتداومها، وان ذلك سنة الهية لا تجد لها تحويلا ولا تبديلا و انه ليس لشيء من الاستكبار والاستهزاء وقتل الانبياء واضطهادهم ونحو ذلك ان يمسك فيضه سبحانه ويمانع عن ارسال الرسل ويذر الناس على حالهم بلاحجة، كما قال سبحانه:

افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي

---

١ - الاسراء/١٥.

٢ - النساء/١٦٥.

٣ - الرعد/٧.

٤ - طه /١٣٤.

٥ - البينة/ ٣ - ١.

فى الاوّلين ومايأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن[1].

وقد ثبت بالنص القطعى انه لانبى بعد رسول الله (ص)، ولاكتاب بعد القرآن، وقد ارتحل الرسول العظيم (ص) بشخصه، حيث انه ميت ونحن ميتون وماجعل الله لبشر من قبله الخلد بل جعل كل نفس ذائقه الموت فلوجاز ـ والحال هذه ـ تطرّق البطلان الى القرآن وتسرب الضلال الى محتواه ونفوذ التحريف الى شىء من معارفه لزم انقراض النبوة من رأس، وانقطاع الرسالة من اصل، مع انها ضرورية التحقق دائما كما مرمسبقا. وهذا هوالبرهان العقلى على صيانة القرآن الكريم عن التحريف. ويمكن استنباطه ايضا من بيان مولينا الرضا (ع) فى كلمته:

... لانه لم يجعل لزمان دون زمان بل جعل دليل البرهان والحجة على كل انسان لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه...[2]

فلو امكن زواله بنفسه من ناحية فقدان المقتضى للبقاء بأن لايكون صالحا له ورافعا لمشاكل الحيوة الانسانية ومجيبا للشبهات العلمية وهاديا الى ماهوالمقصد الأسنى الا هى، او أمكن زواله من ناحية وجود المانع عن البقاء بالدس والتصحيف والتحريف ومااِلى ذلك لماكان حبلا متينا وعروة وثقى سيما افاده (ع) بل كان حبلا موهونا وعروة مفصومة لامتانة ولا وثاقة لها اما لسبب فى دخيلته هى فقد اقتضاء البقاء او لسبب خارج هو وجود المانع عن التخليد. كما و انه لوكان القرآن كذلك ـ اى لم يكن صالحا للبقاء الابدى، اما لفقد اقتضاء الخلود واما لوجود المانع عن التأبيد ـ لما كان نورا ظاهرا على

١- الزخرف /٥.

٢- فصلت /٤٢.

الأديان كلها ولو كره المشركون، بل كان نورا ضعيفا منطمساً بنفسه او مطموسا بعاصفة الشرك وزوبعة الكفر ولو كره المؤمنون والتلازم بيّن و بطلان التالى كامتناع المقدم واضح حسبما افاده الله المتكلم بهذا الكلام سبحانه حيث قال -عزمن قائل- فى غيرمورد:

يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون. هوالذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[1].

يعنى تعالى ان النور الإلهى الذى من اجلى مصاديقه القرآن الكريم كماقال سبحانه:

ياايهاالناس قد جائكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا[2].

ابدى البقاء ببقاء الله، وذلك لوجود اقتضاء الخلود لأن الله الذى انزله يتمه و يمده ويمسكه ويفيض عليه فيض وجوده ويسلب المنع عنه، لأن أفواه الشرك والنفاق والكفر و العناد غير قادرة على اطفائه نهائيا لابالقاء الشبهات واطّراح المتشابهات ولا بإتيان المثيل وايجاد النظير، لعجزهم عن كل ذلك بتاتا كماقال سبحانه:

قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذاالقرآن لاياتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً[3].

فاية شبهة او ايّ شبيه اطّرحها المشركون او اتى به كفرة الانس والجن

١ ـ التوبة /٣٣ ـ ٣٢.

٢ ـ النساء /١٧٤.

٣ ـ الاسراء /٨٨.

يلقفه القرآن الكريم ويحطمه ويبقى وحده لاشريك له وبما أن العلة التامة لبقائه متحققة فان بقائه يكون ضروريا وزواله ممتنعا، كما قال سبحانه:

..... وانه لكتاب عزيز لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد[١].

و حيث انه موجود ممكن وكل ممكن فهوصلة و ربط محض وفقر صرف الى قومه المستقل المحض الغنى - باكمل معنى كلمته - اذاً فلايكون خلوده بل شأن من شئونه ذاتيا بل تبعيا فيكون دوامه بادامة متكلمه المتجلى للناس فيه وبفائه بابقاء الله الذى انزله فلذا قال سبحانه:

إنا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون[٢]

اى يكون احتفاظه فى عالم الطبيعية بايدى الناس مسانداً اليه سبحانه لابالذات، كما و أنه محتفظ ايضا فى اللوح المحفوظ عن ايّ تغير طبيعى بحفظ الله الذى هوالحفيظ بالذات.

والسر فيه هو ان مقتضى التوحيد ان يكون وجود ايّ شىء وظهوره مساندا إلى الهوية البحتة المطلقة بمعنى كلمتها حتى عن قيد الاطلاق الذى يقابل التقييد، ولذلك قال مولينا الرضا(ع) فى جواب سؤال ابن الصلت عن رأيه فى القرآن: «كلام الله لا تتجاوزوه...» اى لا تتجاوزوا عن حدّه الوجودى ولا تعدوا عنه إذا الكلام قائم بمتكلمه باق ببقائه فالقرآن قائم بمتكلمه ودائم بدوامه لابذاته.

١- فصلت /٤٢ - ٤١.

٢- الحجر/٩.

تنبيه:

ان الذى اسلفناه لايثبت ازيد من ضرورة بقاء القرآن وخلوده واما ازدياد غضاضته ومزيد نضارتـه فى كل عصر وعند كل جيـل بالنشر والدراسة والمراس فهذا مما لا يدلل به مـاقدمناه. والذى يدل عليه هو ان رقّى العلم وحاجة الناس الى المعارف العمـيقة يوجب استعدادا خاصا راقـيا لاقتراح مسائل غضه لم تكن مسبوقـة فى الاعصار الـغابـرة، وبما أن السؤال بلسان الاسـتعـداد يلازم الجواب، ضرورة ان المبدء الجواد «دائم الفضل على البرية» كما افاد سبحانه

وآتاكم من كل ما سألتموه[1].

فـلابد و ان يكون القرآن الـذى هوالمرجع الفريد لـكافة الناس ابديا دون غيره من الكـتب كافلا لجمـيع مايحوج اليه الانسان من المسائل و المشاكل. ولما كانت الاسئـلة حادثـة كانت الاجوبة ـبطبيـعتهاـ جديدة ناضرة طريـة فالقرآن وان شبّـه فى بعض النصوص بالشـمس والقمر الا انه من الجانـب المبحوث عنه كـالعين النضـاخة والكـوثر الفوار الـذى ينبـع منه كل يـوم ماء طرى يظـهر بعد ابطانه فكمـا ان اصل نظام الكـون من السمـوات والارض كذلك بالـنسبة الـيه سبـحانه بمـعنى انه يسـئله كـل موجود فى كل لحظة و آونـه ويجيبه تعـالى بافاضة بعدافاضةٍ فى كل حين وقد جمع بين هذين الامرين اى السوال المستمر والجواب المواصل الدائم قوله تعالى:

يسئله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن[2].

---

١ ـ ابراهيم /٣٤.

٢ ـ الرحمن /٢٩.

هکذا ـ بالذات ـ المجتمع البشری فی ساحة القرآن الکریم، ای ان کل مدارسة وحوار فانها تواجه سؤالا جدیدا ویستوجب ـ بطبعته ـ جوابا طریا یانعا لم یعهدمن سابق فینبع ویشرمن کوثر القرآن مطلب غض غیرمستبق.

وهذا اصل عقلی یؤیده النقل فی غیرمورد کما نقرئه فی مثل:

...یا من لا تزیده کثرة العطاء الاجودا وکرما[1].

فان فضلک لایفیض وان خزائنک لا تنقص بل تفیض[2].

لانه یعنی ازدیاد الجود بکل عطیة وسخاء لاانه لاینفذ فقط، والفارق بین عدم النفاد بالاعطاء وبین ازدیاد الجود والکرم بکل عطاء وافاضة جلی بیّن وهذا المعنی المعقول المؤید بالمنقول هوالمستفاد مما نقله مولینا الرضا(ع) عن ابیه موسی بن جعفر(ع) والحدیث کالتالی:

ان رجلا سال اباعبدالله(ع) مابال القرآن لایزداد عندالنشر والدراسة الا غضاضة؟ فقال: لان الله لم ینزله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهوفی کل زمان جدید وعند کل قوم غضّ الی یوم القیمة[3].

لدلالته علی انه غض فی کل عصر لاانه باق فحسب کالحجر المتکتل المترکد بل نابع کالکوثر النضّاخ فهو کل یوم فی شأن جدید ولایشغله شأن عن شأن لانه مظهر تام للمتکلم الذی بصفته کذلك بالذات فلابد وان یکون مثالا للظّاهر فیه وآیة تامة له تعالی فی هذه الجهة.

ثم انّ فضیلة هذا الکلام السامی توجب ان تکون ظروفه الزمانیّة والمکانیة التی تحقق فیها هی ایضا افضل الظروف. ولذلك نقرءعنه انه نزل فی

۱ـ دعاء الافتتاح. ۲ـ الصحیفة السجادیة، دعاء وداع شهر رمضان.

۳ـ مسند الامام الرضا(ع) ۳۰۹/۱، عن عیون الاخبار ۸۷/۲.

ليلة مباركة هى خير من الف شهر[1] وفى جوار «اوّل بيت وضع للناس» وكفى فى شرف ذلك البيت انتسابه الى الله المنزه عن المكانية المبرّاء عن التزمّن وماالیهما حيث قال تعالى:

...طهرابيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود[2]

وبنفس العلة توجب ان يكون مهبط نزوله قلبا هوخيرالقلوب لكونه صادقا امينا لايكذب مايرى ولايخون مااوئتمن، كما قال سبحانه: «ماكذب الفؤاد ما رأى»[3]، بلا خصيصة له بما شاهده فى المعراج، كما و ان لسان غيرواحد من الانبياء هو:

... انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون[4]

فلا مجال لكذبه (ص) فيمانزل به الروح الامين على قلبه، كما لامورد لخيانته، اذًا، فجميع ماينزل فى قلبه غيب الهى انبائه الله به وليس هو(ص) على شيىء من الغيب بضنين حتى يكتم مااوحى اليه، كما ان جميع ما ينطق -ممايرجع الى الدين- وحى الهى، فهو(ص) لايكتم شيئا مما امر بابلاغه كما لاينطق بشيئى لم يوح اليه، وعليه يكون القرآن وحيا محضا لايحوم حوله الريب اصلا، لذلک فلا تصّح لمماراة فيما رأى فواده ونطق لسانه كماقال سبحانه:

افتمارونه على مايرى[5]،

اذا لشاهد يرى مالايراه الغائب، والرسول يسمع مالايسمعه غيره فلايجوز المراء فيما شاهده معاينة وأخبرالناس به وهذاهوالذى يفيدنا كلمة مولينا الرضا(ع):

---

١ - القدر/٣ - ١.

٢ - البقرة/١٢٥.

٣ - النجم /١١.

٤ - الشعراء /١٠٧.

٥- النجم /١٢.

المراء فی کتاب الله کفر[1].

لان الجدال فی الحق المحض بعدما تبیّن رشده عن غیّه مقابله کفر له والحاد عنه، اذ ماذا بعد الحق الا الضلال، فلذا قال (ع): ولا تطلبوا الهدی فی غیره فتضلوا.

تذکرة- ان للقرآن من حیث نفسه علوما جمة لامجال للبحث عنها هنا، لأن هدفنا لیس الا التعرض لخصوص ما وصل الینا من النصوص الرّضویة- علی من صدع بها وافاضها آلاف السلام والتحیة -مع انّ لنا رسالة اخری حول تلک العلوم القرآنیة قمنابها حسب الطاقة الضعیفة والبضاعة المزجاة وعلیه فلا وجه للتکرار، ولذلك نعطف المقال عن هذا المقام الباحث حول القرآن العلمی الی المقام الباحث حول القرآن العینی بمایلی.

المقام الثانی: فیمایتصل بالقرآن العینی

ان للشیء وجودا اعتباریا ووجودا حقیقیا (اما الاول) فکالوجود اللفظی والکتبی للاشیاء حیث إنه یختلف باختلاف اللغات والامم ونحو ذلك. (واما الثانی) فکالوجود الخارجی الاعم من الطبیعی والمثالی والعقلی لأنه لایختلف باختلاف الألسن والألوان والملل وما الی ذلك ولکل واحد من الوجودین -الاعتباری والحقیقی- حکم یخصّه کما ان لکل قسم من اقسام النوعین ایضا حکما یختص به و اثرا یترتب علیه والقرآن -ایضا- له وجود لفظی یتلی بالالسن ووجود کتبی یضبط فی المصاحف، ولکل منها حکم فقهی وغیرفقهی یخصه. کما وان له ایضا وجودا خارجیا، من فضاء الطبیعة الی عنان عالم العقل یتحقق

١- مسند الامام الرضا(ع) ٣٠٧/١، عن تفسیرالعیاشی ٨/١.

كل من ذلك فى موطنه وله حكم يخصه.

وحيث ان المراد من الوجود الخارجى هوالوجود الحقيق المترتب عليه الآثار سواء أكان فى موطن النفس الانسانية كالعلوم والاوصاف النفسانية او فى موطن آخر فلابد وان يكون الوجود الخارجى لكل شيى بحسبه، مثلا ان للشجر وجودا خارجيا وللعلم ايضا وجودا خارجياً والمايز بينهما هو أن العلم أمر خارجى يتحقق فى موطن النفس الانسانية وراء الوجود الذهنى المقابل للوجود الخارجى الفاقد لأىّ اثر عينى، وان الشجر امر خارجى متحقق فى الخارج عن النفس.

وبما أن القرآن مشتمل على العقائد والاخلاق والاعمال وكل ذلك متعلق بالانسان بحيث لولا الانسان لماكان للعقيدة وجود ولاللخلق تحقق ولاللعمل بالقرآن حصول ومعنىً، وعليه فالوجود الخارجى لمضامين القرآن انما يتحصل فى موطن النفس الانسانية التى هى فى وحدتها كل القوى المدْركة والمحركة فمن علم بظاهر القرآن وباطنه وعرف تفسيره وتاويله واطلع على متشابهه ومحكمه وردّ المتشابه منه الى محكمه وعمل بعزائمه وفرائضه وبسُننه ورُخَصه وكان مؤمنا بجميع حِكَمه واحكامه معتقدا بأن كله من عندالله فهو القرآن الناطق، اى القرآن التكوينى المتحقق خارجا كالعتره الطاهرة (سلام الله عليهم اجمعين) لأن علوم القرآن ومعارفه قد تحققت فى نفوسهم الشريفة اذالايمان قد خالطهم من القَرْنِ حتى القدم، فالانسان الكامل ـ اى الامام المعصوم (ع) ـ قرآن ممثل، كماوانه صراط مستقيم وميزان قسط، كل ذلك على منهج الحق لاالمجاز.

ويشهد لذلك مارواه مولينا الرضا (ع) عن آبائه (ع) عن الحسين بن على (ع) انه قال:

اتفق فى بعض سنى اميرالمومنين (صلوات الله عليه) الجمعة والغدير

فصعد المنبر... فحمد الله واثنى عليه حمدا لم يسمع بمثله واثنى عليه ثناء لم يتوجه اليه غيره فكان مما حفظ من ذلك قوله، الحمدلله الذى جعل الحمد من غير حاجة منه الى حامديه طريقا من طرق الاعتراف بلاهويته وصمدانيته وربانيته... هذا يوم النصوص على اهل الخصوص هذا يوم شيث هذا يوم ادريس هذا يوم يوشع هذا يوم الأمن المأمون هذا يوم اظهار المصون من المكنون هذا يوم ابلاء السرائر-الى ان قال(ع)-:أفتدرون الاستكبار ماهو هوترك الطاعة لمن امروا بطاعته والترفع على من ندبوا الى متابعته والقرآن ينطق من هذاعن كثير إن تدبّره متدبر. واعلموا ايها المؤمنون ان الله عزوجل قال: «ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص». أتدرون ماسبيل الله ومن سبيله ومن صراط الله ومن طريقه. انا صراط الله الذى من لم يسلكه بطاعة الله فيه هوى به الى النار، وانا سبيله الذى نصبنى للاتباع بعد نبيه، انا قسيم الجنة والنار، وانا حجة الله عزوجل على الفجار والابرار، وانا نور الانوار، فانتبهوا من رقدة الغفلة وبادروا بالعمل قبل حلول الاجل... الحديث[١].

نلاحظ انه(ع) عرّف نفسه النفيس بالصراط والسبيل، يعنى(ع) ان الصراط العلمى هوالدين الالهى والصراط العينى هوالامام المعصوم(ع)، وهكذا في غيره من المعارف كالميزان القسط، حسبما ورد فى نصوص اخر. والسر فى ذلك هوان الحركة والمسافة والمتحرك فى الحركة الجوهرية متحدة فى العين وان كانت حسب تحليل الذهن متغايرة، والانسان وان كان نوعا اخيرا عندالجمهور لكنه نوع متوسط تحته انواع حقيقية كثيرة عند اصحاب الحكمة المتعالية، فالنفس فى بادى الامر بمنزلة المادة للكمالات الوجودية فاذا رسخت تلك الكمالات فيها وصارت ملكة تصورت تلك النفس بها وصارت اياها حقيقة بعد ماكانت مستعدة لها واجدة اياها بالقوة.

---

١ ـ مسند الامام الرضا(ع) ٢/٥-٢١

والانسان سالك بكل وجوده وذاته الى الله سبحانه وكادح اليه فيلاقيه كما قال سبحانه:

يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فلاقيه[1].

فان سار على الصراط المستقيم وانتحاه وصار صراطا مستقيما فهو يلاقى جمال رحمة ربه، كماقال تعالى:

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة[2]،

وان انحرف عنه وبناه عوجا وصار بنفسه سبيلا غيّا ووقودا للنار او حطباً لها فطبيعى ان يلاقى جلال قهرربه، كما قال سبحانه: حاكيا عن هولاء الذين ينادون من مكان بعيد[3]. ربنا ابصرنا وسمعنا[4].

مع انهم يحشرون عُمياً. كما قال تعالى:

ونحشرهم يوم القيمة اعمى[5].

لانهم اعمى عن مشاهدة الجمال والرحمة لاعن شهود الجلال والقهر (تدبر).

وحيث اِنّ القرآن صراط مستقيم يسير عليه السالك فاذا تلاه حق تلاوته وآمن بجميع مافيه وعرف ذلك كله وعمل به ولم يبخس منه شئياً يصير هو بذاته صراطا مستقيا وميزانا قسطا يوزن بعقيدته عقائد الناس وبخلقه العظيم اخلاق الناس وباعماله الصالحة اعمال الناسْ، فهو القرآن الممثل بجميع مافيه من المعارف فيصير قرانا عينيا تجاه القرآن العلمى ولاينفك عنه، كمالم يفترق القرآن العلمى عنه ابدا. فالمعية ـ المتسالم عليها بين القرآن والعترة ـ تكون حقيقة

١ـ الانشقاق /٦.

٢ ـ القيامة /٢٣ ـ ٢٢.

٣ـ السجدة /١٢.

٤ ـ فصلت /٤٤.

٥ ـ طه /١٢٤.

ذات مراتب حذاء مراتب الوجود الخارجى، ففى عالم الطبيعة بنحو تقضيه الكثرة العينية ويستلزمها. وفى عالم المثال ايضا على كيفية مقتضاها، لكن بلا تزاحم مادى وتطارد عينى وفى عالم العقل والتجرد التام على نحو يقتضى الوحدة العينية و يلازمها وان كان التغاير التحليلى منحفظا مادام هناك ذهن ومفهوم وتحليل مفهومى اوماهوى.

ولعله الى ذلك يوعز الامام الصادق(ع) حين سئله المفضل بن عمر عن الصراط فقال(ع):

هوالطريق الى معرفة الله ـ عزوجل ـ وهما صراطان صراط فى الدنيا وصراط فى الاخرة واماالصراط الذى فى الدنيا فهوالامام المفترض الطاعة من عرفه فى الدنيا واقتدى بهداه مرّعلى الصراط الذى هو جسرجهنم فى الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط فى الاخرة فتردّى فى نار جهنم[1].

وبما ان القرآن كلام الهى مصون عن تعرض الشيطان فى شيئ منه بالزيادة اوالنقص او التصحيف او التحريف على مامر مسبقا، وعليه فاذا تكلم السالك الى الله به وباشره بروحه وجسمه قلبا وقالبا ولم ينفك عن هداه ولم يعطف هداه على هوى نفسه بل عاكسه وعطف هواه على هداه يصير هو بنفسه قرآنا ممتلا مصونا عن وسوسة الشيطان وتراوده فلايطمع فيه بالضلالة ولا بالغواية ولا باتباع الهوى ولا بالزيغ والطغى، وهذا هوالمستفاد مما رواه مولينا الرضا (ع) عن آبائه المعصومين(ع) انه قال النبى(ص) لعلى(ع):

ما سلكت طريقا ولافجّا الا سلك السيطان غير طريقك وفجّك[2].

وحيث ان اهتداء الله سبحانه بذاته وهدايته لغيره من اوصافه الفعلية

---

١ ـ معانى الاخبار، باب معنى الصراط.

٢ ـ عيون اخبارالرضا(ع) ١/٦٤.

وكل صفة فعلية فإنما ينتزع من مقام الفعل المستند الى الذات لامن نفس الذات فلابد للهداية ـ اذاً ـ من مظهر خارجي، فكما ان القرآن الكريم مظهر لله سبحانه في هذين الاسمين ـ اى كونه مهتديا بنفسه وهاديا لغيره ـ كذلك الانسان الكامل المعصوم(ع) العالم به والعامل بمقتضاه مظهر لله سبحانه فى ذينك الاسمين وهذا هو المفاد من حديث مولينا الرضا(ع) فى الامامة حيث قال(ع):

ان الانبياء والائمة (صلوات الله عليهم) يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه مالايؤتيه غيرهم فيكون علمهم فوق علم اهل الزمان فى قوله تعالى: افمن يهدى الى الحق احقّ ان يتبّع أمّنْ لايَهِدّى الا ان يهدى فمالكم كيف تحكمون.[1]

يعنى ان الانسان المتكامل المعصوم(ع) مهتد بنفسه لاحاجة له الى هداية غيره من ايّ موجود إمكانى آخر، وذلك لانه مُظهر تام لله الذى فعله هونفس الصراط المستقيم، كما قال:

... انّ ربّى على صراط مستقيم[2].

فلا ينتزع الاهتداء الا من متن فعله الخارجى بلا حاجة الى هداية غيره فهو الحَرىّ بان يكون هاديا لغيره، فمن عداالمعصوم(ع) بحاجة فى هداه اليه كماو ان جميع الكتب التى دونتها ايدى الناس للهداية الى الحق بحاجة ماسة الى كتاب الله سبحانه لانه المظهر لله، المهتدى بالذات، الهادى لماسواه. فالقرآن العينى كالقرآن العلمى ـ ذاتاً ـ مظهر له تعالى فى هذين الاسمين. والسر هو مامرّمسبقا من أنّ الانسان الكامل قرآن ممثل، كما ان القرآن انسان كامل

---

١ ـ يونس/٣٥.

٢ ـ هود/٥٦.

مدون.

وبما انّ الشفاء ومقابله من الاوصاف الفعلية لله سبحانه و ینتزع من مقام فعله لامن الذات لتعالیه عن ذلك فمن الممكن ان یکون فعل واحد خارجی نورا لقوم وعمی لآخرین او شفاء لطائفة وسقما لأخری، بلامحذور فی الجمع بینهما، لتعدد الاضافة. لذلك فقد ورد فی حقّ القرآن العلمی انه نور لبعض وعمی لبعض آخر وشفاء لقوم ومرض وبوار لآخرین، کماقال سبحانه:

وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمومنين ولايزيد الظالمين الاخسارا[1].

وقال تعالی:

... قل هوللذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون فی آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد[2].

وهکذا ورد فی حق القرآن العینی -ای الانسان الکامل المعصوم- أنه مظهر جمال الله لقوم ومظهر جلاله لقوم آخرین، کماقال مولینا الرضا (ع):

... الامام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم نظام الدين وعزالمسلمين وغيظ الكافرين وبوار الكافرين[3].

وقد سبق البرهنة علی ذلك و هو: ان الانسان الکامل هو الوجود الخارجی للقرآن حقیقتاً فجمیع مایترتب علی القرآن العلمی یترتب علی القرآن العینی بلاارتیاب وقد مضی نبذة من ذلك، وسیاتی جانب منه.

فمن تلك الا ثار المشترکة بین القرآن العلمی والعینی هو: ان القرآن العلمی مظهر علمی لله الذی لاشریك له ولیس کمثله شیئی. لذلك فانه

۱- الاسراء /۸۲.

۲- فصلت /٤٤.

۳-مسندالإمام الرضا(ع)۱/۹۸

لايعادله شيئ ولايتمكن من الا تيان بمثيله حتى وان اجتمع الانس والجن وكان بعضهم مظاهراً لبعض ولاينال كنهه لباب الناس كما هوالمستفاد من غير موضع من القرآن فى شان نفسه، كذلك القرآن العينى، اى الانسان الكامل المعصوم(ع) فانه مظهر عينى لله الذى ليس كمثله شيئ ولاشريك له فى ملكه ولاشبيه له فى خلقه، فلذا لايشاركه احد ولايكون له كفو فى صعيد الموجودات الامكانية من آحاد الناس. كما افاده مولينا الرضا(ع) بقوله:

...الامام واحد دهره لايدانيه احد ولايعادله عالم ولايوجد منه بدل ولاله مثل ولانظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولااكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذاالذى يبلغ معرفة الامام اويمكنه اختياره هيهات هيهات ضلت العقول وتاهت الحلوم وحارت الالباب وخسئت العيون وتصاغرت العظماء وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الالباء وكلت الشعراء وعجزت الادباء وعيّيت البلغاء عن وصف شأن من شأنه او فضيلة من فضائله واقرت بالعجز والتقصير وكيف يوصف بكله او ينعت بكنهه او يفهم شيئ من أمره اويوجد من يقوم مقامه ويغنى غناه =لا= كيف وانى وهو بحيث النجم من ايدى المتناولين ووصف الواصفين فاين الاختيار من هذا واين العقول عن هذا واين يوجد مثل هذا[1].

فالذى يفيدنا هذا البيان الجامع عجز الناس بكافتهم عن معرفة مكتنة الانسان الكامل المعصوم(ع) وعجزهم نهائيا عن اختياره ونصبه وانتخابه وتوكيله حتى تكون الامامة بالوكالة دون الولاية. بل الامام المعصوم(ع) بمنزلة النجم الفائق الذى لا تناوشه ايدى المتناولين لكى يرشحوه و ينصبوه لهم سراجا منيرا. بل الله سبحانه هوالذى ينصب بالذات الامام المعصوم(ع) لهم سراجا منيرا وهذه الميزات والمؤهلات كما مرمسبقا مشتركة بين القرآنين

---

١ ـ مسند الامام الرضا(ع) ٩٩/١، عن الكافى ١٩٨/١.

العلمى والعينى المعبّر عنهما بالثقلين.

ومنها ـ اى من تلك الآثار المشتركة بينهما ـ: أن انكار القرآن العلمى والاعراض عنه والتعرض له جاهلية جهلاء مبتعد عن نطاق العقل والعدل كما اوعزاليه سبحانه:

أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون[1].

وقال تعالى:

اذجعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينة على رسوله وعلى المومنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيئ عليما[2].

اذ العقل هو مايعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان فما لايعبد به الرحمن فليس بعقل بل جهل وسفاهة كماقال ـ عزمن قائل ـ: ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه. فالحيوة المفتقدة لرشد العقل جهالة وسفالة سواء اصطحبها الرقىّ الصناعى كماهو المشهود المألوف فى الملل الراقية فى الصناعة الطغاة الظّلامة دولةً اولم يكونوا كذلك كما فى الملل التابعة لهم القائلة يوم القيمة:

انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا[3].

فالمنكر للقرآن والمعرض عنه والمتعرض له جاهل سفيه سافل وحيوته جاهلية، يحمل فى قلبه تعصباً باطلا جاهليا ولامجال لانزال السكينة والطمأنينة فيه كما لامجال لاعطاء التقوى مع الطغوى اذالتقوى عبودية حقة وتذلّل فى

---

١ ـ المائدة /٥٠.

٢ ـ الفتح /٢٦.

٣ ـ الاحزاب /٦٧.

ساحة قدس الله سبحانه والطغوى ربوبية باطلة وتمرد واستكبار فی قبال الله تعالی کماتقدم نقله عن مولینا علیّ الرضا(ع) عن جده الامام المرتضی (ع) فانه قال:

أفتدرون الاستکبار ماهو؟هوترک الطاعة لمن امروا بطاعته والترفع علی من ندبوا الی متابعته[1].

فحیوة منکر القرآن العلمی والمعرض عنه جاهلیة جهلاء کذلک حیوة منکر القرآن العینی والمعرض عنه جاهلیة. کمانقل محمدبن اسماعیل عن مولینا الرضا(ع) انه قال:

من مات ولیس له امام مات میتة جاهلیة، فقلت له: کل من مات ولیس له امام مات میتة جاهلیة؟ قال، قال: نعم، والواقف کافر والناصب مشرک[2].

فان هذا البیان وان کان یفیدنا ویتحفنا بأن ذلک الموت هوالموت الجاهلی، بید ان الموت لماکان علی وزان الحیوة اذالناس کما یعیشون یموتون فاذا کان الموت جاهلیة یکشف عن کون الحیوة کانت جاهلیة تطورت بالمیتة الجاهلیة، اذ الحیوة العقلیة تتعقب موتا عقلیا لان الذی ینتقل من الدنیا الی روضة من ریاض الجنة فهوعاقل قطعا لأنه عبد ربه واکتسب جنته وکل من کان کذلک فهوعاقل اذ العقل مایعبد به الرحمن ویکتسب به الجنان. وزبدةالمخض: ان الموت الجاهلی انما هوبظهور الحیاة الجاهلیة، فاذا کان موت منکر الامام المعصوم(ع) میتة جاهلیة یلازمه ان تکون حیاته ایضا کذلک لیس الا. والسّبب فیه ان القرآن بوجوده العلمی او العینی حیوة طوبی عقلیة کما افاده

١ـ مسندالامام الرضا(ع) ٢/٢٥.

٢ـ مسند الامام الرضا(ع) ٩١/١، عن کمال الدین ٦٦٨ .

سبحانه بقوله:

... یا ایها الذین آمنوا استجیبوا لله وللرسول اذا دعاکم لما یحییکم[۱] ...

و بقوله:

لینذر من کان حیا ویحق القول علی الکافرین[۲].

... والقرآن العینی لاینفک عن القرآن العلمی فی ایّ وصف من الاوصاف الکمالیة الوجودیة اصلا، لان دعوة القرآن العینی هو دعوة القرآن العلمی بالذات، لذلک افرد الضمیر فی قوله تعالی: ... لله وللرسول اذا دعاکم ... ولم یثّن، اذ الرسول الـذی هو من اظهر مصادیق القرآن العینی لایدعو الّا بما دعا الله الناس الیه فاذا کان القرآن بوجوده العلمی او العینی ممثلا للحیوة الطّیبة العقلیة فمن فقد ـ أیّ واحدٍ منهما ـ فقد فقدها وصار میتا جاهلیا یوخذ بما عمل فی الجاهلیة والاسلام ای لایغفر شیء من ذنبه، سواء ما تقدم منه وماتأخر. کما هو المستفاد مما رواه مولینا الرضا (ع) عن آبائه (ع) عن امیرالمومنین (ع) انه قال:

قال رسول الله (ص): من مات ولیس له امام من ولدی مات میتة الجاهلیة یؤخذ بما عمل فی الجاهلیة والاسلام[۳].

حیث انه لم یَعْقِل ولم یَتُب ولم یسلم حتی یَجُبَّ الاسلام ماقبله ویعفوالله عما سلف منه، بل اذا بعترت القبور علمت نفس هولاء الجهلاء ماقدمت من

۱- الانفال /۲٤.

۲- یس/۷۰.

۳- مسندالإمام الرضا(ع) ۹۱/۱، عن کنزالفوائد ۱۵۱.

ذنب وما اخرت، ومن اعظم تلك الذنوب انكار الامام(ع) ومن تلك الا ثار المشتركة بين القرآن العلمی والعينى هو: ان القرآن العلمى مظهر تام للاسم المهيمن، لأن المهيمن من الاسماء الحسنى لله سبحانه ومن الاوصاف الكمالية للقرآن الكريم. قال سبحانه:

... الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن[1]

وقال تعالى:

وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لمابين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه[2].

والهيمنة الوجودية انما هوبكون المهيمن واجدا لجميع الكمالات التى هى لما فى حوزة هيمنته وسيطرته ونفوذه، كما ان الله سبحانه كذلك بالذات، مقيساً الى جميع ماسواه. والقرآن الكريم ايضا مسيطر بالقياس الى جميع الكتب السماوية، اذ له عدى التصديق والتاييد هيمنة على تلك الكتب وحيطة على المعارف السامية التى لم يحتوتلك الكتب عليها، بحيث ليس فى وسع الانسان المتكامل النيل الى مرتبة وجودية بالعلم الآ وقد اشتمل عليها القرآن، والا لما كان خاتم الكتب ولما كان خالدا بحِياله ابديا، اذ فرض ان هناك مقاما وجوديا لايهدى اليه القرآن لعدم احتوائه فيلزم اتيان كتاب آخر وهو محال بعد افتراض ختم الكتب بالقرآن، اذاً فالقرآن العلمى مظهر تام لله سبحانه من حيث كونه مهيمنا على غيره من الكتب، كما وان للاسم المهيمن ايضا هيمنة على غيره من الاسماء الجزئية المحاطة به لان بعض الاسماء الحسنى محيط ببعض

---

١ ـ الحشر/٢٣.

٢ ـ المائدة /٤٨.

حتى ينتهى الى ام الاسماء المحيط بها وهو الاسم الله جل جلاله وان احتمل بعض اصحاب المعرفة ان الاسم الرحمن ايضا كذلك لقوله تعالى:

قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايّاما تدعوا فله الاسماء الحسنى[1].

يعنى فلكل واحد من هذين الاسمين اللذين احدهما هوالله والآخر هوالرحمن سائر الاسماءالحسنى الجزئية مقيسا اليهما وان كان بعضها بالنسبة الى بعضها الاخر كليا محيطا. ولعله لذلك قال الفاضل الهندى(ره) فى تقدمته على كشف اللثام: «... فالمحققون على ان الرحمن ايضا اسم للذات كاللّه وان لفظه هنا (بسم الله الرحمن الرحيم) بدل من الله ولذا قدم على الرحيم لكونه صفة فاندفع السوال عن جهة تقديمه مع انه ابلغ» (انتهى)[2].

ولبعض اهل التحقيق مقال آخر، فأنه بعد نقل كون الرحمن جامعا كالله، قال: هذا وان كان حقا من وجه، لكن كون الرحمن تحت حيطة الاسم الله يقضى بتغائر المرتبتين ولولا وجه المغايرة بينهما ماكان تابعا للاسم الله فى «بسم الله الرحمن الرحيم». ومهما كان الامر فان الاسم المهيمن له احاطة وجودية على غيرواحد من الاسماء الكائنة تحت حيطته والقرآن العلمى ايضا لكونه مظهراً لذلك الاسم فله احاطة علمية بغيره من الكتب السماوية فضلا عن غيرها، وهكذا القرآن العينى المحاذى له، فأن له هيمنة على غيره من الكتب العينية، كالانبياء والاوصياء الماضين(ع) كماوان له سيطرة وحيطة علمية بمعارف جميع تلك الكتب السماوية، حيث قال مولينا الرضا(ع):

يانوفلى تحب ان تعلم متى يندم المامون؟قلت:نعم،قال:اذا سمع

١ـ الاسراء/١١٠.

٢ـ كشف اللثام، ٥/١.

احتجاجی علی اهل التوراة بتوراتهم وعلی اهل الانجیل بانجیلهم وعلی اهل الزبور بزبورهم وعلی الصابئین بعبرانیتهم وعلی الهرابذة بفارسیتهم وعلی اهل الروم برومیتهم وعلی اصحاب المقالات بلغاتهم فاذا قطعت کل صنف ودحضت حجته وترک مقالته ورجع الی قولی علم المامون انّ الموضع الذی هو بسبیله لیس هو بمستحق له فعند ذلک تکون الندامة منه ولاحول ولا قوة الا بالله العلی العظیم[1].

ومما یؤید ذلک اقتداء الانبیاء (ع) بخاتمهم (ص) لیلة الاسراء فی المسجد الاقصی وکذا اقتداء الاولیاء بخاتمهم (ع) بقیة الله ـ ارواحنا فداه ـ عند ظهوره حیث ان ذلک یشعر بکون رتبة کل قرآن وکتاب عینی علی وزان رتبة کل قرآن وکتاب علمی، فکما انهما فی اصل الوجود متکافئان لاینفک احدهما عن الاخر کذلک فی رتبة الوجود ایضا لایفترق احدهما عن الاخر فعند ثبوت وصف کمالی لاحدهما تطابقیا یحکم بثبوت ذلک الوصف للاخر التزامیا. مثلا عند ثبوت تعدد انحاء الدعوة للقرآن العلمی وانه یدعوالناس الی سبیل الله بالحکمة والموعظة الحسنة ویجادلهم بالتی هی احسن یحرز بان انحاء دعوة القرآن العینی ایضا کذلک، وکما ان القرآن العلمی یهدی للتی هی اقوم هکذا القرآن العینی، ـ ای الامام المعصوم (ع) ـ فانه یهدی للطریقة المثلی التی هی اقوم الطرق وللعروة الوثقی التی هی اوثق العری وهذا هوالذی یعطیه کلمة مولینا الرضا (ع):

... ان الامامة زمام الدین ونظام المسلمین وصلاح الدنیا وعزالمومنین ان الامامة اسّ الاسلام النامی وفرعه السامی... الامام یحل حلال الله ویحرم حرامه ویقیم حدود الله ویذب عن دین الله ویدعوالی سبیل ربه بالحکمة

---

۱ ـ مسند الامام الرضا (ع) ۷۵/۱ (المقدمه) عن التوحید ۴۱۷ ـ ۴۴۱ والعیون ۱۵۴/۱.

والموعظة الحسنة والحجة البالغة[1].

وحیث ان حقیقة القرآن العینی ـ ای الانسان الکامل المعصوم (ع) ـ هی حقیقة القرآن العلمی بلا انفکاك احدهما عن الآخر فلذا تفسر الامانة المعروضة علی السموات والارض والجبال فابین ان یحملنها واشفقن منها... (تارة) بالولایة (واخری) بالقرآن، وکما ورد فی شان القرآن العلمی بانه:

لو انزلنا هذا القرآن علی جبل لرأیته خاشعا متصدعا من خشیة الله[2].

کذلك قال مولینا علی المرتضی (علیه افضل صلوات المصلین) عند بلوغ خبر ارتحال سهل بن حنیف الانصاری الیه:

لو احبنی جبل لتهافت[3].

یعنی کما ان الجبل لایطیق لحمل القرآن العلمی کذلك لایقتدر علی احتمال الولایة للقرآن العینی، وکم له من اشباه ونظائر فی النصوص الدالة علی ان الانسان الکامل المعصوم (ع) ـ ای الامام ـ قرآن عینی کما ان القرآن امام علمی، فلذلك یهتف کل واحد منها الناس الی صاحبه. یعنی ان القرآن یدعوهم الی امامة الامام واطاعته کما قال سبحانه:

اطیعوا الله و اطیعوا الرسول واولی الامر منکم[4].
وما آتاکم الرسول فخذوه ومانهاکم عنه فانتهوا[5]

---

۱ ـ مسند الامام الرضا (ع) ۱/۹۸، عن الکافی ۱/۱۹۸.

۲ ـ الحشر/۲۱.

۳ ـ الغرر والدرر لآمدی ۵/۱۱٤، ذان سرحه الشریف الرضی قده وکذا المحقق الخونساری ره بوجه آخر، نهج البلاغة، قصار الحکم ۱۱۱.

٤ ـ النساء/۵۹.

۵ ـ الحشر/۷.

وانما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يوتون الزكوة وهم راكعون[1].

والامام ايضا ـ بالذات ـ يدعوهم الى القرآن كما اوعزاليه مولينا الرضا (ع) بقوله:

... لا تطلبوا الهدى فى غيره فتضلوا[2].

وبما ان الامام(ع) قرآن ممثل يوجد فى بين كلماته محكمات ومتشابهات كما قال مولينا الرضا(ع):

من رَدّ متشابه القرآن الى محكمه هدى الى طريق مستقيم، ثم قال(ع): إن فى اخبارنا متشابها كمتشابه القرآن ومحكما كمحكم القرآن فردوا متشابهها الى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا[3].

وحيث ان المحكمات هى ام الكتاب وبها ترتضع المتشابهات وتنمو وتخرج عن حدالتشابه وتندرج فى حوزة المحكمات فعلى المتدبر فى القرآن والحديث عرفان المحكم من كل منهما و عرفان المتشابه حتى يعرف كيفية واسلوب رفع التشابه فى ضوء المحكم.

ومن تلك الآثار المشتركة بين القرآن العلمى والقرآن العينى هو: ان كل واحد منهما نور الهى متنزل من لدى الله الى عالم الطبيعة لم يتخلله الظلام اصلا لافى حدوثه ولافى بقائه ولم تظلم مرتبة من مراتب نزوله فلم يتطرق الجهل او الابهام او التعميه او الغفله اوالنسيان وما الى ذلك مما ينافى نورانية القرآن العلمى اوالعينى فى حريم شيئ منهما فى اية درجة من درجاتها.

۱ـ المائدة/۵۵.

۲ـ مسندالامام الرضا(ع) ۳۰۷/۱، عن التوحيد ۲۲۳ والامالى ۲۲۶.

۳ـ مسند الامام الرضا(ع) ۳۰۸، عن عيون الاخبار ۲۹۰/۱.

(اما) فى القرآن العلمى فلما مرمسبقا من قوله تعالى:

ياايها الناس قد جائكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورامبينا[١].

لأنه يدلّ على ان الذى نزل من عندالله هوبرهان لاخفاء فيه ونور لاظلام له اصلا، ولامجال لتطرق شيى من ذلك اليه فى مرتبة من مراتب تنزلا ته لقوله تعالى:

... فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة[٢]

لدلالته على كرامة القرآن العلمى فى جميع مراتب تنزلا ته عن اىّ نقص وطهارته عن اىّ رجس و نزاهته عن اى رجز و...

(واما) فى القرآن العينى ـ اى الانسان الكامل المعصوم (ع) ـ فلقول مولينا الرضا (ع) وقد اجتمع الفقهاء واهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم فقال له:

يابن رسول الله بأى شيئ تصح الامامة لمدعيها؟ ـ قال (ع) ـ: بالنص والدليل. قال له: فدلالة الامام فيماهى؟ قال: فى العلم واستجابة الدعوة، قال: فما وجه اخباركم بمايكون؟ قال (ع): ذلك بعهد معهود الينا من رسول الله (ص)، قال فماوجه اخباركم بمافى قلوب الناس؟ قال (ع) له: اما بلغك قول الرسول (ص) اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله. قال: بلى قال (ع): ومامن مؤمن الاوله فراسة بنور الله على قدر ايمانه ومبلغ استبصاره وعلمه وقد جمع الله للائمة منا مافرقه فى جميع المؤمنين. وقال عزوجل فى محكم كتابه: ان فى ذلك لآيات للمتوسمين، فاول المتوسمين رسول الله (ص) ثم اميرالمومنين (ع) من بعده ثم الحسن والحسين والائمة من ولد الحسين (ع) الى يوم القيمة. قال: فنظر اليه المامون فقال له: يا اباالحسن زدنا مما جعل الله لكم

١ ـ النساء /١٧٤.

٢ ـ عبس /١٦ ـ ١٣.

اهل البيت. فقال الرضا(ع): ان الله عزوجل قد ايدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك لم تكن مع احد ممن مضى الا مع رسول الله (ص)، وهى مع الائمة منا تسددهم وتوفقهم وهو عمودمن نوربيننا وبين الله عزوجل[1].

حيث يدلنا على أن الامامة محفوفة بعمود من نور دائم فائض متصل من الله سبحانه إلى عالم الطبيعة الذى يعيش فيه الامام(ع) بوجوده العنصرى، فجميع مايظهر اويصدر من الله ويتنزل إلى عالم الطبيعة فى قوس النزول معلوم للامام(ع)، وهكذا جميع مايصعد اليه من الكلم الطيب، وجميع مايرفعه اليه من العمل الصالح من اىّ معتقدٍ واىّ عامل فى قوس الصعود مشهود له (ع) اذ العمود النورى عبارة عن وصف كمالى وجودى مقدس عن شوب المادة منزه عن مزج الحجاب والغيبة ومالى ذلك، والامام(ع) متصف بذلك الوصف الوجودى من لدى الله سبحانه الى الطبيعة نزولا ومنها اليه تعالى صعودا فلا يختفى عليه شيى فى الارض ولافى السماء كل ذلك فى اطار العالم الامكانى وباذن الله الذى ليس كمثله شيى.

وحيث ان حلقات النظام الفاعلى نزولا وكذا حلقات النظام الغائى صعوداً مترتبة وان بعضها فوق بعض فالتالى يستفبض من المتلو وهو مفيض عليه فلاغرو فى حاجة بعض مراتب وجود الامام(ع) الى بعضها الآخر، كما وان الأمر فى نفس العمود النورى ايضاً كذلك فلولم يعلم الامام(ع) بوجوده العنصرى امراً فان بامكانه ان يستفيده من باطن وجوده كما فى غيره(ع) من المجردات المستكفية بباطن ذاتها، وليس الامام(ع) منحصرا فى اطار وجوده العنصرى حتى يوجب جهله بوجوده العنصرى جهله باطلاقه، لان العمود

١ـ مسند الامام الرضا(ع) ٢/١٣٣، عن عيون الأخبار ٢/٨٧.

النورى ايضا كذلك لانه رغم كونه نورا بتمام مراتبه لكنه ـ فى ذات الوقت ـ غيرخلى عن شوب الجهل اذ مراتبه النازلة جاهلة بمافى مراتبه العالية، وان كان ذلك العمود النورى فى متنه معصوما عن الخطاء ومصونا عن الجهل والغيبة وماالى ذلك. وليس ذلك التسديد والتوفيق على صفة تزول حيناً وتعود حينا آخر، بل على نحوالملكة الحاضرة دائما، فلا حجاب بين الامام(ع) وبين الله سبحانه، اذلاحجاب بين ذلك العمود النورى وبين منوره الذى هوالله سبحانه، فلا حجاب ـ ايضاً ـ بين الامام(ع) وبين العالم الخارج، لان ذلك العمود النورى قد ابان له كل شئ، وبه يضيئى له كل شيئ باذن الله، وبهذا العمود النورى يكون الغيب مشهوداً له (ع).

ومما يشهد لذلك انه لما قال مولينا الرضا(ع) لابن هذّاب:

ان انا اخبرتك انك ستبتلى فى هذه الايام بذى رحم لك لكنت مصدقا لى؟ قال: لا،فان الغيب لايعلمه الا الله تعالى. قال(ع): أوليس انه تعالى يقول: «عالم الغيب فلايظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول»، فرسول الله مرتضى ونحن ورثة ذلك الرسول الذى اخلفه الله على مايشاء من غيبه فعلم ماكان ومايكون الى يوم القيمة[1].

لان انقسام الموجود الى الغيب والشهادة انقسام نسبى لانفسى لان الموجود المجرد الغائب عن عالم الطبيعة فهو مشهود لنفسه ولعلله العالية.

ومعنى كون الله تعالى عالما بالغيب والشهادة هوالارشاد الى نفى الغيب مقيسا اليه تعالى اذالعلم عبارة عن الشهود وهويباين الغيب فليس معناه ان هناك غيبا وهومع انه غيب معلوم لله سبحانه، فاذا كان العمود النورى المرتبط بالله العالم بالغيب والشهادة، مع الامام المعصوم(ع) يسدده ويوفقه فهو ايضاً

---

١ ـ مسند الامام الرضا(ع) ٢/٩٧.

يعلم الغيب لكن لابالذات والاصالة بل بالعرض والتبع فى خصوص ما ظهرمن الله فى العالم دون مااستاثره الله لنفسه من الغيب المحض الذى لم يظهر ولن يظهر، لخروجه عن العالم كخروجه عن موضوع البحث. والى هذاالعمود النورى اشار مولينا الرضا(ع) فى قوله:

الائمة علماء حُلماء صادقون مفهمون محدثون[1]

وقوله(ع):

لنا اعين لا تشبه اعين الناس وفيها نورليس للشيطان فيها نصيب[2].

وليس المراد من الاعين هناهى التى ترى الاجسام وتحس الالوان، بل هى الاعين التى فى الصدور والتى ترى الآيات الالهية ومافوقها. كماقال اميرالمومنين(ع):

لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان[3].

وهذه الأعين مختصة للمومنين على ما لهم من الدرجات دون غيرهم، لانهم عمى لايبصرون، كما قال سبحانه:

فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور[4].

والسر فى قداسة تلك الأعين عن الشيطان هو اخلاصها، لان تلك الاعين هى القلوب الواهلة المخبتة اليه المخلصة له، وقد اعترف الشيطان بعجزه النهائى عن اغواء المخلصين واضلالهم واحتناكهم وما الى ذلك من شروره ووساوسه

---

١ ـ مسند الامام الرضا(ع) ١٠٢/١، عن امالى الطوسى ٢٥٠.

٢ ـ مسند الامام الرضا(ع) ١٠٣/١، عن امالى الطوسى ٢٥٠.

٣ ـ نهج البلاغه، الخطبة ١٧٩.

٤ ـ الحج/٤٦.

ودسائسه وحبائله واشراکه، لان اقصی مقامه هوالتجرد الخیالی والوهمی ولامجال له فی التجرد العقلی التام، اذا فهو یعلم مایریده المخلص حتی یسول له ویدس فیمایرومه کما و ان جمیع ذخائره وزخارفه معرض عنها للعبد الذی استخلصه الله لنفسه فلا نصبب للشیطان فی علمه وعمله. وبهذا العمود النوری المسدد والموفق یعلم الامام المعصوم(ع) مافی الصدور من الایمان والنفاق لان الباطن قد اضاءله بذلك النور واصبح کالظاهره لاحجاب له، فلذاکتب مولینا الرضا(ع) رسالة الی بعض اصحابه. جاءفیها:

انالنعرف الرجل اذا رأیناه بحقیقة الایمان وبحقیقة النفاق[1].

لان قلوب العباد کقوالبهم مکشوفة لمن له عمود نوری من تخوم عالم الطبیعة الی عنان عالم الغیب فلا استتار هناك ... ویشهد له مارواه حمزة بن عبدالمطلب بن عبدالله الجعفی قال:

دخلت علی الرضا(ع) ومعی صحیفة اوقرطاس فیه عن جعفر(ع) ان الدنیا مثلت لصاحب هذا الامر فی مثل فلقة الجوزة فقال:یاحمزة ذاوالله حق فانقلوه الی ادیم[2].

والذی یفیدنا هذا الحدیث الشریف هوان الدنیا وان کانت بالنسبة الی غیر الامام کالجوزالذی لم یفلق فلا یعلم مافی جوفه وباطنته، الا انها بالنسبة الیه(ع) کالجوز المفلوق الذی فلقه فالق الحب والنوی فیعلم مافی جوفه کمایعلم قشره ومأفی ظاهرته من الخطوط والنقوش وما الی ذلك. فلذا لایمکن للدنیا ان تغر الامام(ع) رغم کونها غُرورا للناس. کماو ان المستفاد من هذا

۱ـ عیون اخبار الرضا(ع) ۲/۲۲۷.

۲ـ مسندالامام الرضا(ع) ۱/۱۰۹، عن بصائر الدرجات ۴۰۸.

البيان النوری هو الاهتمام بالتعلم (اولا) و كتابة العلم (ثانيا) وضبط خصوص مايتصل الى الامامة وعلم الامام وحيطة علمه (ع) بجميع الدنيا وعدم احتجاب شيى منها عن علمه (ع) (ثالثا) وهذا من غرر الاحاديث الباعثة على التعلم وتدوين الحديث ومعرفة شأن الامام (ع)، لظهوره فى اهتمام مولينا الرضا(ع) بضبط الحديث فى اديم حتى يصان عن الخرق والاندراس، لان الاديم احفظ من القرطاس الذى يسارع اليه البلى ويبادر اليه الدروس ويستبق اليه العفا ويقترب منه الانمحاء.

فاذاتبين لنا ان بين الامام المعصوم(ع) وبين الله سبحانه عمودا من نور يتضح بجلاء ماروى عن مولينا ابى جعفر الباقر(ع):

... ما احد اكذب على الله وعلى رسوله ممن كذبنا اهل البيت وكذب علينا لانه اذا كذبنا او كذب علينا فقد كذب الله ورسوله لانا انما نحدث عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله...[1]

فكما ان الامام(ع) لاحاجة له فى نقل شيئ عن رسول الله (ص) الى راوٍ وناقل، بل يكون مرسله خيرا من مسند غيره للارتباط النوری بينهما، كذلك لاحاجة للامام المعصوم(ع) فى نقل شيئ عن الله سبحانه فيما لايتصل الى التشريع وبيان الاحكام العملية الى رواية راو او نقل حاك .

ويشهد له مارواه المفيد (ره) عن سالم بن ابى حفصة، قال:

لما هلك ابوجعفر محمد بن على الباقر(ع) قلت لأصحابى: انتظرونى حتى ادخل على ابى عبدالله جعفربن محمد(ع) فاعزّيه فدخلت عليه فعزيته ثم قلت انا لله وانا اليه راجعون ذهب والله من كان يقول:قال رسول الله (ص): فلا يسال عمن بينه وبين رسول الله (ص) لاوالله لايرى مثله ابدا قال:فسكت

---

١ ـ مسند الامام الرضا(ع) ١/١٦٠.

ابوعبدالله(ع) ساعة ثم قال:قال الله عزوجل:ان من عبادى من يتصدق بشق تمرة فاربيها له فيها كما يربى احدكم فلوة حتى اجعلها له مثل احد[1].

والسبب فى ذلك هوان الامام المعصوم يسمع مايسمعه رسول الله (ص) ويرى مايراه الا انه لس بنبى كماقاله رسول الله(ص)لعلى(ع) حين قال(ع):

ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحى عليه(ص) فقلت:يا رسول الله(ص) ماهذه الرنة فقال(ص) هذاالشيطان قدايس من عبادته انك تسمع مااسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبى ولكنك لوزير وانك لعلى خير..[2]

و حصيلة الكلام: ان القرآن العينى -اى الانسان الكامل المعصوم(ع)- كالقرآن العلمى متنور بعمود نورى بينه وبين الله سبحانه وتعالى فهويرى مالايراه غيره، بعين لا تشبه عين غيره ليس للشيطان فيها نصيب ولا تغفل تلك العين ولاتجهل ولا تاخذها سنة ولا نوم،لابالذات والاصالة بل بالعرض والتبع، لكون تلك العين النورية مظهراً لله الذى لا تاخذه سنة ولانوم بالذات. ولذلك يكون منام الامام المعصوم(ع) ويقظته واحدة. وهذا مايعطبه كلمة مولينا الرضا(ع) لحسن بن على بن بنت الياس ابتداء:

ان ابى كان عندى البارحة قلت: ابوك ؟ قال(ع): ابى، قلت: ابوك ؟ قال(ع) ابى، قلت ابوك ؟ قال: فى المنام ان جعفرا(ع) كان يجئ الى ابى فيقول يابنى إفعل كذا يابنى افعل كذا، قال: فدخلت عليه بعد ذلك فقال(ع): ياحسن ان منامنا ويقظتنا واحدة[3].

والسر فى ذلك هوكون ذلك العمود النورى قائما بمن هونور السموات والارض وعلى صلة بمن لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولافى السماء

---

۱ - امالى المفيد، المجلس الثانى والاربعون.

۲ - نهج البلاغة، الخطبة القاصعة ۱۹۲. ۳- قرب الاسناد ۲۰۲ - ۱۹۸.

وعلى رباط بمن لايكون نسيا، وعلى سنادٍ بمن لا تاخذه سنة ولانوم. كماو أن القرآن العلمى ايضا لايخرج عن هذه الحال رغم كونه موجودا ممكناً فائضا من لدنه تعالى فاذا كان ذلك العمود النورى المطهر عن رجس الجهل ورجز الغفلة ومااليه موفقا للامام ومسددا له (ع) فطبيعى ان لايكون بين نوم ذلك الانسان الكامل المعصوم (ع) ويقظته فرق اذ تنام عينه الظاهرة ولا تنام عينه البطينة التى لا تشبه اعين الناس. وهذا هوالاصل الذى يترتب عليه غيرواحد من الفروع التى مر بعضها مسبقا، ومن ذلك قول مولينا الرضا (ع) لمن حضر عنده من علماء الكوفة ومتكلميها:

انى اريد ان اجعل لكم حظّا من نفسى كما جعلت لاهل البصرة وان الله قد اعلمنى بكل كتاب انزله[١]...

وللكلام تتمة سياتى بيانها.

تبصرة: فى بطلان الفرق بين القرآن العلمى والعينى كامتناع افتراق احدهما عن الآخر

واذ تبين ان الامام (ع) قرآن عينى وانه لايفترق عن القرآن العلمى كما لايفترق القرآن العلمى عنه لكون كل واحد منها داعيا الى صاحبه[٢] فلايسوغ الفرق بان يتمسك باحدهمادون الآخر اذ ان اخذكل واحد منها بدون صاحبه ليس الابمثابة ترك كليها معا، فلايجوز الاكتفاء باحدهما وحده لابالتفريط ولا بالافراط فلا مجال للغلو فى القرآن العلمى بالتفريط فى القرآن العينى بان يقال حسبنا كتاب الله، كماو لامجال ايضا ـ بذات الدليل ـ للتغالى فى القرآن العينى

١ـ الخرائج ٤٠٦.

٢ـ معانى الاخبار، باب معنى عصمة الامام.

بالتفريط فى القرآن العلمى بان يقال حسبنا ماجاء عن العترة الطاهرة، اذكل واحد من جانبى الافراط والتفريط جاهلية جهلاء، لما مرمسبقا: ان انكار القرآن العلمى جاهلية والاعراض عن الامام المعصوم (ع) ايضا جاهلية كذلك، فالحياة العقلية لا تقضى سوى الاتّباع لماروواه الفريقان عن العقل الاول خاتم الرسل (ص):

انى تارك فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى اهل بيتى فانظرونى كيف تخلفونى فيهما[1]

ومنشاء الاكتفاء باحدهما رافضا للآخر هو توهم عدم صيانة ذلك الاخر، مثلا: ان القول بكفاية القرآن العلمى نابع عن توهم عدم عصمة العترة الطاهرة عن الخطاء فى العلم وعن الخطيئة فى العمل وان القول بكفاية القرآن العينى ـ اى العترة الطاهرة ـ ناش عن حسبان عدم عصمة القرآن العلمى عن لوث التحريف ورجس التصحيف و... وكما ان القول بعدم عصمة العترة الطاهرة يورث الثلمة المفجعة فى الاسلام لايسدها شيئ كذلك القول بعدم عصمة القرآن العلمى عن التحريف يلازم ثلمة فيه يالها من خسارة كبيرة غير متداركة. ومحققوا الامامية بُراء من ذلك، لان الله الذى قال فى حق القرآن العلمى:

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون[2]

وقال فى شأن القرآن العينى:

انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا[3]

---

١ ـ العيون ٢/٣٠.

٢ ـ الحجر/٩.

٣ ـ الاحزاب /٣٣.

منه بريٌ وكذا رسوله الاعظم الذى قال فى‌القرآنين ـ العلمى والعينى ـ «انى تارك فيكم الثقلين».

فالإمامية ـ اى الفرقة الناجية ـ تعتقد وتذعن بأن القرآن والعترة من عند ربنا نؤمن بهما ولانفرق بينهما لانهما لن يفترقا حتى يردا على رسول الله الذى خلفهما فى امته عند الحوض، والافراط فى حق العترة بعينه تفريط فى حق القرآن وموجب لحرمان المجتمعات بل الحوزات العلمية عن علومه، اذالقول بعدم حجية ظواهره لكونه ـ معاذالله ـ محرفا يوجب ان لايجعل القرآن مدارا للمدارسة والبحث والحوار فى‌المدارس والاوساط العلمية المعتبرة ويلازم خروجه عن قطب التحليل والتفسير، كماو ان الافراط فى حقه ـ بالذات ـ تفريط فى حق العترة الطاهرة وموجب لحرمان الامة الاسلامية عن زعامتهم وهدايتهم و حكومتهم وقيادتهم لأن المصير بعدم عصمتهم ـ معاذالله ـ يلازم ان لا تكون سيرتهم و سنتهم التى هى سيرة النبى (ص) وسنته (ص) اسوة للامة الاسلامية ويوجب الحكم بسواسيتهم مع سائرالناس، بينما الامام الرضا (ع) يصارح و يقول: «نحن سادة فى الدنيا وملوك فى الارض» [1].

كما و كتب مولينا اميرالمؤمنين (ع) الى معاوية:

... ولولا مانهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة...
فانا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا... [2]

فاين الثرى من الثريا، لانهم (ع) مجارى فيض الله ووسائط لطفه وان كان الكل مخلوقالله الخالق كل شيئ، الا ان قبول بعض الاشياء للفيض يتوقف على سبق فيض آخر. وهذالايعنى ان افاضته تعالى تكون كذلك

١ـ العيون ٢/٥٧.

٢ـ نهج البلاغة، الكتاب ٢٨.

اذالقبول و الاستفاضة هی المقیدة دون الفعل والإفاضة، فلذاتکون الائمة(ع) صنائع الله بلا وساطة والناس صنائع الله تعالی مع الوساطة، وعلیه: فلایتمکن لهم ان یستفیضوا من الله سبحانه الا بوساطة الائمة(ع)، لانه تعالی لایقتدر علی الافاضة الا بوساطتهم، وکم فرق بین الامرین، وحیث انهم(ع) وسائط الفیض للناس فیجب علیهم -لزاما- طاعة الائمة(ع)، کما اوعزالیه مولینا الرضا(ع) -فی جواب من سئله:

«طاعتکم مفترضة»-: نعم، فقال: مثل طاعة علی بن ابیطالب؟ قال (ع) نعم[1] وقال(ع) عند التطبیق لقوله تعالی:... «والی الجبال کیف خلقت»[2] انها الاوصیاء[3]

یعنی (ع)انهم جبال دین الله ورواسیه المنیعة له عن المَبَدان والاضطراب.

کما قال امیرالمومنین(ع) فی حقهم(ع):

هم(ع) موضع سره... وکهوف کتبه وجبال دینه بهم اقام انحناء ظهره و اذهب ارتعاد فرائصه[4].

ولولا عصمتهم عن الخطاء وصیانتهم عن الخطیئة لما کانوا جبالاً ورواسی و لما کانوا قدیرین علی اقامة انحناء ظهر الدین و إذهاب ارتعاد فرائصه ومالی ذلک من الشئون المتوقفة علی العصمة. وعلی الجملة فلوضل الامام فی مجال علمی اوزل فی شأن عملی اوسهی فی حکم الهی او نسی وحیاً سماویا اوفسّره بها جس نفسانی -والعباذ بالله- لافترق فی ذلک عن القرآن المصون عن ذلک

---

١ - الاختصاص، ٢٧٨.

٢ - الغاشیة/١٩.

٣-مناقب ابن شهرآشوب ٢٢٠/١.

٤ - نهج البلاغة، الخطبة ٢.

كله، مع ان الصادق المصدق الامين على وحى الله اعلن وصارح بانهما لن يفترقا...

كما و ان الزعم الزائف فى تحريف القرآن -معاذالله- ليس الا حكما بافتراقه عن العترة المعصومة المصونة من حيث لايحتسب، رزقنا الله التمسك التام بهما ولايفرق بيننا وبينهما ابدا ووفقنا لان لانفرق بين احد من هولاء السادة لانهم من نور واحد.

كما قال مولينا الرضا(ع) لابن ابى سعيدالمكارى لماقال له (ع):

أبلغ من قدرك ان تدعى ما ادعى ابوك- قال له: مالک اطفاء الله نورك وادخل الفقر بيتک اما علمت ان الله اوحى الى عمران انى واهب لک ذكرا فوهب له مريم ووهب لمريم عيسى فعيسى من مريم و مريم وعيسى شيئٌ واحد وانا من ابى وابى منى وانا وابى شيئٌ واحد[1].

والسر فى ذلك ان حقيقة الولاية والامامة والخلافة وماالى ذلك من الحقايق الانسانية امر نورى واحد لا تعدّدفيه هناك رغم جلائه بصور متعددة فى موطن الكثرة، فلذا يكون الاولياء الكُملّ بعضهم من بعضهم لا تفاوت بينهم فى ذلك الافى مقام الظهور والبروز لافى اصل التحقق والحصول. ومن اظهرمصاديقه مااشتهر نقله عن رسول الله (ص) انه قال (ص): «حسين منى وانا من حسين»، وبما أن ملاك الاتحاد هو اخلاصهم لله الواحد القهار وفنائهم فى فنائه سبحانه، لذلك فان بعضهم من بعض، وكلام كل واحد منهم كلام الآخر-بالذات- وكلام الكل هو كلام خالقهم وبارئهم ومعلمهم وهو الله تعالى.

كمانقل هشام وحماد وغيرهما عن ابى عبدالله (ع) انه قال:

١- تفسير على بن ابراهيم ٥٥١.

حديثى حديث ابى وحديث ابى حديث جدى وحديث جدى حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث اميرالمؤمنين وحديث اميرالمؤمنين (ع) حديث رسول الله (ص) وحديث رسول الله (ص) قول الله عزوجل[1].

فوزان الاولياء هو وزان الانبياء (ع) فمن غلب عليه حكم الوحدة قال لانفرّق بين احد منهم، ومن تغلب عليه حكم الكثرة قال: «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» ـ هكذا قيل ـ وعليه تكون الوحدة باعتبار والكثرة باعتبار آخر بلا تناف بينهما، والفارق انما هو فى سلوك السائر الى الله وان كان هذا الفرق امرا حقيقيا لان شهود السالك الذى يسيرعلى الصراط السوى يطابق الخارج من حيثٍ، وان لايخرج من حيطة نفسه ودرجات سيره من حيثٍ آخر وليس الفرق المذكور فارقا اعتباريا كمافى العلوم الاعتبارية.

---

١ ـ الميزان ١٣٣/١٩.

الفصل الثانی

الجنة الاولى: فى بيان ماهوطريق معرفة القرآن

قد تقدم فى الروضة ان القرآن نور و بيان الهى وحيث إن النور لاظلامة له وان البيان لاابهام فيه، اذاً فهو بريئٌ عن أية ظلمة وخليص عن شوب ایّ ابهام فهو فى تبيين جميع مايتصل اليه، نور وضياء، فلايمكن ان يسكت في تحديد طريق الوصول اليه، لان من اظهر خواص النور هوتوضيح السبيل المنتهية اليه وتعرفة المانع عن التطرق اليه، فالقرآن نور فى بيان شرائط معرفته ونور فى بيان الموانع عنها. فلنأت بشطر من ذلك ولنمهد قبله تقدمة وجيزة هى مايلى:

ان المعرفة والمعروف من سنخ واحد فإن كان المعروف محسوسا يكفيه المعرفة الحسية وان كان متخيلا او موهوما كفته المعرفة الخيالية والوهمية، وان كان معقولا لايكفيه سوى المعرفة العقلية مع الانتفاع المقدمى من المعرفة الحسية والخيالية والوهمية، واما ان كان المعروف فوق ذلك فلا يكفيه شيئ منه اصلا بل لابد من الشهود القلبي والخروج عن اطار الحس ومحبس الخيال وقيد الوهم وحجاب العلم الحصولى العقلى وما الى ذلك من الحجب الظلمانية والنورانية حتى اذا خرقت ابصار القلوب حجب النور تصل الى معدن العظمة وتصير الارواح العتيقة عن عبودية ایّ مولى من الموالى الباطلة الداخلة والخارجة معلقة بعز قدس الله سبحانه ملحقة بنور عزه الابهج من كل بهيج فتكون له سبحانه عارفة وعن سواه منحرفة ومنه تعالى خائفة مراقبة خوفا عن التلوث بالنظر الى

الغير وعن التلطخ برجس من سواه.

(والمحصّل) ان معرفة كل شيى فانما هى من سنخه ليس الا... وحيث ان القرآن حبل متصل من تخوم عالم الحس الى عنان عالم العقل ثم من عرش العقل الى قاب قوسين اوادنى فلايمكن الاعتصام باىّ حدٍ من حدوده الا بيد المعرفة المسانخة لذلك الحد من ادنى انحائها وهو الحسى حتى اعلاها وهوالشهود المحض الايمانى لمن كان له قلب لايكذب مارأى وبصر لايزيغ ولا يطغى و ذاك هو رسول الله (ص) و عترته الطاهرة الذين هم من نور واحد ولامايز بينه (ص) وبينهم (ع) الا فى النبوة و الرسالة دون الولاية التى هى الباطنة لاىّ مقام وهى المشتركة بينه (ص) وبينهم (ع) كما مر.

اضف الى كل ذلك: ان القرآن الكريم له الفاظ دالة على المعانى، فلامحالة يشتمل على حقول كيثرة وسيعة من العلوم الادبية كالنحو والصرف واللغة والمعانى والبيان والبديع ومااليها من العلوم الاعتبارية التى وضعتها يدالاعتبار وان كانت لتلك العلوم ايضا صلات رقيقة الى الحالات النفسانية من البعث والزجر والبسط والقبض والتهييج والتسكين والفرح والهم والنزوع والانعزال والشهرة والخمول ونحوذلك من الامور الحقيقية ـ على الجملة ـ الا ان اس تلك العلوم الادبية انما هى الاعتبارات العقلائية الدائرة مدارها وجودا وعدما وهكذا سعة وضيقا ودرجات تلك القواعد الاعتبارية ـ ايضا ـ تختلف ـ فى نفس الوقت ـ باختلاف اعتبارها فى مرتبة الحس والخيال والوهم حتى ينتهى الى موقف منزه عن الاعتبار مجرد عن قيدالوضع. ومهمايكن من امر فإن المعروف الحقيقى لايناله الا المعرفة الحقيقية وان المعروف الاعتبارى تكفبه المعرفة الاعتبارية فكلّ بحياله.

وبعد تمهيد هذه التقدمة نقول: إن القرآن قدبين شرائط معرفة نفسه من

ادناها الى اعلاها واهمها وحث الناس لتحصيلها و ابان عن موانع معرفته من ارقها الى اغلظها واكثفها وحذرهم عنها. فتمام المقال فى مقامين: احدهما فيما يرجع الى شرائط المعرفة وثانيهما فيما يرجع الى موانعها:

المقام الاول: فى شرائط معرفة القرآن

وحيث ان القرآن كلام بلسان خاص وكتاب بلغة مخصوصة فلابد لسامعه وقارئه من الاطلاع على كلماته وحروفه ومفرداته وتراكيبه حتى يتيسر له قرائته اواستماعه وانصاته له. فغير العارف بالعربى والذى لايميزه عن غيره ولايعرف هذااللسان المخصوص لايقتدر على تلاوته التى هى اقل درجات الصلة به، وقد امر الناس بذلك فى غير مورد، كما قال سبحانه:

... فاقرءوا ماتيسر من القرآن[١].

وقد كان مولينا الرضا (ع) يكثر بالليل فى فراشه من تلاوة القرآن فاذا مربآية فيها ذكر جنة اونار بكى وسئل الله الجنة وتعوذ به من النار...[٢].

كما و ان الشرط البدئى للتدبر فيه هو معرفة قواعد هذااللسان وعلومه الخاصه به، حيث قال سبحانه:

انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون[٣].
كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون[٤].
قرآنا عربيا غيرذى عوج لعلهم يتقون[٥].

ومعنى كونه غيرذى عوج هو ان القرآن بلفظه ومعناه صراط سوىّ

---

١ - المزمل /٢٠.
٢ - عيون الاخبار، ٢/١٨٠.
٣ - يوسف /٢.
٤ - فصلت /٢٨.
٥ - الزمر /٢٨.

لااعوجاج له ولایمکن تعویجه بالعلاج، لان التعبیر بغیر ذی عوج انما هو کالتعبیر بغیر ذی زرع فی الدلالة علی انه لایتمکن من تغییره بالعلاج الصناعی، لانه لیس بمزروع بالفعل وبما ان القرآن بلسان عربی غیرذی عوج فانه یلازم الاطلاع التام علی قواعده لکی ینال لفظه بادئا ومعناه ثانیا. وقدوصف الله سبحانه هذااللسان مرة بانه غیر ذی عوج وتارة اخری بانه عربی مبین ای یبین الالسنة و لا تبینه الالسنة. فلهذا اللسان خصیصة لا توجد فی غیره کما اوعزالیه سبحانه بقوله:

لسان الذی یلحدون الیه اعجمی وهذالسان عربی مبین[1].

فکما ان معانی القرآن معارف عالیة الرفوف لا تناوشها الّا العقول الراقیة الرفیعة عن صعید الحس والخیال والوهم حیث ان تلک المعارف کتب مرفوعة شأنا وصحف مطهرة ذاتا، کذلک الفاظه فانها جعلت بلسان عربی مبین لا تنال قواعده الا الادباء والفصحاء والبلغاء فیما یتصل الی علومها الادبیة التی هی فی بادی الامر فاذا تحصل الشرط البدئی- ای التطلع علی قواعد العربی المبین -تصل النوبة الی معرفة معانی القرآن وشرائط تلک المعرفة، فکما ان الله سبحانه امر بتلاوته ورغب الناس الیها وبین لها آدابا من الاستعاذة عند القرائة حدوثا وبقاء حیث قال تعالی:

فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشیطان الرجیم[2]

ای استعذ بالله الذی لاملجأ إلّاالیه. ولن تجد من دونه ملتحدا[3] لکی

---

۱ - النحل /۱۰۳.

۲ - النحل /۹۸.

۳- الکهف /۲۷.

لايسلّط عيك الشيطان:

انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون[١].

فادب التلاوة هوالالتجاء بالله حال القرائة لافى خصوص حدوثها بل فى تمام مدتها حدوثا وبقاء، ومن تلك الاداب الترتيل حيث قال سبحانه:

ورتل القرآن ترتيلا [٢]

ونحو ذلك من السنن التى تذكر للتلاوة، كذلك قدامر بالتدبر فيه وحث الناس اليه وبين له آدابا وسننا وجعل ذلك هوالتكليف الهام الالهى حيث قال تعالى:

كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب[٣]
افلم يدبروا القول ام جائهم مالم يات آبائهم الاولين[٤].
افلا يتدبرون القرآن ولوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً[٥].

وقال سبحانه:

افلايتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها[٦].

الى غير ذلك من الآيات الحاثة للتفكر والتعقل والتعلم لمعارف القرآن وبما انها ليست محسوسة ولا متخيلة ولاموهومة كما و انها ليست امورا اعتبارية اسّستها يدالاعتبار، بل امور وجودية حقيقية فلذا لا تدركها الحواس ولا تناوشها

١ـ النحل /١٠٠.
٢ـ المزمل/٤.
٣ـ ص /٢٩.
٤ـ المؤمنون /٦٨.
٥ـ النساء/٨٢.
٦ـ محمد(ص) ٢٤.

المخيلات والاوهام، لان الله سبحانه ووحدته وعلمه المحيط بكل شيئي وقدرته المسيطرة على كل شيئي وحياته المطلقة التى لايناله الموت... ومالى ذلك من الاوصاف الحقيقية التى بيّنها القرآن فى حقل الالهيات... منزهة عن منال الوهم والخيال فضلا عن الحس وهكذا الوحى والنبوة والرسالة والامامة والخلافة والعصمة والملائكة واليوم الاخر بماله من المواقف.

فان كل هذه مما لا امكان لنيلها باطار الحس الظاهرى وان أمكن تخيل بعضها وتوهم بعضها الآخر،بيد ان معرفتها الصحيحة انما هى بالعقل المحض اوالشهود التام ليس الا... ولذلك لا تكون علوم القرآن كالعلوم الطبيعية اوالتعليمية اوالادبية مما يمكن ان ينال بالحس والتجربة او الاعتبار،وان كان معيار جميع العلوم والادراكات هوالعقل عندالتحليل لاستناد جميعها اليه، الا ان لتلك العلوم مبادى محسوسة ينالها الحس او مبادى اعتبارية تنالها يدالاعتبار. اما العلوم الالهية المشار اليها فهى فوق الحس والاعتبار فلا تكون متحدة المساق مع العلوم التجريبية وغيرها مماله مساس بالمادة ذهنا وخارجا اوخارجا فقط، وذلك لان تلك العلوم الإلهية منزهة عنها مطلقا وبمعنى الكلمة بحيث يكون التعلق بها مانعا عن ادراك تلك العلوم حسبما ياتى بيانه عندالتعرض لذكر الموانع عن معرفة القرآن.

وانما الكلام ـ الآن ـ فى شرائطها: فمنها الطهارة عن اىّ رجس والنزاهة عن اىّ رجز. قال سبحانه:

انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسّه الا المطهرون[1].

اى الذى ينال مافى الكتاب المكنون عن الاجنبى المستورعن الغيرانما هو

---

١ ـ الواقعة ٧٧-٧٩.

الانسان المطهر عما ينجسه وذلك الكتاب المكنون هو وعاء لهذا القرآن الكريم ومحيط به وبباطنته ومعناه ومقصده ولا تدركه الحواس.

(ثم) انه تعالى بعد عرض هذاالشرط الهامّ بين واجديه ومايتّصل بهم وعرفهم للناس حيث قال:

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا[1].

ولما كان التطهير انما هو لازالة الآثار الباقية بعدزوال العين، فقد ذكره الله بعدالاذهاب فمعناه انه لامجال لعين الرجس ولالاثره نهائيا فى اهل البيت(ع) وهذا فى مقام دفع الرجس رأساً لافى مقام رفعه بعد الوجود ومقتضى الحصر فى قوله تعالى لايمسّه الاالمطهرون هو ان النيل بكنه القرآن الذى هوالكتابُ المكنون مختص باهل البيت(ع) وهذا هوالمعية المتحققة بين الثقلين التى افادها وتفوه بها الرسول الأعظم(ص).

فالقرآن ينادى بانه لايدركه حق الادراك ولا يناول مكتنهه الااهل بيت الوحى والعصمة(ع)، كما وانهم(ع) يدعون حق الدعوى بانه لايناوش كنه القرآن ولايعلم تاويله الا الراسخون فى العلم وان العترة الطاهرة هم الراسخون فيه، وقد عقد له باب فى الجوامع الروائية كمافى بصائر الدرجات وغيرها[2] وانهم عالمون بظاهرة القرآن وباطنه وانه ماجمع القرآن كله غيرالاوصياء[3] فمن كان طاهرا بانحاء الطهارة التى اصفاها هى الطهارة عن رؤية الاخلاص كماقيل: «فمن رزق الطهارة حتى عن الاخلاص فقدمُنِحَ الخلاص»، فهوالحريّ بالعلم بالكتاب المكنون ومن لم يطهر بجميع انحائها بل تطهر ببعضها فقط فهوالعالم

---

١ - الاحزاب /٣٣.

٢ - البصائر، ٤ - ٢٢٠.

٣ - البصائر، ٤ - ١٩٣.

بالقرآن على قدر طهارتـه، وحيث ان النيل بكنه القرآن مشروط بالطهارة التامة المعبر عنها بالعصمة وان العترة الطاهرة هم المعصومون بعصمةٍ الهية، فلذا جعل الله سبحانه رسوله مبينا لكتابه ومفسرا له كماقال تعالى:

وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم[١]

وقد مرمسبقا ان الائمة(ع) والرسول(ص)نور واحد لااختلاف بينهم فى الولاية وان امتاز الرسول(ص) عنهم(ع) بالنبوة والرسالة، فهم العالمون بتفسير القرآن وتأويله وظاهرته وباطنته كماهو قضية اطلاق المعية وعدم انفكاك احد الثقلين عن الآخر فى مرتبة من المراتب الوجودية أصلا، ولايمكن النيل الى جميع الحدود الالهية الا بالمراجعة الى العترة الطاهرة، كما لاامكان للاعتماد على مانقل عنهم الا بعد عرضه على القرآن سواء فى ذلك الاخبار المتعارضة وغيرها حسبما تواتر نقله عنهم(ع). وهذا ـ ايضا ـ مقتضى اطلاق المعية بينهما والعارف باسلوب الثقلين يعلم انه كيف يتوقف فهم كل منهما على الآخر كى لايلزم محذور الدور، بل انما يترتب عليه اثر التلازم وامتناع افتراق احدهما عن صاحبه.

والى ماذكرنا من ان العلم ببطن القرآن وكذا تاويله عندالعترة الطاهرة اشار مولينا الرضا(ع) لما قاله(ع) على بن محمدبن الجهم:

يابن رسول الله(ص) أتقول بعصمة الانبياء؟ قال(ع): بلى، قال: فماتعمل فى قول الله عزّوجل وعصى آدم ربه فغوى و... حيث قال(ع): ويحک ياعلى اتق الله ولا تنسب الى انبياء الله الفواحش ولا تأول كتاب الله عزوجل برأيک فانّ الله عزوجل يقول ومايعلم تاويله الاالله والراسخون فى العلم...[٢]

١ـ النحل /٤٤.

٢ـ امالى الصدوق، المجلس العشرون.

فالمحصل: ان القرآن من الصحف المطهرة كماقال سبحانه:

... في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة[١]

وقال ايضا:

رسول من الله يتلو صحفا مطهرة[٢].

وقد او عرنا مسبقا الى ان معرفة كل شيء فانها مسانخة مع ذلك الشيء، اذاً فمعرفة الصحيفة المطهرة لابد وان تكون مطهرة عن رهن الوهم ورين الخيال وصداء الغفله. و من البيّن ان المتوهم والخيّال وذلك المبتلى بصداء الغفلة لاينال المعرفة المطهرة ولاتجعل هي نصيباله وقد عرف الله سبحانه المطهرين وهم العترة المعصومة(ع). ثم انه تعالى حث الناس في تحصيل الطهارة فقال:

ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين[٣]
والله يحب المتطهرين[٤]

لان الحكم بمحبوبية الانسان المتطهر لله سبحانه ترغيب لهم في تحصيل ملاك المحبة وقد بين سبحانه طرق التطهير. فنها بالانفاق في سبيل الله كماقال تعالى

خذ من اموالهم صَدَقة تطهرهم وتزكيهم بها[٥]

ومن ذلك رعاية الحجاب والعفاف كماقال تعالى:

... واذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن[٦].

---

١ ـ عبس /١٤.
٢ ـ البينة/٢
٣ ـ البقرة /٢٢٢.
٤ ـ التوبة /١٠٨.
٥ ـ التوبة /١٠٣.
٦ ـ الاحزاب /٥٣.

ومنها الطهارة المائية و الترابية لمايشترط بها كالصلوة، قال تعالى:

... وان كنتم مرضى اوعلى سفر اوجاء احد منكم من الغائط اولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا... ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم... .[1]

اذالمراد من الطهارة فى هذه الاية ليس هومجرد النظافة والا لما اعتبر فيها القربة (اولا) ولما كانت حاصلة بالتراب كمافى التيمم (ثانيا) اذ ليس تتريب الوجه والبدين تطهيرا لصاحبه، بل المراد منها الطهارة عن دنس الهوى و النزاهة عن رجس الغرور ومـاالى ذلك وان يصحبها النظافة الظاهرية فى الجملة ايضا ومن طرقه: التردد الى المساجد المؤسسة على التقوى لاقامة الصلاة ونحوها كقوله تعالى:

... فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطّهّرين[2]

وما اليها من الشواهد التى يدلنا على ان اساس الطهارة هوالعبادة لله سبحانه فيما امر به اونهى عنه فمن كان اعبدواطوع له تعالى فهو اطهر وازكى ويحظى من الصحف المطهرة باكثر و اوفر واما المستنكف والمستكبر عن عبادته فهو عنصر متدنس برجس الطغيان وبرجز العَمَة فى سكرة الطبيعة فلانصيب له من تلك الصحف المطهرة لفقدان شريطة المعرفة وهى الطهارة، كماقال تعالى:

... ومن يرد الله فتنة فلن تملك له من الله شيئاً اولئك الذين لم يردالله ان يُطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم[3].

والمرادمن الارادة فى هذه الاية هى التكوينية منها دون التشريعية

١ـ المائدة/٦.

٢ـ التوبة/١٠٨.

٣ـ المائدة/٤١.

لاطلاقها و سعتها بالنسبة الى جميع المكلفين، حيث انه تعالى اراد بارادة تشريعيّة عامّة ان يطهر جميع العباد ويزكيهم، ولذلك جعلهم تجاه التكاليف المطهرة لهم المزكية اياهم سواسيه، ولكن قد اعرض طائفة منهم عنها وغرتهم الحيوة الدنيا واشتروها بالحيوة الآخرة فاولئك الذين لم يرد الله تكوينا ان يطهر قلوبهم كماو ان الارادة فى آية التطهير هى التكوينية منها لانها هى المختصة بالعترة الطاهرة. واما ارادة التطهير بارادة تشريعيّة فهى عامة لغيرهم ايضا. و من الشواهد على ان الطهارة فى هذه الآيات هى الطهارة المعنوية قوله تعالى: ...لم يرد الله ان يطهر قلوبهم... حيث انه جعل متعلق التطهير قلوب هولاء وبواطنهم لاابدانهم والظواهر منهم، وهذا -بالذات- كما ان الله سبحانه قداراد بارادة تشريعية عامة ان يرتفع جميع العباد من حضيض عالم الطبيعة لكى يرتقوا الى ماوراها لذلك كلفهم بامور عبادية يتقربون بها الى الله الذى هوالكمال المحض اى يرتفعون اليه ولم يخص بعضهم دون بعض بما يوجب الرفعة بل اذن لهم جميعا ان يتكاملوا وجعل جميع الامكنة والازمنة فى ذلك سواء بالاذن التشريعى العام.بيد انه تعالى جعل المساجد والمشاهد المشرفة بيوتاخاصة واراد واذن تكوينا ان ترتفع تلك الاماكن بحيث لايمكن ان يمانعه شيئ. حيث قال تعالى:

... فى بيوت اذن الله ان ترفع[1]

فالاتيان الى المساجد والترادد الى المشاهد المشرفة يوجب الترفع الممدوح كماقال تعالى:

... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات[2].

١- النور/٣٦.　　　٢- المجادلة/١١.

فاذا اصبح الانسان المتعبد بماامره الثقلان رفيعا باذن الله تنال يدعقله صحفا مرفوعة عن نشأة الحس والخيال والوهم وعن موطن الطبيعة.

ومما ذكروبان يظهرلنا: ان هنا شرطا آخر لمعرفة القرآن هوالرفعة عن حضيض الطبيعة وان العترة الطاهرة(ع) واوليائهم وتابعيهم هم المرفوعون من عندالله. وان طريق تحصيل تلك الرفعة اتيان المساجد والمشاهد الرفيعة والتعبد بما امره الكتاب والعترة وان المعرضين عن تلك البيوت الرفيعة والذين لم يتعبدوا بما فى الكتاب والسنة، اولئك لم يرد الله ان يرفعهم عن حضيض الطبيعة تكوينيا وان اراد رفعتهم عنها تشريعيا، كماقال تعالى:

... ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه[1]

حيث إنه تعالى اراد رفعه تشريعيا وآتاه من آياته، الا انه بالذات انسلخ منها ومال الى الارض ولم يحصل شريطة ارادته التكوينية لرفعته،فلذالم يرد الله ان يرفعه تكوينا، وقد انصرح ان استنباط هذا الشرط انما هومن توصيف الله سبحانه تلك الصحف الالهية بالرفعة ومرمسبقا ان معرفة كل شيى فانّما هى من سنخه وعليه فلابد فى معرفة الصحيفة الرفيعة من رفعه عارفها، حسبما تقرر فى شرطية الطهارة للمعرفة اذتوصيف الصحيفة بالرفعة بمثابة ان يقال... لايمسها الاالذين رفعهم الله مكانا عليّا.

ومن هنا يظهر-ايضا- ان من شرائط معرفة القرآن الكرامة عن كل دنيئة لان من اوصاف الصحف الالهية التى يكون القرآن من اشرفها هوالتكرم الالهى، كماقال تعالى:

فى صحف مكرمة... بايدى سفرة كرام بررة[2]

---

١ ـ الاعراف /٧

٢ ـ الواقعة /٧٧.

كما وانه تعالى وصف القرآن ـ ذاتيا ـ بالكرامة، حيث قال: «إنه لقرآن كريم[1]» فالمستفاد منه ان القرآن مظهر للاسم الكريم حيث انه من الاسماء الحسنىٰ الالهية لقوله تعالى:

... قال هذا من فضل ربى ليبلونى ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم[2].

وغير خفى للقارئ الكريم ان توصيف كتاب بوصف خاص يرشدنا بطبيعته الى لزوم تحصيل مايرتبط منه الى من يباشره ويزاوله فى معرفة ذلك الكتاب. خذ مثالاً ان توصيف القرآن بانه عربى مبين يدلنا على ان العارف بالقواعد العربية هوالذى يقتدر على عرفانه، فكذلك توصيفه بالكرامة يدلنا على ان الانسان الكريم هوالذى يتيسر له معرفته، لان الرسول الكريم وكذلك القرآن الكريم لاينطقان الا بالكرامة فمن لاحظ له منها كيف يقتدر على عرفانها.

وقد بين الله سبحانه مدار الكرامة وانها هى التقوى ليس الا. اذ بحدوثه تحدث الكرامة وببقائه تبق وبشدته وقوته تشتد الكرامة وتقوى حيث قال تعالى:

... ان اكرمكم عندالله اتقيكم[3].

وبزواله تزول وتنتفى رأسا اذ لوزال التقوى بالطغوى لزالت الكرامة بالإهانة كماقال تعالى:

١ـ الواقعة/٧٧.

٢ـ النمل /٤٠.

٣ـ الحجرات /١٣.

... ومن يهن الله فماله من مكرم[1]

لان الله تعالى لايكرم الا المتقين فمن انسلخ عن التقوى بالطغيان فقد تبدل كرامته بالهوان بسوء اختياره فلانصيب له من كتاب يحوم حول الكرامه وتحوم حوله الكرامة، فعليه تكون الكرامة عن الدنائة الدنياوية شرطا هامّا لمعرفة القرآن الكريم لان توصبفه بالكرامة فى قوة القول يانه لايمسها الا من اكرمه الله عن عَرَض هذا الادنى فالنتيجة المنطقية والطبيعبة هى ان من غرته الدنيا وباع حظه بالارذل الادنى وشرى آخرته بالثمن الاوكس وتغطرس وتردى فى هواه لايرث من الكتاب الكريم شيئا وان تلاه و قبّله وجعله على راسه احيانا والسر هو ما اوعزنا اليه مسبقاً.

ومن تلك الشرائط: معرفة الغيب والايمان به فى الجملة، اذالقرآن كماتقدم يخبر عن الغيب وباطن العالم فالذى يرى ان الوجود يساوق ويساوى للمادة وان كل موجود فهو مادى ليس الا. وان مالا مادة له فهو غير موجود حقيق بل خرافى ابدعه الوهم ونسجته يدالخيال فلا حظّ له عن كتاب يقسم الموجود الى الغيب والشهادة وان بعض الموجودات ليس بمادى وان معيار المعرفة ليس هوالحس وحده بل له وللتجربة عون لماهوالمعيار الاصيل فى المعرفة الذى هوالعقل اوالشهود وان منشاء اعتبار الحس والشهادة هوالعقل المجرد الذى هو بنفسه غيب عن عالم الطبيعة. ولقد بين لله سبحانه سرّ عدم انتفاع من حصر الوجود فى المادة بقوله تعالى:

... ولكن اكثر الناس لايعلمون، يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون[2].

١- الحج /١٨.

٢- الروم/٧.

يعنى انهم لايعلمون باطنة الحيوة الدنيا وهى الآخرة وهى مع انها موجودة لا تكون مورداً لالتفاتهم بل هم عنها غافلون ولذا امر رسوله (ص) بالاعراض عنهم لعدم بلوغ علمهم النصاب اللازم لمعرفة القرآن، كماقال تعالى:

فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هواعلم بمن ضل سبيله وهواعلم بمن اهتدى[١].

والذى يصحح هذا الإعراض ويوجب الهجرالجميل هو ان القرآن وان انزل هدى للناس فى اىّ مصرو عصر الاان معارفه المبتنية على الغيب لا تثمر لمن ينادى بانه لايؤمن بشئ حتى يحسه ويراه جهرة، فلذا قال تعالى:

... هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب[٢]

وهذا الشرط ايضا كغيره من الشرايط القادمة والغابرة يحمل درجات فمن كان واجدا لها جميعا فانتفاعه بالقرآن اكثرو اكثر... ومن كان واجداً لبعض درجاته فانتفاعه منه بذلك المقدار ايضا، كما وان القرآن العينى -وهو الرسول (ص)- قد ارسل للناس اجمع، كماقال تعالى:

وما ارسلناك الا كافة للناس بسيرا ونذيرا[٣].

لكن الذى ينتفع منه هو خصوص المؤمن بالغيب، فلذا قال تعالى:

لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا[٤]

والمطالع الخبير الفطن يقف على اهمية هذه الشريطة مقيسا الى غيرها من الشرائط، ولوقيل بانه اهمها لم يجزف فى القول، وذلك لان الشرائط التى تتصل

١- النجم ٣٠- ٢٩.

٢- البقرة /٣- ٢.

٣- سبأ /٢٨.

٤- آل عمران /١٦٤.

الى العقل العملى ليست فى رتبة الشرائط الراجعة الى العقل النظرى، كماوان العقل العملى -ايضا- ليس فى مرتبة العقل النظرى، مثلا ان الطهارة عن دنس التعلق بالعرض الادنى وكذا الكرامة عن هذه الدنيا الدنيئة والرفعة عن حضيض التعلق بالمادة وزخرفها وزبرجها وزهرتها وماالبها من الاوصاف النفسانية الراجعة الى العقل الذى يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان من شئون العقل العلمى، واما اساس المعرفة ومعيارها العقلى المذعن بان الموجود على قسمين احدهما غيب والاخر شهادة وان الله و وحدانيته وسائر اوصافه الذاتية غيب عن موطن الطبيعة ومنزه عن رجسها ومطهر عن رجزها، وكذا الملائكة والوحى والنبوة والرسالة والخلافة الالهية والعصمة والعلم بالمغيبات والاخبار عنها وماالى ذلك من المعارف القرآنية، ترجع -كل ذلك- الى عالم الغيب الذى لا تدركه الحواس ولا تناوش فى اطار التجربة، ولا تناله يد الاعتبار الاجتماعى، ولايمس كرامته نسيج الخيال والوهم الشعرى فاساس العلوم القرآنية على المجردات الغائبة عن الاوهام فضلا عن الحواس فاهم الشرايط اللازمة لمعرفة القرآن انما هو جعل معيار المعرفة العقل المنزه عن الطبيعة و تسلّم انّ الوجود باطلاق كلمته ليس منحصرا فيها بل هو ينقسم اليها والى ماورائها وعندئذ: يتمكن من التدبر فى القرآن والاستنباط منه والاعتماد عليه والسناد اليه والاستدلال به والانتفاع بهداه وذلك بعد احراز سائر الشرائط ايضا.

ولنأت -الآن- بنماذج من المعارف الغيبية التى افادها القرآن الكريم وانه كيف انكرها الملاحدة متعجبين ومشمئزين منها وكيف عبروا عنها بالاساطير... وذلك لانهم لماتغلب على اوهامهم ان الموجود هوالمحسوس: ليس الا، وان مالايناله الحس بجوهره فان فرض وجوده محال، وان مالا يتخصص بمكان ولايتحيز ولا يوضع بذاته كالجسم او بسبب ماهو فيه كاحوال الجسم...

فلا حظ له من الوجود نهائيا[١]. فكانوايقولون:

... وما يهلكنا الاالدهر[٢]

وكذا يقولون:

لن نؤمن لك...اوتاتى بالله والملائكة قبيلا[٣]

اى: تاتى بالله حتى نراه مقابلا وكفاحا ماديا وكذا تأتى بالملائكة حتى نراهم مقابلين لنا ومن البيّن ان من يحمل من العلم هذا القدر الزهيد التافه كيف يتيسر له ان يدرك الله الذى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ومن اين يتمكن من عرفان النشاة الغائبة التى لا ترى الملائكة الا فى تلك النّشأة اوفى تلك الحالة لمن لم ينتقل بعد الى تلك النشأة، كماقال تعالى:

يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ ويقولون حجرا محجورا[٤]

وكذا كانوا يقولون:

لولا نزل هذاالقرآن على رجل من القريتين عظيم[٥].

لانهم قد اخلدوا الى الارض وظنوا ان الاصالة للمادة وان الواجد لزخارفها وزبارجها هوالعظيم وأن النبوة شأن مادى له عظمة فلابد وان يختص لمن يكون عظيما. ومن الواضح ان من حظى بهذا العلم الأتفه الايسر كيف يتيسرله ادارك ان النبوة شان الهى هام يحمل قداسة معنوية عظيمة لاينالها الا

---

١ ـ الاشارات، النمط الرّابع، الفصل الاول.
٢ ـ الجاثية/٢٤.
٣ ـ الاسراء/٩٢.
٤ ـ الفرقان/٢٢.
٥ ـ الزخرف/ ٣١.

صحيب الخلق العظيم والملكات النفسانية المعظمة كالعصمة وماإليها، و لذلك نراه يتهوس ويبدى بانه. «لن يؤمن حتى يوتى مثل مااوتى رسل الله». على حدما حكاه عنهم

قوله تعالى:

بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشّرة[1].

وكذلك كانوا يقولون:

ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين[2]

ويقولون:

أاذامتنا وكنّاترابا ذلك رجع بعيد[3]

اى بعيد عن الامكان و مستبعد عن الدليل العقلى المزعوم. فكان من الطبيعى لهم ان يستوحشوا من المعاد ويتعجبوا منه بقولهم:

هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد[4]

ومن اللائح ان الذى نطاق علمه بهذا الضيق كيف يتمكن ان يدرك ان الانسان لايفوت بالموت بل يتوفى وانه لايضل فى الارض بل ينتقل من دار الى اخرى.

فهذه نماذج مما يرجع الى المبدء والمعاد والوحى والنبوة المبتنية -بكلها- على ان الحس ليس هوالمعيار الوحيد فى المعرفة وانّ الموجود ليس منحصراً فى

١- المدثر/ ٥٢.
٢- المؤمنون /٣٧.
٣- ق / ٣.
٤- سبأ / ٧.

المحسوس. لذلك نرى الملحدين المتغلب على اوهامهم ان مالاايناله الحس فهو ممتنع الوجود يتفوهون حول المعارف الغيبيّة بانها ليست:

الا اساطير الاولين[١].

وحيث ان تلك المعارف الغيبية من مشتركات النبوة بلااختصاص لها بنبي دون نبي كذلك هذه الاقاويل ايضا من مشتركات الجاهلية المادية من دون خصيصة لها بملحد دون آخر، فلذا نرى هذا القول الباطل فى غيرمورد من القرآن الكريم ناقلا له عن ملاحدة كل قوم وعصر قبال كل نبي ورسول. ولايبلغ اقصى شبهات الماديين اليوم رغما لرقيّ الصنائع والحِرَف ولايتعدى اعضل مشاكلهم الاعتقادية عما ابداه اسلافهم الملاحدة، لأن قلوبهم متشابهة متسانخة وان اختلفت السنتهم والوانهم وساير خصيصاتهم. فكما ان السلف الصادّ عن سبيل الله كان يقول بمثل:

يا شعيب مانفقه كثيرا مما تقول[٢]

كذلك الخلف الطالح يعبر عن ماوراء الطبيعة بالتّحجر والارتجاع ومااِلى ذلك من الافك كالقول بان الدين مخدر وافيون للشعوب و ....

الى هنا انتهى الكلام فى المقام الاول الباحث عن شرائط معرفة القرآن، ويمكن ان نتعرض لمالم يبحث عنه هنا فى المقام الثانى المعقود حول موانع معرفته كما وانه قد تعرضنا لبعض تلك الموانع فى ثنايا البحث عن الشرائط لان كل مايكون شرطا لها ينتزع من مقابله المنع عنها، لذلك فقد يذكر وصف كمالى شرطا لها وقد يذكر مقابله مانعا عنها حسبما يظهر من الآى المبحوث عنها فى

١ـ الانعام / ٢٥.

٢ـ هود / ٩١.

المقامين، وعليه: فلنعطف المقال الى المقام الثانى.

المقام الثانى: فى موانع معرفة القرآن

كما ان للعين شرائط خاصة يقتضيها ويصححها وموانع يمنعها ويبطلها كذلك للعلم شرائط يوجبه وموانع يمنعه، وذلك لان النظام العلى لااختصاص له بالعين بل يعم كل موجود لايكون وجوده عين ذاته حسبما افاده مولينا الرضا(ع):

كل قائم فى سواه معلول[1].

وقد مرمسبقا بيان الشرائط الهامة لمعرفة القرآن واستفبد فى ضوئها الموانع عنها بنحوالاجمال، بيد ان القرآن الكريم لم يكتف فى عرض تلك الموانع بالبيان الاجمالى والضمنى بل تعرض لها بالتفصيل وحذّر عنها بصراح،وكما ان الشرائط كانت على قسمين: احدهما مايتصل الى العقل النظرى والاخر الى العقل العملى، كذلك الموانع على صنفين: احدهما يتصل الى الجهل المقابل للعلم والاخر الى الجهل المقابل للعقل المستعمل فى لسان الثقلين بمعنى مايعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان اى العقل العملى الموجب لعقال الغرائز الجموحه والاهواء الطاعية. فلنأت بتلك الموانع بلااستيعاب الفرق بين الصنفين منها وان امكن الاشارة الى ذلك اجمالا على وزان ماتقدم فى الشرائط.

فمن تلك الموانع بل اهمها هوالجهل بان الموجود على قسمين احدهما غيب والاخر شهادة بزعم انحصاره فى الطبيعة المشهودة بالحواس كان هذا هوالسبب فى انّهم لما سمعوا المعارف الغيبية سيما المعاد زعموا انها امور طبيعية تدرك

---

١ ـ التوحيد، ص٣٥، عيون الاخبار الرضا(ع)١/١٥١.

بالحواس، فلمالم يجدوها في نشأة الدنيا المحسوسة انكروها، كما اوعزاليه سبحانه بقوله:

واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ماكان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لاريب فيه ولكن اكثر الناس لايعلمون[1]

اذ الجهل بان القيامة غيب لا تنال بالحس الدنياوى وانها انما تظهر بعد تبدل النشأة الدنياوية هوالذى حداهم لذلك الاحتجاج الداحض عند ربهم وهذا هوالجهل المقابل للعلم حسبما ذيلت الآية به وهو قوله تعالى:

...ولكن اكثر الناس لايعلمون.

وهذا المانع هوالداء العضال الموجب للإلحاد سيما عند رقى الصنائع ومشاهدة آثارها الطبيعية في الفضاء والبرارى وفي البحار و... حيث ان وليد التفكر المادى ونانجه الحاصر للوجود في المحسوس هوان الشيئ اذاوسم بالموجود فلابد وان يتطلع عليه بالحاسة سواء في الارض ام في السماء، فاذالم يحس به في الموضعين يحكم جزميا بانه معدوم ليس الا... و ان الاعتقاد به اسطورة، كماقال فرعون:

ياهامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب، اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا...[2].

غافلا عن كون وجود الله سبحانه غيبا لا تدركه الاوهام فضلا عن الحواس و جاهلاعن كونه تعالى:

١ـ الجاثية / ٦ ـ ٢٥.

٢ـ الغافر/٣٦.

هوالذى فى السماء اله وفى الارض اله[1]

فكما انه سبحانه اله فى الارض لايرى بالحس كذلك هواله فى السماء لايرى بالحاسة فلايجدى ولايعالجه الصرح الرفيع، كمالا تنفع المراصد وما اليها من الادوات وجهازات العلوم المادية لان الذى فيضه تعالى داخل فى كل شيئ حتى الصرح لابالممازجة وخارج عنه لابالمزايلة كيف يمكن ان يحيط به الحس المسلح اوغيره....!

وحصيلة الكلام: ان الجهل بأن الله سبحانه غيب عن الحواس هوالموجب لتفوه فرعون بمقالته التافهة وهو المانع عن معرفة القرآن المنادى بانه تعالى لا تدركه الابصار فشريطة المعرفة عندالمنكر المادى الملحد هو ـ بالذات ـ رادع عن عرفان الله واسمائه الحسنى الغيبية، كما افاد مولينا الرضا (ع) فى جواب من سئله...

«كيف هو واين هو؟» فقال (ع): ويلك ان الذى ذهبت اليه غلط هو آين الاين بلااين وكيف الكيف بلا كيف فلا يعرف بالكيفوفية ولا بالينونية ولايدرك بحاسة ولايقاس بشيئ.فقال الرجل:فاذا انه لاشيئ اذالم يدرك بحاسة من الحواس،فقال ابوالحسن (ع):ويلك لما عجزت حواسك عن ادراكه انكرت ربوبيته ونحن اذا عجزت حواسنا عن ادراكه ايقنا انه ربنا بخلاف شيئ من الاشياء[2]**....**

نرى الامام (ع) يصارح بان عجز الحواس عن ادراك الله الذى هوغيب منزه عن اطار الطبيعة هوالذى اوجب انكار القائل باصالته وان معيار المعرفة هوالحس،ولكن العقل المحض لما تبين له ضرورة وجود الحق سبحانه وضرورة

١ـ زخرف /٨٤.

٢ـ الكافى، باب حدوث العالم.

تنزهه عن المادة ولواحقها ولوازمها و ضرورة تجرده عن الطبيعة واحكامها ايقن انه تعالى لا يماثله شيئ، واكثر معارف القرآن يحوم حول وجود الرب تعالى واسمائه الحسنى وجميع ذلك مماتعجز الحاسة عن ادراكها، اذًا فمن اين يتيسر لذلك المتفكر المادى الذى اقتطب معرفته على الحس القاصر عن عرفانها ان يعرفها و يعترف بها، ومن اين يتمكن ادراك ماقال فى شأنه مولينا الرضا(ع):

...عجزت دونه العبارة وكلت دونه الابصار وضل فيه تصاريف الصفات. احتجب بغير حجاب محجوب واستر بغير ستر مستور عرف بغير رؤية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم لااله الا الله الكبير المتعال[1].

فتبين بذلك ان الفكرة المادية والجهل بان مقتطب المعرفة ليس هوالحس وحده وان الموجود لاينحصر فى المحسوس وان الغيب ليس اسطورة نسيجة يد الخيال، هوالمانع له عن استماع هتاف النبوة وشهود جمال الوحى واستنشاق رائحة الرسالة وذوق طعم الدين.

ومنها ـ اى من تلك الموانع ـ الذنب الملازم لا تباع الهوى وطول الامل، المعبر عنه بالرجس تارة وبالرجز اخرى، الموجب لضيق القلب وختمه ولرين الصدر وطبعه ولزيغ الروح وقفله، وذلك لان الذنب حجاب بين الانسان المبتلى به وبين الحق الذى من اظهر مصاديقه القرآن، الذى بالحق انزله الله وبالحق نزل، ولانه مقابل للطهارة ومناف للكرامة ومباين للتقوى ومضاد للرفعة ومخالف لاى وصف كمالى قدمرمسبقا فى المقام الاول كونه شريطة معرفة القرآن، فيكون الذنب رادعا عنها، اذالرجس لامساس له بالطاهر، وكذا اللئامة لاتحوم حول الكرامة، والطغوى لايصاحب التقوى والضعة لا تلائم

---

١ ـ الكافى، باب النهى عن الجسم والصور.

الرفعة... وبالجمله: الناقص لایمس کرامة الکامل مادام ناقصاً، فلذا قال سبحانه:

افلا یتدبرون القرآن ام علی قلوب اقفالها[1]

والذی تفیدنا وتتحفنا هذه الایة الکریمة، عدا حجیة ظواهر القرآن وامکان استنباط المعارف منه وعدا التحریض والترغیب الی التدبر والتامل فیه-، هو ان المتدبر فیه انما هوالقلب الخلیص المجرد دون القالب وهوالحس المادی وان له بابا یتفتح تارة ویقفل ویغلق اخری، وان للقلب قفلا خاصا به یقفل، وان الکفر والنفاق ومالی ذلک من الحجب الظلمانیة اقفال للقلب مانعة له عن التدبر فی القرآن، وان الایمان والخلوص ومایناظره من الاوصاف الوجودیة الکمالیة مفاتیح للقلب شارحة له ومصححة لان یتدبر فی القرآن وماله من الامور المستنبطه منه؛ لولاالذنب الحاجب المعدود قفلا للقلب، ولکن المذنب اذالم یتبل بالجهل المتقدم المقابل للعلم ولم یعتقد بان المعیار الفرید للمعرفة هوالحس وان الوجود ینحصر فی المحسوس وان الغیب اسطورة و خرافة لاوجود وحقیقة له وتدبر-هذا المذنب- فی القرآن... یعرف المقدار اللازم من المعارف القرآنیة، وتتم علیه الحجة وان لایوفق لنیل المعارف العالیة منه ولا یتفتح له باب الغیب لکی یشاهده کفاحا بالقلب، وذلک لان الذنب بماهو ذنب لوکان مانعا عن ادراك النصاب اللازم لماقامت الحجة علی الکفار والمنافقین اذالمفروض انهم لذنبهم لم یعرفوا مودی مایحتج به القرآن علی التوحید ونفی الشرك وماالیها. ولوفرض توقف العلم بالحق علی الایمان به وترك الذنب لدار الامر.

۱ـ محمد (ص) / ۲۴.

وعليه فالمراد من مانعية الذنب هوان المذنب لما ولى وجهه شطر الباطل واشتاق اليه واغتربه لايميل طبعا الى التدبر فى القرآن الهادى له الى الحق والابتهاج به والاتقاء عن الباطل والغرور به، ولعل ذلك هوالموجب لبعض المذنبين ان يجعل اصبعه فى اذنه ويستغشى ثوبه حتى لايسمع دعوة نبيه، كما حكاه الله عن قوم نوح فى قوله تعالى:

...وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا استكبارا[١].

ومن هذا القبيل قوله تعالى:

الاانهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الاحين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون ومايعلنون انه عليم بذات الصدور[٢].

لان منشأ هذا الاختفاء (تارة) الجهل بان الموجود ليس منحصرا فى المحسوس وان الغيب ليس باسطورة (وتارة) اخرى الاشمئزازو الانزجار عن استماع الحق كانقباض المزكوم من رائحة المسك. والى بعض ماذكر يوعزكلمة الامام الرضا (ع) فى الذين رغبوا عن اختيار الله و اختبار رسول الله (ص) واهل بيته الى اختيارهم: والقرآن يناديهم:

وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمايشركون[٣].

وقال تعالى:

افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها[٤]

---

١ ـ نوح/٧.

٢ ـ هود/ ٥.

٣ـقصص/٦٨

٤ـ الكافى، باب نادر جامع فى فضل الامام وصفاته ٢٠١/١.

حیث انه (ع) استدل بـان اقـفال القـلوب وذنوبها هـی التی منعتهـم عن التدبر فی الایات الدالة علی ان تعیین الامام ونصبه لیس بایدیهم واختیارهم ولو انهم تدبروا فیها لعلـموا ان تعیینه (ع) انمـاهو بخیرة الله سبحانه. وکما ان الذنب والرجس والرجز والـدنس وما الی ذلك مـن العناوین الدارجة فی لسـان الثقلین تمنع عن الـتأمل فی نظام الکـیان والتفکر فی الایات التکوینیة، کذلك تحجب عـن التدبـر فی فحاوی الایـات الـتدوینـة والاستـنـباط منها، کـماقال مولینا الرضا (ع) فی جواب من قال:

... فلم احـتجب ؟ ـ ای الله سبـحانه ـ: ان الاحتجاب عن الخلق لکثرة ذنوبهم فاما هو فلایخفی علیه خافیة فی آناء اللیل والنهار[1].

یعنی (ع) ان الذنب حجـاب عن المتاهدة الفکریة لقوم والمشاهدة القلبیة لـقـوم آخرین اذالفطرة التی فطـرالله الـنـاس علیها شاهدة لـلحـق حاکبة ایاه، والذنب غبار علی هـذه المرآة الصافیة فـهو ـ ای الذنب ـ حجـاب مانع عن المعرفة الفطریـة من جهة وعـن المعرفـة الفکریـة من جهة اخری وعن المعـرفة التـهودیة الکاملـة مـن جهة ثالـثـة، فلذا یصح اسـتـناد الحَجْب الـیه فی مباحث شتّی. ویمکن الـفـرق بین الجـهل والذنب بـان الجـهل مانع عـن المـعرفة والذنـب مـانع عن الاعتراف. والجهل حاجب عن التعلیم والذنب حاجب عن التزکیة. والجهل مغلاق القلب عن الحکمة والذنب قفل له عن العظة و داع الی الغفلة... وما الی ذلك، ممـا یرجع احدهما الی الـعقـل النظری والاخر الی العـقل العملی مع مالهما مـن المسـاس الـتـام والـتـلازم فی غیر مـورد، و بمـا ان الـقـرآن: یـدعـواالی سبـیـل الله بـالحکمـة والموعظـة الحسـنـة ویجـادل الـنـاس بـالتی هـی احسـن مع الصلة الانـبق بین هـذه الطـرق، فلکل منها شـریطة تصحح تحقـقه و مـانع

١ـ التوحید، ص ٢٥٠.

يصد عنه ويمنعه فالجهل اشد منعا عن العلم والحكمة النظرية،والذنب اغلظ حجاباً عن العظة والحكمة العملية، كماو ان الحمية الجاهلية هى الحالقة للدين المانعة عن الجدال الاحسن اشدمنع، وكما أن الصمم مانع عن استماع الهاتف والاصوات وان العمى حاجب عن النظر فى المصحف وان الخرس مانع عن القرائة، كذلك صمم الصدر وعمى القلب وخرس النفس مانع عن الادراك حاجب عن الاذعان وصاد عن الا تعاظ والتزكية ومااِلى ذلك من الاهداف العالية للرسالة.

والى ذلك يشير كلمة مولينا الرضا (ع):

... ولكن القوم تاهوا وعموا وصمواعن الحق من حيث لايعلمون وذلك قوله عزوجل «ومن كان فى هذه اعمى فهوفى الآخرة اعمى واضل سبيلا» يعنى اعمى عن الحقائق الموجودة الى ان قال(ع) وانما اختلف الناس فى هذالباب حتى تاهوا وتحيروا وطلبوا الخلاص من الظلمة بالظلمة فى وصفهم الله بصفة انفسهم فازدادوا من الحق بعدا ولو وصفوا الله عزوجل بصفاته ووصفوا المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفهم واليقين ولما اختلفوا فما طلبوا من ذلك ماتحيروافيه ارتبكوا والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم[1].

لأن الذى يفيدنا ويتحفنا بيانه الانيق هو: ان التيه والعمى والصمم كما يعترض السمع والبصر وغيرهما من الحواس الظاهرة كذلك يعترض للقلب والبصيرة ونحوهما من المشاعر الباطنية وأن الجهل بما هو معيار المعرفة موجب للتحير والتبعد من الحق فى معرفة ان الله تعالى موجود مطلق محيط بالدنيا والاخرة، وانه ليس كمثله شيئ وانه واحد لاشريك له ولا ثانى

---

١ ـ التوحيد، ص ٩ ـ ٤٣٨.

له حتى يقيمه او يعضده ويمسكه اذالخلق يحتاج الى من يقيمه ويمسكه دون الخالق الغنى المحض. والغرض هوان لمعرفة القرآن الباحث عن الغيب شرطا يصححه ومانعا يصدعنه وهؤلاء الجهال لما اخلّوا بالشرط تاهوا وعموا وصموا ولوانهم لم يخلوا به لوصلوا الى الفهم واليقين. ولبيانه(ع) فوائد جمة نشير اليها فى المباحث المقبلة انشاء الله تعالى.

وكلماافاده(ع) يستفاد من القرآن الدال على ان نزول البركات العبنية والعلمية مشروط بالتقوى واخلاص العمل لله،وممنوع بالذنب والاعراض عن ذكر الله ونحو ذلك، فكما أن التقوى شريطة انفتاح ابواب الرزق العينى، حيث قال سبحانه:

ولوان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون[1]

كذلك شريطة لانفتاح ابواب الرزق العلمى كما قال تعالى:

ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا[2]....

وكما ان التكذيب والطغيان يمانع عن انفتاح ابواب الرزق الغينى، حيث قال تعالى:

.... ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون .

كذلك يمانع عن تفتح ابواب الرزق العلمى التى من اهمها وانفعها هومعرفة القرآن، كما قال تعالى:

سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغيرالحق وان يروا كل

---

١ ـ الاعراف /٩٦.　　٢ ـ الانفال/٢٩.

آية لايومنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين[١].

وقال ايضا:

.... صرف الله قلوبهم بانهم قوم لايفقهون[٢]

وهذا هو قفل القلب الرادع عن التدبر فى القرآن على حد استدلال مولينا الرضا(ع): لبيان كون الامامة بالنصب والتعيين لا الاختيار والتوكيل بقوله تعالى:

افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها[٣].

لظهوره فى ان للقلب قفلا يمنعه عن إدراك الحق و عرفان القرآن، ومن الممكن ان يستفاد من هذه الكريمة ان الحرمان عن الرزق العلمى مساند الى قفل القلب و انغلاقه لاالى غلق باب الرحمة الالهية لانه مفتوح على الدوام ومنه نزول الفيض العلمى كالعينى دائما ابدا، وانما التفاوت من ناحية القابل دون الفاعل، فهو سبحانه دائم الفيض على البريّة وان كان المذنب مقفول القلب محروما منه،فهو وان فرح بماعنده من العلم وحسب انه يحسن صنعا،بيد انه فى حجاب وكنان لايشعر هو به وهذا الكنان من القابل بسوء اختياره ونوافى بيانه فيمايلى:

تبصرة: فى بيان كيفية استناد ختم القلوب الى الله سبحانه

ان لكل موجود لايكون وجوده عين ذاته سببا به يتحقق ويمتنع دونه وان كل سبب فهو مفتاح مسببه، به ينفتح وبدونه لاانفتاح له بل لايزال على غلقه

١- الاعراف / ١٤٦.

٢-التوبه / ١٢٧.

٣- محمد(ص) / ٢٤.

وان سلسلة الاسباب تنتهى الى مسببها الذى هوالله سبحانه وان بيده تعالى مفاتيح المسموات والارض ومقاليدها فاذااراد امرا اجراه بسببه الذى هومفتاحه الخاص واذا لم يرد شيئا لايفتح باب سببه المخصوص و لامَردّ لارادته بالفتح ولا راد لعدم ارادته به، كماقال سبحانه:

وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو[1].

يعنى تعالى ان المخازن وكذا مفاتيحها الغيبية مشهودة عنده ومقدورة له لانه:

هوالفتاح العليم[2] .

فيهدف تعالى انه عالم بالمخزون وبمفتاحه وبمورد لزوم فتحه وموارد عدم اللزّام لفتحه، كماقال تعالى:

له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيى عليم[3].

وقال تعالى:

مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايمسك فلامرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم[4].

لظهوره فى ان ارادته تعالى نافذة باطلاقها بلا مَردّ لها اصلا وان الفتح امر وجودى يوجب ارسال الرحمة الخاصة وان الذى يقابله امر سلبي يعبرعنه بالامساك ، اى عدم الارسال لاارسال العدم وماالیه وهذه الامور مستفادة من

١ـ الانعام /٥٩.
٢ـ سبأ / ٢٦.
٣ـ الشورى / ١٢.
٤ـ فاطر / ٢.

نطاق القرآن الكريم فى غير محل، كما ويمكن ان نتعرض لها فى المواضيع المقبلة.

والغرض هيهنا هوان القلب بماله من الاوصاف الخاصة امر ممكن مسبب فله سبب خاص به ينفتح ويستفيض من الخبرات وبدونه لاينفتح وينحرم منها، وذلك السبب الذى هومفتاح القلب ومفتاح اوصافه الكمالية انما هو بيده سبحانه، فلواراد ان يفتحه فتحه وشرحه وقذف فيه العلم و الايمان ومااليى ذلك وان لم يردان يفتحه اغلقه وختم عليه واقفله وصرفه عن معرفه الآيات... ونحوها، كل ذلك بمشيته التى هى عين الحكمة والصواب بلاجزاف وظلم اصلا.

فالمذنب رغم حجبه والكنان فى قلبه... باعتراف منهم ـ كمانقرئه فى الآية:

وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعوننا اليه وفى آذاننا وقر[1] .

لكن ذلك الكنان بجعل الهى، كما قال تعالى:

وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا[2]

وكذا قلبه، فانه رغم ختمه، انما هو مختوم بختمٍ الهى، كماقال تعالى:

افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه[3]

لانه ينختم بذاته اويكون العامل فى الختم هوالمذنب بنفسه اوغيره من سائر الموجودات الامكانية اذالفرض الاول ـ اى كون الانختام قد حصل بنفسه من دون سبب اصلا ـ يصادمه النظام العلى الحاكم بان كل شيىء لايكون وجوده ولاعدمه عين ذاته ـ بمعنى انه لايكون واجب الوجود بالضرورة الازلية ولاممتنع

١ ـ فصلت / ٥.

٢ ـ الانعام / ٢٥.

٣ ـ الجاثية / ٢٥.

الوجود کذلك ـ فهو مساند فی کلاطرفی وجوده وعدمه الی السبب لیس الا ، وعلیه: فکما انه لایکون انفتاح القلب وانشراح الصدر بلا سبب، کذلك لایکون انختامه وتضییقه بدون سبب.

(واما) الإفتراض الثانی ـ ای استناد الختم الی المذنب ذاتیا اوالی غیره من الموجودات الامکانیة بلاانتهاء الی الله سبحانه ـ فهذا ایضا یطارده الاصل المبرهن علیه فی النظام العلّی، من لزوم انتهاء سلسلة العلل الوجودیة الی مسبب الاسباب بالذات ولزوم انقطاع سلسلة العلل الفاعلیة العدمیة الیه تعالی بالعرض اذ لایمکن ان یکون وجود شیئی مساندا الی علله الطولیة المنتهیة الیه تعالی ولایکون عدمه مستندا الی فقد علله المنتهی فقدانها الی امساك الفیض وعدم صدوره منه تعالی،لان لکل شیئ سببا خاصا هومفتاحه وجمیع الاسباب والمقالید بیده سبحانه،فیکون الفتح بافاضته تعالی والختم بامساکه عنها و کل ذلك بمشیته الحکیمة المقتضبة لان لایضل احدا ولایختم علی قلبه اصلا ولایجعل قلبه فی کنان تباتا الا مجازاة ومعاقبة لا بدئیاً، وهذا علی خلاف من هدایته وشرحه للصدر ومالی ذلك من المنن الإلهیة لأنها کماتکون بعنوان الجزاء الحسن کذلك تکون بعنوان المنة البدائیة واللطف الغیر المستبق بالعمل وان کانت جمیع نعمه ومننه بدائیا.

وبهذا البیان یعلم بوضوح معنی قوله تعالی:

فمن یرد الله ان یهدیه یشرح صدره للاسلام ومن یرد ان یضله یجعل صدره ضیقا حرجا کانما یصّعّدفی السماء کذلك یجعل الله الرجس علی الذین لایؤمنون[1].

---

۱ ـ الانعام / ۱۲۵.

لأن ظاهرته ان تضيق الصدر كشرحه -بالذات- بيده سبحانه، كما وان ظهوره فى ان شرح الصدر نعمة الهية مطلقة غير مقيدة بالاستحقاق لامكانه تارة بعد الارتياض والعمل الصالح وتارة اخرى قبله. واما تضييق الصدرفهو عقوبة الهية مقيدة بالعمل السيئ فالمعرض عن ذكرالله بعد قيام الحجة البالغة عليه وامهاله سبحانه اياه ليتوب ويراجع الى مبدأه الفاطر البديع والمصر على ذلك الاعراض بسوء اختياره، فانه الذى يجعل صدره ضيقا حرجا ويجعل عليه هذا الرجس لانه هوذلك الغير المؤمن بالآيات. كما قال سبحانه:

... كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايومنون.[1]

يعنى تعالى ان ضيق الصدر وكذا الضلال المترتب عليه رجس جَعْلُه بيده تعالى، بيد ان الله لايجعله الا على الذين لايؤمنون، فهو تعقبب لعلمهم السّيئ وعقوبة لهم و معنى جعل الرجس على احد وكذا معنى جعل صدره ضيقا و معنى الاضلال ليس الّاعدم ارسال الرحمة وعدم فتح باب النعمة... كمابينه قوله تعالى:

...ومايمسك فلا مرسل[2]

لانه امر وجودى يفيضه الله، ومجرد اسناد الفعل الى هذه العناوين لادلالة له على انها حقائق وجودية لان كون شيئ خاص امرًا وجوديا اوعدميا -اى انه موجود فى العالم او ليس بموجود بل ينتزع من فقد امر و جودى- انما هو واقعية عقلية لابدله من برهان عقلى يدل على كل واحد من الطرفين.

فمثلا: الجهل الذى يقابل العلم امر عدمى هو عدم العلم بشيئ فلو قيل فى

١-الانعام/١٢٥

٢ - فاطر/٢.

العرف الدارج «زيد جاهل» او اصابه جهل او ابتلى بالجهل ومالى ذلك فانه لايمكن ان يستظهر منه ان الجهل امر وجودى لان المطلوب عقلى لالفظى، مضافا الى ان العرف ايضا بعد عتوره على عدمية غير واحدة من الصفات يعامل معها معاملة السلبيات ويجعل السلب مضمنا فيها فعندئذ تكون قضية زيدجاهل -عندالعرف- قضية موجبة معدولة المحمول لانها موجبة محصلة وان كانت على مصاغها(تدبر)فاذاتبيّن لک ايها القارئ العزيزان لفقه القرآن شرطايصححه ومانعا يحجب عنه واستبان لك ان الجهل والذنب ومايؤول ويتصل اليها يمانع عن التدبر فى القرآن و يحجب عن فقهه فقد ظهر لك اذًا معنى قوله تعالى:

فما هولاء القوم لايكادون يفقهون حديثا[1]

وقوله سبحانه :

لهم قلوب لايفقهون بها[2]

وقوله تعالى:

ولكن المنافقين لايفقهون[3].

وكذا معنى قوله عزمن قائل:

وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون[4].

حيث استدل ببعض هذه الايات ومايضاهيها مولينا الرضا(ع): فى احتجاجه حسبما مرنقله مسبقا[5].

١-النساء/٧٨.

٢- الاعراف /١٧٩.

٣- المنافقون /٧.

٤- التوبة /٨٧.

٥- الكافى.

وكذا يظهر ان كل مايمنع الانسان عن اصل التدبر فى القرآن ويجعله فارّا منه منزجرا عنه،اويمانعه عن الفقه وان تدبر،اواستمع القرآن وانصت اليه فهو رجس،وان كل من بلى بمقدار منه فهو بذلك القدر بالذات محجوب عن التدبر والتفقه... وكل من برء منه رأسا وتنزه من جميع انحائه واقسامه التى تتصل الى العلم او العمل فهو الحرىّ بان يتدبر فى القرآن ويتفقهه، وأن العترة الطاهرة -سلام الله عليهم اجمعين- هم الذين اذهب الله عنهم الرجس على اطلاق الكلمة، وطهرهم تطهيرا تاما لايشوبه شيئ من الرجس ابدا.

حيث انه تعالى عبر عن هذا الفيض المتواصل بصيغة المضارع الدالة على انه تعالى دائما وابدا يشرح صدور هولاء السادة و يفتح قلوب هولاء القادة ويرسل فضله الواصب على هولاء الساسة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وان المعصومين(ع) هم الذين تحلّوا بحلية جميع شرايط معرفة القرآن وتخلوا نهائيا عن جميع موانعها، فهم العارفون للقرآن حق معرفته والمتدبرون فيه حق تدبره والذين يمسونه حق مساسه والراسخون فى العلم وابواب الحكم وانوار الظلم، وهم عيش العلم وموت الجهل وهم اساس الدين وعماد اليقين وكرائم الايمان وكنوز الرحمن وامناء الله على عباده ومقيموا الحق فى بلاده والشهداء على الخلق وقوام الله وعرفاؤه على عباده وهم اقاموا عمود الحق وهزموا جيوش الباطل[1].

كما نقل مولينا الرضا(ع) عن جده ابى عبدالله (ع) انه(ع) قال:

انا من الذين قال الله فى كتابه : اولئك الذين هديهم الله فبهديهم اقتده[2].

---

١ - الغرر والدرر للآمدى، ٣/٧-٢١.

٢ - مسند الامام الرضا(ع)، ١/٣٣١.

وقال الامام الرضا (ع):

اذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله و هو قول الله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها[١]...

وقال (ع) فى قوله تعالى:

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، الصادقون هم الائمة والصديقون بطاعتهم[٢].

وقال (ع) فى قوله تعالى:

وعلامات وبالنجم هم يهتدون، نحن العلامات والنجم رسول الله (ص)[٣].

الجنة الثانية: فى بيان المائز بين التدبر فى القرآن و بين استنطاقه

قداستبان للمطالع الكريم فى الجنة الاولى ماهو شريطة معرفة القرآن وماهو المانع عنها وقد لاح مسبقا ان القرآن حبل الله الذى احد طرفيه بيده سبحانه، والطرف الاخر بيد الناس فلاحد لمحتواه ولاانقطاع لنطاقه، ومن المعلوم ان معرفة كتاب مثل هذا، لها درجات تجاه مراتبه نفسه. فالقدير عليه هومن اجتمع فيه الشرايط العامة وزال عنه الموانع و هوالتدبر فيه واستنباط العقايد الحقة الموافقة للبراهين العقلية منه، وكذا استظهار الاحكام العملية ونحوها منه.

واما الملاحم والاخبار الغيبية والتاويل ومااِلى ذلك من العلوم القرآنية

١- مسند الامام الرضا (ع)، ٣٣٥/١.

٢- مسند الامام الرضا(ع)، ٣٣٩/١.

٣- مسند الامام الرضا(ع)، ١٤١/١.

التى لا تستنبط من الالفاظ ولا تستظهر من الاقوال ولاتحكيه العبارة ولا ترشد اليه الاشارة فلايتمكن من استفادتها بمجرد التدبر فيه؛اذالمتدبر لايستغل منه الا على قدرمايدل عليه ظاهرته وان ضم بعضه ببعض وجعله مفسرا لذلك البعض الآخر، واما ماهو خارج عن نطاق الظاهرة اللفظية فلايتمكن من استنباطه منه اذالمتدبر انما يغور فيمانطق به القرآن، واما فيما اضمره ولم ينطق به فلبس فى وسعه ان يتأمل فيه، ومثله فى عمله هذا كمثل انسان لبيب يحمل اسرارا شتيتة لايفشيها الا للخواص من اصحاب سره ولايتكلم للناس الا ببعض الامور المثمرة لهم ولايستفيدون منه الا على قدر مايتكلم وهم غافلون عن سره ولبه، جاهلون عما فى خزانة صدره.

واما اصحاب سره فهم العريفون بانه حامل لأسرار لذلك فانهم يستنطقونه بكثير و على التواصل لكى يبرز مافى ضميره ويخرجه من الغيب الى الشهادة اويهدى اصحابه الى باطنه ويسايرهم من الظاهرة الٰى الباطن ويعرجهم من اطارالشهادة الى صعيدالغيب حتى يقفوا على مكنون ضميره، ثم يستمدون مما اطلعوا عليه لبسائلوه مرة اخرى ويجعلوا ماوقفوا عليه مدرجا لمالم يعثروا عليه وهكذا... الى ان يتطلعوا على باطنته كتطلعهم على ظاهرته وعلى سيرته كصورته وعلى قلبه كقالبه وعلى تاويله كالتفسير وعلى متشابهه كالمحكم وعلى غيبه كالشهادة... وهذا هوالمايز الرئيسى بين فقه القرآن بالتدبر فيه وبين فقهه باستنطاقه. لان المتدبر الذى لايستطيع استنطاقه كالعطشان الغيرالمقتدر الا على التروى من خصوص الماء النابع الجارى من العين على وجه الارض دون سائر المياه المختزنة فى المنبع، وهذا على خلاف من المستنطق لانه ذلك المتعطش العليم المتطلع بما فى خزانة الارض القدير على انطاقها بالحفر واظهار مافى باطنهاعلى ظهرها واجراءماكان راكداوسقى العجماوات به...ومالى ذلك.

وبما إن بين الظاهرة الجارية والباطنة المختزنة صلة تامة فلايتمكن المتدبر الفاقد لطوق الاستنطاق ان يكتفى بنفسه ويحيد عن القادر على الاستنطاق فى استنباط البطين كما يظهر بعد. والاصل فى هذا الفارق هو ان القرآن ندب الناس الى التدبر فيه وحثّهم اليه و وبخهم على تركه وعيّرهم على هجره، حث قال سبحانه:

افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها[1]

فيفيدنا ذلك ان القلب النزيه عن الجهل والذنب و مااليه من الاقفال قدير على التدبر فيه كما مرمعنا... لكن القرآن العينى -اى الامام المعصوم(ع) الذى لايفترق عنه كمالايفترق القرآن العلمى عنه وهوامبرالمومنين(ع)- نطق: بان القرآن لاينطق مع الناس وليسوا قديرين على استنطاقه والذى يقدر على ذلك والقرآن ايضا ينطق معه انحصاريا هوالامام المعصوم(ع)، حيث قال(ع):

ارسله(ص) على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم وانتقاض من المبرم فجائهم بتصديق الذى بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه الا ان فيه علم مايأتى والحديث عن الماضى ودواء دائكم ونظم مابينكم[2].

لأن ظاهرة كلامه يعطى ان القرآن رغم كونه نورا وقدوة يقتدى به بلاظلام، لكنه فى ذات الوقت فى غاية من الشدة والاشراق بحيث لايقتدر احد على النظرة الكاملة اليه، سوى الانسان الكامل المعصوم(ع) الذى بينه وبين الله سبحانه عمود نورى كمامر مسبقا. واما سائرالناس فليس فى وسعهم الا النظر اليه من وراء حجاب الالفاظ والمفاهيم والصور الذهنية ونحوها... لذلك

---

۱ - محمد (ص) /۲٤.

۲ - نهج البلاغة، الخطبة ۱۵۸.

فلايصلون الى مافى سره من الملاحم وما فى بطنه من الانباء الغيبية اذالعثور بها يتوقف على العبور والنزوع من التدبر الى الاستنطاق وآنى لهم ذلك .

وكذا يتوقف على تنزل القرآن من مقام السر الى منصة العلن بان ينطق عما فى مكنونه وهيهات له ذلك بالنسبة الى من يؤهل له ومرجع الحجاب هنا الى شدة نورانية القرآن وضئالة عقول الناس الذين اقصى حظهم هوالتدبر فيه دون استنطاقه المتوقف على كمال الطهارة، وذلك لان القرآن له ظاهرة انيق يفهم بالتدبر وباطنة عميق لاينال به بل لابد من نطقه به ولايمانع عمق بطونه عن التدبر فى ظاهرته الانيقة والاستدلال به كما اوعزاليه اميرالمومنين (ع) بكلمته:

فانظر ايها السائل فماذلك القرآن عليه من صفته تعالى قائم به واستضيئى بنور هدايته[1]

اذالائتمام بمدلول القرآن امارة حجية ظاهرته وامكان التدبرفيه و استنباط ظواهره منه... لذلك فقد ندب الناس الى التفقه فيه حيث قال (ع)[2]:

...وتعلموا القرآن فانه احسن الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص[2].

وهكذا رغّبهم فى الانتفاع بنصحه والاهتداء بهداه واستماع حديثه الصدق، حيث قال (ع):

واعلموا ان هذاالقرآن هوالناصح الذى لايغش والهادى الذى لايضل والمحدث الذى لايكذب وماجالس هذا القرآن احد الاقام عنه بزيادة او نقصان زيادة فى هدى اونقصان من عمى...[3].

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة، /٩١.

٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١١٠. . ٣ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

وبما أن التدبر فی القرآن مرغوب فیه واستنباط الاحکام منه میسور للناس مطلوب منهم اوصی (ع) الحسن والحسین وجمیع ولده واهله ومن بلغه کتابه بتقوی الله ونظم امرهم وصلاح ذات بینهم... وبالعمل بالقرآن المتوقف علی التدبر والاستنباط منه کما قال(ع):

... الله الله فی القرآن لایسبقکم بالعمل به غیرکم[1].

والغرض ان فقه التدبر فی القرآن هو مادون فقه الاستنطاق منه اذالمتدبر انما یستفید منه مانبع وبرز من الغیب الی الشهادة دون الزائد علیه. واما المستنطق فهو یقتدر علی الاستنباط واستغلال مافی مخزن غیبه واخراجه الی الشهادة بحیث یراه هو ولایراه غیره، لان القرآن انما ینطق سرا ویناجی خفیة مع من استطاع ان ینطقه ویستمع منطقه لامع غیره فهو وان کان مقیسا الی ظاهرته الانیقة ناطقا للواجد لشرائط التدبر والمحتفظ عن موانعه، لکنه صامت بالنسبة الی باطنه العمیق، لاینطق بمقال ولایحدث بحدیث الاعند استنطاقه فمن اقتدر علی ذلک وصلح له فهو ینطق ـحینئذـ معه من بطینه المکنون ویحدث من ضمیره المستور، لذلک فقد وصفه امیرالمومنین (ع) بقوله:

... فالقرآن أمرزاجر وصامت ناطق حجة الله علی خلقه[2]...

ومن المعلوم ان مستنطق القرآن العلمی لابد وان یکون بنفسه قرآنا عینیا کمامر معنا غیرمرة، لکی یتیسر له الانطاق ویتمکن من سماع نجواته واستماع حدیث نفسه وهم العترة الطاهرة الذین عطفوا الهوی علی الهدی لما عطف الناس الهدی علی الهوی، والعاطفون للرأی علی القرآن لما عطف الناس القرآن

١ـ نهج البلاغة، الخطبة ٤٧.

٢ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣.

على الراى.

وحيث ان القرآن فى عين كونه ناطقا بظواهره لمتدبريه وتكون تلك الظواهر حجة عليهم، هو فى ذات الوقت صامت ببواطنه بالنسبة اليهم فلابد له من ترجمان يستنطقه ويخرج باطنته من المغبب الى الشهادة، لذلك فقد قال على (ع):

هذا القرآن انما هو خط مستور بين الدفتين لاينطق بلسان ولابد له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال[1]...

اذليس مراده (ع) سلب حجيّة ظاهرة القرآن والالسقط الاحتجاج به على الخصم ولكان نفس هذا القول مخالفا للقرآن الذى يهتف بامكان التدبر فيه والاستنباط منه ومن المعلوم انّ الخبر المخالف للقرآن مردود، كمايأتى عن مولينا الرضا (ع)، بل مراده (ع) ان بعض مطالب ومواضع القرآن ظاهر يتمكن من نبله بالتدبر فيه، وجانب منه لبس مما ينال ويظهر منه بل مبطن فيه لايتمكن من نبله الا بانطاقه، وليس ذلك الانطاق الا فى وسع الترجمان الالهى وهو الانسان الكامل المعصوم حسبما تقدم نقله حيث قال (ع):

... ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن احبركم عنه[2].

وبما ان العترة الطاهرة هم القديرون على انطاق القرآن واستماع نجواه والعثور لمافى مستكن ضميره وهم الترجمان له، فلزام على الناس ان يراجعوا اليهم كما يلازم لهم ـ بالذات ـ الرجوع والاتصال الى القرآن، لانهما لن يفترقا، لذلك نراه (ع) يقول:

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٢٥.

٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٥٨.

فاين تذهبون، وانى تؤفكون والاعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة، فاين يتاه بكم وكيف تعمهون و بينكم عترة نبيّكم، وهم ازمة الحق واعلام الدين والسنة الصدق، فانزلوهم باحسن منازل القرآن و ردوهم ورود الهيّم العطاش [١].

والسبب فى كونهم (ع) هم الترجمان للقرآن المستنطقون له دون ماعداهم هو ان منزلتهم هى احسن منازل القرآن، لان جميع مدارجه ومنازله من لدن حكيم عليم إلى ان يتنزل إلى عالم اللفظ والعبارة العربية وان كانت حسنة جميلة الاان فى بينها امتيازا لامحالة بما يكون اعلاها احسنها لانه أقرب إلى العليم الحكيم، ولما كان منازل العترة الطاهرة احسن منازل القرآن، لذلك فهم يعلمون اسراره وضمائره قديرون على انطاقه واخراج ما فى غيبه الى الشهادة.

وبما مرمعنا من الميزبين فقه القرآن تدبرا وفقهه استنطاقا يلوح للمطالع الكريم معنى قولة مولينا الرضا (ع) حينما سأله المامون يقوله:

اخبرونى عن معنى هذه الايه: «ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»... -الايه- فقالت العلماء اراد الله الامة كلها فقال المأمون ماتقول يا اباالحسن فقال الرضا (ع):

لااقول كماقالوا ولكن اقول اراداللّه تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة وقال المامون:وكيف عنى العترة دون الامة فقال الرضا (ع):لواراد الامة لكانت باجمعها فى الجنة لقول اللّه:فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن اللّه ذلك هوالفضل الكبيرثم جعلهم فى الجنة فقال عزوجل جنات عدن يدخلونها.فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لالغيرهم ثم قال الرضا (ع):هم الذين وصفهم اللّه فى كتابه فقال:انما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا.وهم الذين قال رسول اللّه (ص):انى مخلف فيكم الثقلين

١- نهج البلاغة، الخطبة٨٧.

كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض انظروا كيف تخلفوني فيهما يا ايهاالناس لا تعلموهم فانهم اعلم منكم...

الى ان قال الرضاء(ع): ان الله العزيز الجبار فضل العترة على سائرالناس في محكم كتابه. قال المامون: اين ذلك من كتاب الله، فقال الرضا(ع): في قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض.

وقد استدل (ع) بغير واحدة من الايات على ان العترة الطاهرة هم ورثة الكتاب وصفوة الله وهم الذين قرنهم الله سبحانه بنفسه وبرسوله في سهم الغنيمة

انما غنمتم من شيئٍ فان لله خمسه ولرسوله ولذى القربى.

وفي الطاعة

... اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم .

وفي الولاية

انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون...

فتبارك الله ماعظم نعمته على اهل هذاالبيت فلما جائت قصّة الصدقة نزه نفسه -عزّ ذكره- ونزه رسول الله (ص) ونزه اهل بيته منها، فقال:

انما الصدقات للفقراء ....[1]

فليكن ماقدمنا من البحث شرحا لهذه الكلمات النورية الرضوية -على

---

١ ـ تحف العقول، ص ٣١٣.

الناطق بهاصلوات الله وملائكته-.

وحيث امتاز تدبر القرآن عن استنطاقه وتبين جليّا ان المتدبر فيه بمنزلة المستمع فقط فلايقتدر على التكلم مع القرآن وانطاقه وان المستنطق ليس مستمعافحسب بل هو فى حوارمعه يحاوره ويشاوره وينطقه ويسئله ويستجيبه ويعارض المشاكل عليه ويستدعيه حلها ويسئله من فضله ويعتصم به فيرقى معه درجة بعد درجة حتى يرجعا الى ماصدرا منه ويصعدا اليه سبحانه ويختفيا فما ظهرا منه كماهو قضية المعية المطلقة الآبية عن الانفكاك فى مرتبة من المراتب نزولا وصعودا وأن سائرالناس وإن امكن لهم التدبر فى القرآن لكنه فى ذات الوقت لايتيسر لهم استنطاقه وان المستنطق هوالانسان الكامل المعصوم(ع).

فبعد ذلك بكله... يتبين بالضرورة حاجة الناس اليه وان العترة الطاهرة الذين هم كُمّل الانسانية و ورثة الكتاب العزيز واهل الذكر الذين يجب على الناس سؤالهم وهم السابقون بالخيرات ومالى ذلك من المسامات الكاملة التى قررها الله فى كتابه للاوحدى من الناس. وقدبين مولينا الرضا(ع) مصاديق ذلك فى قوله(ع):

> **نحن اهل الذكر ونحن المسئولون. قال الوشاء: قلت له(ع): فانتم المسئولون ونحن السائلون؟ قال(ع): نعم قلت: حقاً علينا ان نسألكم؟ قال(ع): نعم قلت: حقا عليكم ان تجيبونا قال(ع): لاذاك الينا ان شئنا فعلنا وان لم نشأ لم نفعل، اما تسمع قول الله تبارك وتعالى: هذا عطاونا فامنن اوأمسك بغيرحساب[1].**

ومعنى قوله (ع): «ان شئنا فعلنا و ان لم نشاء لم نفعل»

---

١ ـ الكافى، باب آنّ اهل الذكر الذين امرالله الخلق بسئوالهم هم الائمة (ع).

هوالتخيير فى غير مورد بيان الحكم وتبيين التكليف والا فلامجال هناك للتخيير مع افتراض لزوم التعليم اوالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومالى ذلك، كمايلوح ذلك من الاستشهاد بقوله تعالى هذا عطاؤنا... الناظر الى العطايا المندوبة، اذ هناك يكون النبى فى خبرة بين المن والاعطاء وبين عدم المن بالامساك لافى اصل الحكم وبيان الرسالة، وهكذا بين مولينا الرضا(ع) مصاديق ماتقدم من الاوصاف الكمالية فى قوله(ع):

لماساله احمدبن عمرعن قول الله عزوجل:ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينامن عباده ـ الآية.

فأنه قال(ع):

ولدفاطمة(ع) والسابق بالخيرات الامام والمقتصد العارف بالامام والظالم لنفسه الذى لايعرف الامام[1].

وحيث استبان المايز الجوهرى بين التدبر فى القرآن وبين استنطاقه يظهر التمايز بين تفسير المتدبرفيه وتفسير الامام المعصوم(ع) المستنطق له، لان المتدبر انمايعرفه باسمه ورسمه و وساماته الدالة على محتواه بالظن الغالبى والمستنطق انما يعرفه بحده ومقومات فاعلبته وعلله المفيضة اياه جزميا وبالقطع، كما قال الحسن بن على(ع):

نحن حزب الله الغالبون وعترة رسول الله الاقربون واهل بيته الطيبون الطاهرون وأحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله(ص) فى امته ثانى كتاب الله الذى فيه تفصيل كل شيئى لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه فالمعوّل علينا فى تفسيره لانتظنن تاويله بل نتيقن حقائقه فاطيعونا فان طاعتنا مفروضة

---

١ ـ الكافى، باب ان من اصطفاه الله من عباده و اورثهم كتابه هم الأئمة (ع).

اذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة[١]...

واما سرصيانة القرآن عن تطرّق الباطل من الامام والخلف هو ان الله تعالى سلك من بين يديه و من خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم كماتقدم فى الروضة وسريقين العترة الطاهرة بمافى القرآن من تفصيل كل شيئ هوالمعية المطلقة المقتضية لان لاينفك القرآن عنهم فى درجة من مدارجه ولاينفكواعنه فى منزل من منازله... لذلك فهم يعلمون جميع مافيه علم عيان ويخبرون عن ذلك خبرا لايراب فبه، فلابد-اذاً- من الاعتماد عليهم فى فقهه والركون اليهم فى تفسيره والثقة بهم فى تاويله وسؤالهم عن باطنته وقضية هذه المعية هو التعامل مع سنّة العترة الطاهرة معاملة القرآن الكريم فى جميع الشئون بأن يراجع فى فقه ماترهم الى القرآن وتعرض عليه حتى لا تكون مخالفة له مباينة اياه ولا تتعدى طور التبيين والتاويل والتفسير الى المخالفة والبينونة اذ المبائن للقرآن باطل محض لايتفوه به ذلك الذى يدور مع الحق حيث دار لبداهة كون الباطل مضادا للحق[٢].

و الى بعض لوازم معية القرآن والعترة الطاهرة اشارمولبنا الرضا (ع) حيث قال (ع):

من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدى الى صراط مستقيم. ثم قال: ان فى اخبارنا متشابها كمتشابه القرآن ومحكما كمحكم القرآن فردّوا متسابهها الى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا[٣].

وحيث إن اشتمال القرآن على المتشابه فى ضوء المحكمات التى هى ام

---

١ - صلح الحسن ٥٩، عن البحار ١٠/٩٩.

٢ - الغرر والدرر للآمدى، ٣٥/٧.

٣ - عيون الاخبار، ١/٢٩٠.

الكتاب انما هو لحكمة خفيت على غيرواحد، ومفترضنا ان العترة الطاهرة وسنتهم مع القرآن فلابد وان تكون اخبارهم واجدة لتلك الحكمة ايضا، وكما ان لفقه القرآن شرايط تصححه وموانع تردع عنه، كذلك لمعرفة السنة اسباب تقتضيه وقواطع تصد عنه، ويعبر عن تلك القواطع باقفال القلب، وكما ان القرآن يفسر بعضه بعضا وينطق بعضه ببعض، كذلك السنّة يصدق بعضها بعضا، وكما ان السنة تفسر القرآن وتبينه كذلك القرآن يؤيدها ويسددها ويمضيها وذلك بعد عرضها عليه لانه الميزان القسط الذى سلك الله من بين يديه ومن خلفه رصدا، فلذا لايتطرق اليه الجهل والافتراء والتحريف لانه لم يكن حديثا يفترى من دون الله بخلاف السنة الّتى يتطرقُ اليها ذلك .

كما اوعز اليه الرسول الاعظم (ص) فى خطبته بمنى حيث قال:

ايها الناس ماجائكم عنى يوافق كتاب الله فانا قلته وماجائكم يخالف كتاب الله فلم اقله[1] .

لان ظاهرته امكان الجعل والتحريف فى السنة دون القرآن، والدليل على ان المخالف للقرآن المباين له ليس مقولا له (ص) ولالاحد من العترة الطاهرة هو أنه يوجب ويلازم افتراقهم عن القرآن وافتراقه عنهم مع انهما ـ اى العترة والقرآن ـ لن يفترقا ابدا اذالمباين للحق باطل لامحالة، كماقال سبحانه:

ماذا بعد الحق الا الضلال[2].

ومن البين ان القرآن حق من مبدء نزوله الى منتهاه كما اكدّبه تعالى:

بالحق انزلناه و بالحق نزل[3].

١ـ الكافى، ج ١، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

٢ـ يونس /٣٢.

٣ـ الكافى، ج ١، باب الاخذ بالسنة و شواهد الكتاب.

والباطل مفترق عن الحق بالضرورة فالحصيلة: انه لوصدر من العترة ما يباين القرآن فانه يعنى لزوم افتراقهم عنه وبطلان اللازم واضح كضرورة اصل التلازم وبطلانه مستلزم لبطلان المقدم فلذا قال مولينا الرضا (ع):

اذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذّبتها[1].

حين قال له (ع) ابوقرة فى حوارمعه حول امتناع رؤية الله، فتكذب بالروايات بلا علم له ولا من هو مثله ان عديل القرآن وزميله هوالانسان الكامل المعصوم (ع) اى العترة الطاهرة (ع) لاالرواية حيث انها ليست معصومة كالقرآن حتى تصلح لان تكون عديلة له لأن غيرالمعصوم لايكون مع المعصوم اذ المعية لابد وان تكون بملاك يصححها وجامع يجمع المعين فيه فاذالم تكن الرواية مصونة عن الدس والتحريف فكيف يمكن مصايرته مع القرآن المصون عن ذلك كله.

واما العترة الطاهرة فلعصمتهم عن الجهل والزيغ والطغيان والسهو والنسيان ومااِلى ذلك من انحاء الرجس واقسام الرجز وطهارتهم عنها بعناية من الله سبحانه فهم الاحرى بان يكونوا كفو القرآن، كما أن القرآن عديل لهم ولايصدر عنهم مايبانه اصلا، لان المعصوم (ع) لاينطق فى بيان الاحكام الالهية بالهوى ولايميل اليه، فلذا صرح مولينا الرضا (ع) بتكذيب الروايات المخالفة للقرآن بكونها مدسوسة و موضوعة.

وكما ان الدس والوضع لايتطرقان الى القرآن العلمى، كذلك لاينفذان الى القرآن العينى ـ وهو الامام المعصوم (ع) ـ اذالمباين للقرآن مباين للعترة الطاهرة جزميا لان ضداحد المعين مضاد للمع الاخر، وذلك لوحدة الملاك فى

---

١ ـ مسند الامام الرضا (ع) ١٧/١، عن الكافى ٩٥/١ والتوحيد ١١٠.

المعية والتضاد ولامجال لان يكون شيئ مضادا لأحد الأمرين المندرجين تحت جامع واحد حقيقى ولايكون ضدا للمندرج الاخر مع انحفاظ وحدة الملاك .

الجنة الثالثة: فى تخضيض القرآن الى التحقيق وطرد الامنية

بعدماتبين للقارئ الكريم شرائط معرفة القرآن وان الموانع عنهاماهى؟وان المائزبين التدبر فى القرآن وبين استنطاقه ماذا؟ قلزام لان يتدبرفيه مستمدّا من مستنطقه ـوهو الانسان الكامل المعصوم(ع)ـ معترفا بأن الكل من الله ـسبحانه وتعالى ـ فنقول:

إن مضامين القرآن رغم ابتناء بعضها على التعبد المحض فان معارفه الاولية قد اسست على اليقين الجامع لمراتبه ومدارجه من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وإن كان هو اقل ماقسم بين الناس ولم يرزقوا بشيئ احسن منه كما صارح به مولبنا الرضا(ع):

إن الايمان افضل من الاسلام بدرجة، والتقوى افضل من الايمان بدرجة، ولم يعط بنوآدم افضل من اليقين[1].

والمستفاد من القرآن الكريم ان من اظهر مصاديق الطريقة التى هى اقوم التى يهدى القرآن لهاهو تاسيس مسيرة الحياة على التحقيق والاتقاء عن ايّة امنية كاذبة خاطئة لا تساند الى العقل او النقل القطعى، اذ الانسان فى أىّ موقف كان فان له عقلاً يهديه الى سواء السبيل و وحيا يرشده الى الصراط

---

١ ـ مسند الامام الرضا(ع) ١/٢٥٧، عن قرب الاسناد ٢٠٨ و الكافى ٥٢/٢.

السوى، فهو اذًا لابد وأن يكون محققا فى دوره سواء أكان تابعا مطيعا او متبوعا مطاعا، كماقال سبحانه:

ومن الناس من يجادل فى الله بغيرعلم ويتبع كل شيطان مريد[١].

لظهوره فى ان الجاهل المقلد فى جهله يجادل فى الله عن جهل تقليدى ويتبع ويقلد ويطيع كل شيطان قاده واستعلى عليه وتملك زمامه فلامحيص للتابع من التحقيق ليصون عن طاعة كل قائد شيطانى متمرد عن الله وليس للجاهل ان يقلد فى تقليده مقلدا آخر مثله، بل لابد فى ان يحقق فى تقليده ليساند اطاعته الى علم تحقيقى دون الظن التقلبدى فانه لايغنى من الحق شيئا، فعلى التابع المطيع ان يحقق لكيلا يقع فى تيه طاعة الشيطان المارد الذى كتب عليه انه من تولاه فانّه يضله ويهديه الى عذاب السعير.

هذا فيما يتصل الى لزوم التحقيق فى الاطاعة. واما لزامه فى المتبوع المطاع فلقوله تعالى:

ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق[٢].

حيث انه ظاهر فى ان الجاهل القائد لغيره يجادل فى الله بغير علم عقلى ولا وحى سماوى يثنى راسه وعطفه كأن ليس هناك حق يعتد به ووحى يخضع لديه ليصير متبوعا يطيعه الجهال ويضلهم عن الصراط السوى.

وليس للقائد والمطاع ان يصير راسا يتبعه الاذناب الا بعد علم وهدى، وذلك لايتحصل الا بالتحقيق الذى يهدى القرآن المجتمع الانسانى اليه: أفمن

---

١ - الحج / ٣.

٢ - الحج / ٨ و ٩.

اسس بنيانه فی ایّ موقف کان علی التحقیق خیر امّن اسس بنیانه علی التقلید الذی هو شفا جرف هار فانهار به فی نارجهنم کما اوعده الله فی کلتا الآیتین فلاالجاهل المطیع باقتداره ان ینجومن النار والهلکة ولاالجاهل المطاع ان یتخلص منها بل کل فیها یختصمون ویتبرء بعضهم من بعض کما اوعزالیه سبحانه بکلمته:

یوم تقلب وجوههم فی الناریقولون یالیتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وکبرائنا فاضلونا السبیلاْ ربنا آتهم ضعفین من العذاب و العنهم لعنا کبیرا[1].

لکن لایجدیهم هذا التمنی بعد ان قامت الحجة علیهم فی الدنیا علی لزوم التحقیق مع امکانه وانتاجه وانهم وان یتمنوا ان یضاعف الله عذاب سادتهم وکبرائهم، لکنه لاینفعهم هذا التمنی ایضا حیث أن لهم کهولاء السادة ضعفین من العذاب، کماقال سبحانه:

قال ادخلوافی امم قدخلت من قبلکم من الجن والانس فی النار کلما دخلت امة لعنت اختها حتی اذا ادّارکوا فیها جمیعا قالت اخرهم لاولیهم ربنا هولاء اضلونا فآتهم عذاباً ضعفا من النارقال لکل ضعف ولکن لا تعلمون وقالت اولیهم لاخریهم فماکان لکم علینا من فضل فذوقوا العذاب بماکنتم تکسبون[2].

والسر فی استحقاق کل من التابعین الجهال المقلدین فی الا تّباع والطاعة ومن المتبوعین الجهال فی الزعامة والقیادة ذلك، مع ان الاصل القطعی المستفاد من القرآن هو ان جزاء سیئة سیئة مثلها لاازید منها وان کان جزاء حسنة خیرا

---

١ ـ الاحزاب / ٦٨ ـ ٦٦.

٢ ـ الاعراف / ٣٩ ـ ٣٨.

منها هوان التابع المقلد فی طاعته واتباعه قدارتکب سیئتین: (احدیهما) المعصیة الخارجیة المشترکة بینه وبین قائده وهو السجود للصنم اوغیره من المعاصی، (والاخری) هوتقبل قیادة و رئاسة الامام الجائر، مع ان العقل والوحی قد تطابقا علی لزوم مقاتلة أئمة الکفر والطغیان ودفع شرورهم ورفع ظلمهم، کما وان المتبوع الذی قادالناس الی إتباعه جهلا منه قدارتکب سیئتین احدیهما المعصیة الخارجیة والاخری تصدی الحکومة والتّراس علی الناس ظلماوجوراً فلذا یعاقب کل من السائس والمسوس الذین فی النار ضعفا من العذاب ولااثر للتمنی هناك ، رغم انه یودّ الا تباع ان یردوا الی الدنیا ویتبرؤن من سادتهم الطغاة کما تبرؤا منهم یوم القیمة حین رأواالعذاب کما قال سبحانه:

اذتبرّأ الذین اتبعوا من الذین اتبعوا ورأوالعذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذین اتبعوا لوان لناکرة فنتبرء منهم کماتبرّؤا مناکذلك یریهم الله اعمالهم حسرات علیهم وماهم بخارجین من النار[1].

والمحصل: ان الحیاة التی یهدی القرآن الناس الیها هی الحیاة المؤسسة علی التحقیق دون التمنی اذ لاجدوی للامنیة فی الدنیا ولافی الاخرة لأن النظام الحاکم علی النشأتین مع مابینهما من الامتیاز الملکی و الملکوتی هوالتدبر والتحقیق لاالاسترسال والتمنی، ولذا قال امیرالمومنین (ع):

... ایاك والاتکال علی المنی فانها بضائع النوکی[2].

والاصل فی ذلك هوالقرآن الحکیم النادب الی التحقیق والناهی عن الرکون الی شیئ بدونه والناطق بان الاسماء والعناوین والالقاب وما الی ذلك

۱- البقرة / ۱۶۷ - ۱۶۶.

۲- نهج البلاغة، الکتاب ۳۱.

من الجهات الخارجة عن نطاق الذات وحوزة الجوهر الانسانى لا تغنى من شيئ فيلزم التدبر فى محتواه ثم استماع ماعن مستنطقه وهو مولينا الرضا (ع) اماالقرآن فهومع اصراره على ان مدار التفكر والتصديق والتكذيب هوالعقل وان الحياة الطوبى انما تتحصل لمن كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد... صارح بقوله تعالى:

ان الذين آمنوا و الذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عندربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون[1].

اذالذى تفيدناوتتحفنا هذه الاية الكريمة و مايضاهيها[2] هو ان الامة التى لا تلحد فى الله بالانكار المحض ولا تنكر الرجوع اليه بالنفى الصرف ولا تعبد اللات والعزى ولا تقول: ان هى الا حياتنا الدنيا ولا تعلن بقولها ومايهلكنا الا الدهر و تعترف -على الجملة- بان لها ربا ترجع اليه وان تقطعت احزابا و فرح كل حزب بمالديه وحسب انه ناج دون غيره واكتفى بعنوانه الخاص به من العناوين المطروحة فى الكريمة الا ان الله الذى بيده قدر كل شيئ وتعيين ملاك الهلاك والنجاة قائل بان شيئا من هذه الاسماء لايجدى ولايدور الاجر الالهى مداره اصلا لدورانه مدار اصول ثلثة يستوى فيها الناس من الصدر الى الساقه وهى المعارف الاولية التى اسس عليها الاسلام الذى هوالدين الوحيد عندالله[3] والذى جاء به الانبياء بلافارق بينهم من هذه الجهة وتلك الاصول عبارة عن الاعتقاد بالله الجامع لجميع الكمالات التى هى من الاطلاق الذاتى الطارد

---

١ ـ البقرة /٦٢.

٢ ـ المائدة /٦٩.

٣ ـ آل عمران /١٩ «إن الدين عندالله الإسلام...».

لاحتمال ايّ شريك و ند و ضد و معاضدوما الى ذلك والاعتقاد باليوم الآخر الذى اليه يرجع الناس كلهم وله مواقف معروفة والاعتقاد بالوحى والرسالة والشريعة مع العمل على موازينها.

وهذا الاصل الثالث هوالذى عبّر عنه القرآن بالعمل الصالح ومن البين لمن تدبر فيه وانس به و عرف نطاقه ومنهجه انه انما يعد العمل صالحا فيما اذا انطبق على شريعة كل عصر فلو لم ينطبق عمل على شريعة اصلا ورأسًا، اوكان مطابقا لمنهاج منسوخ و،شريعة قضت نحبها ومضى اجلها فليس هوبعمل صالح لديه، واما الامور الكلية التى ينالها العقل ويمضيها الوحى المشترك كالعدل والاحسان والصدق والايثار والامانة والتواضع ونحو ذلك فهى اوصاف واعمال صالحة عند كل نبى ووصى.

والغرض هوان العمل الصالح فى مصطلح القرآن هوالعمل المطابق لماجاء به الوحى الحاكم على عصره ومن اللائح ان تطبق العمل على وفق ذلك الميزان يتوقف على العلم به والانعطاف اليه وعقد القلب عليه، وهذا هوالاعتقاد بالوحٰى والنبوة المشاراليه فى الاصل الثالث وهذه الاصول الثلاثة فى ايّ عصر تحقّقت تلازم وتوجب الأجر الالهى وتزيل ايّ خوف وحزن سواء فى ذلك الخلف والسلف.

وهذه الاصول لابد فى معرفتها من البرهان العقلى الذى لامجال بدون التحقيق فيها للتقليد ولاللقيادة، لان الناس فيها شرع سواء رغم اختلاف درجات تحقيقهم ومراتب فحصهم بالاجمال والتفصيل وبالشدة والضعف، وعليه فلاوجه لحصر السعادة فى عنوان ونفيها عن عنوان آخر. وعلى هذا الحجر الاسلامى يقضى القرآن على الدعاوى العاطلة والامانى الكاذبة التى لكل حزب خاص حيث يدعى كل واحد من تلك الاحزاب انه هوالمؤهل للسعادة

والجنـة ـانحصاريا ـ دون غبره ولايـرضـى عن غيره حتى يتبع مـلته ويدعى انه ـبالذات ـ هوالمتـقرب من الله سبحانه وان غيره هوالمبتعد عنه تعالى وانّه لاسبيل لغيره عليه بل له ان يفعل فى حق غيره مايشاء، حيث قال سبحانه:

وقالوا لن يدخل الجنـة الا من كان هودا اونصارى تلك امانيّهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين[1].

يعنى ان اليهوداطـار تفكـرهـم و منطقـهم هوانحصـار الجنة لهم ـذاتـيا ـ، لايدخل فيها احد سواهم، وكذا النصارى دعويهم انحصارها لهم ولامطمح لاحد فيها عداهم، كماقال تعالى:

وقالت اليهود ليسـت النصـارى على شيئ وقالت النصارى لـيست اليهود على شيئ وهم يتلون الـكتاب كـذلك قـال الذين لايـعلـمون مثـل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيا كانوا فيه يختلفون[2].

ومعناه ان كـلّا من فـريق اليهود والنصارى يطارد الاخر، مع ان الكتاب الالهى الذى يتلـونه لايحكم بان الـنجاة تدور مدار الـعنوان والوسام والصـفات ومالى ذلك وهؤلاء رغم تلاوتهـم لـذلك الكتاب الالهى الحـاكـم على خلاف ذلك يتهوسون بنفى الفريق الاخر. كما و ان هذه الدعوى الخلية عن البرهان هى قولة غـيـرهـم من الجهال الـفـاقدين للـكـتاب السماوى ولايختص هـذا الحصر المتـوهم بـالقيـاس الى فريـق دون آخر بل كل من هـولاء ينفى ويـدعم كل من سواء باطلاقه كما قال سبحانه:

ولن ترضى عنـك اليهـود ولاالـنصارى حتى تتبع ملتهـم قـل ان هدى الله

---

١ ـ البقرة / ١١١.

٢ ـ البقرة / ١١٣.

هوالهدى ولئن اتبعت اهوائهم بعد الذى جائك من العلم مالك من الله من ولى ولانصير[١].

يعنى ان اليهود لا ترضى عن الرسول وامته إلا ان يرتدوا عن الاسلام ويتهودوا وان النصارى لا ترضى عنهم الاان يتنصروا وكل واحد من الفريقين كمايحكم ببطلان الفريق الاخر وانه لبس على حق و شيئى كذلك يقضى على الاسلام والمسلمين بانه ليس على شيئى اصلا وقد بلغت امنيتهم الكاذبة الى حيث ادعوا انهم دون غيرهم اخصاء بمعرفة الله ودينه وانهم ابناء الله واحبائه ولكن رد الله عليهم بقوله:

وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحبائه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض و ما بينهما واليه المصير[٢].

اذلو كانوا احبائه لماعذّبهم الله بذنوبهم ولما اذنبوا حتى يعذبوا بل هم كغيرهم من احاد الناس وسوادهم يحكم عليهم مايحكم به على غيرهم من العدل العام الالهى الذى قدمر نظامه بدوران الاجر والنجاة من النار مدار هاتيك الاصول الثلاثة بلا مايز بين حزب وآخر.

وحيث إن الامة الخاطئة التى ترى نجاتها ـ بالذات ـ وتزعم هلكة غيرها قدترتطم فى غواية وضلال الى حدّ لو اخرج يده لم يكديراها تتخيل ان المؤسس للدين التوحيدى الذى اليه منتهى الانبياء والاولياء وهو ابراهيم (ع) كان على دينهم وانهم على منهاجه دون غيرهم، كما قال سبحانه:

---

١ ـ البقرة / ١٢٠.

٢ـ المائدة / ١٨.

ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا اونصارى قل أأنتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون[1].

ولما خيل لهم انهم على الحق دون غيرهم وهم على شريعة الانبياء دون من سواهم حسبوا ان لاسبيل الى الله الا بالتهود والتنصر وانها ـ انحصاريا ـ سبيل ابراهيم (ع) ولكن رد الله تعالى عليهم مزعمهم بان سبيلهم انما هو فى قبال ملة ابراهيم (ع) وان الصراط السوى الهادى الى الجنة المنجى من النار هو ملته (ع) فحسب، حيث قال عزمن قائل:

وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم (ع) حنيفا وما كان من المشركين[2].

وقد بين سبحانه فى مطوى هذه الايات ان بنيان هولاء مؤسس على الجهل والامنية فلوعلموا وحققوا لما تفوهوا بذلك، كما قال تعالى: «قل هاتوابرهانكم» يعنى ان الدعوى اذالم تكن مشفوعة بالبرهان لم تكن مسموعة، بل تصبح امنية خاطئة ليس الا كماقال تعالى: «تلك امانيّهم» وقال ايضا: «كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم» يعنى قول هولاء الذين هم اهل الكتاب مثل قول الجهال لان من لايعتنى بكتابه السماوى وينبذه وراء ظهره فهو مثل من لاكتاب له من الجاهلين... هذا نبذ من امانيهم.

واما القرآن الحكيم، فحيث انه يهدى للتى هى اقوم فلاياتى بمقال الامشفوعا بالبرهان سواء فى ذلك اثبات كمال لشيئ او سلبه عنه ولايبنى شيئا

١ـ البقرة /١٤٠.

٢ـ البقرة/١٣٥.

من ذلك على العنوان والاسم والانتهاء بكتاب فلذلك لايرى فيه موضع يعد احدا بالجنة او يؤمنه من النار إلّابعد احراز وصفين احدهما الحسن الفاعلى وهو كون ذلك الشخص مؤمنا والاخر الحسن الفعلى وهو ان يبعث منه عملا صالحا كما وانه لا يخوّف احدا بالنار ولايهدده بها الابفقده احدهما، بان لايكون قدآمن او آمن ولم يكتسب فى ايمانه خيرا. لذلك تراه قدحكم فى هذه المسئلة التى قد ادعى كل فريق بكونه ناجيا -باطلاق الكلمة- وادعى ايضا بأن ماسواه ليس على شيئ بل هالك بالاطلاق... -حكم تعالى- بحكم عدل وقضاء قسط يوافق ما اسس بنيانه عليه من دوران الامر فى السعادة والنجاة من النار وجودا وعدما مدار تلك الاصول الثلاثة كذلك -اى وجودا وعدما- وهو قوله تعالى:

قل يا اهل الكتاب لستم على شيئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين[1].

يعنى ان اهل الكتاب ان اقام كتابه السماوى وما انزل اليه من ربه -فهو على خير وكمال يتفتح له ابواب الرحمة والجمال لان اقامته هذه عبارة اجماليا عما بيّنه فى آيتى البقرة والمائدة تفصيليا وهو توقف الأجر الالهى ونفى الخوف والحزن على الايمان بالمبدء والمعاد والوحى والرسالة وعلى العمل بمقتضاها، وذلك لان الذى لم يؤمن بكتابه السّماوى او آمن ببعضه دون بعض او آمن بجميع ما فيه لكنه لم يعمل بمقتضاه فهو ممن لم يقمه، وعليه فاقامته و رحابه به انما تتحصّل بتلك الاصول المارة.

---

١ - المائدة /٦٨.

فكم فرق بين القائل بان اليهود ليس على شيئ -على اطلاق الكلمة- وبين القائل بأن اليهود ليس على شيئ حتى يقيموا كتابهم السماوى اذالاول مجازف لااعتداد بدعواه، والثانى حكيم يخضع لماادعاه، وحيث إن اهل الكتاب لو اقاموا كتابهم الاصيل، ذلك السفرالغير المحرف، لنالوا حقايق كبيرة جمة...، التى منها التبشير بالقرآن ومن يأتى بهٖ يحصل لهم نصاب شرائط الأجر الالهى، لذلك فقد استقروا نهائيا على شيئ وهو الكمال الذى تهدف اليه النبوة وتهدى اليه الرسالة، بيد انهم نبذوه وراء ظهورهم ولم يقيموه واقتصروا على الانتماء الصرف اليه... كان ذلكٰ هوالسبب لأن يعمهم الجهل المقابل للعلم كمافى الا تباع الذين اتبعوا كل شيطان مريد، لفقدهم التحقيق فى التبعية والطاعة اوالجهل المقابل للعقل كمافى الاحبار والرهبان والقسيسين، لايثارهم الدنيا على الاخرة واستئثارهم الجاه وحُبّ الدنيا الذى هورأس كل خطيئة.

وهيهنا يتبين ان الرسول الاعظم (ص) وتابعيه لهم حظّ عظيم اوفر من العلم وهؤلاء لاخلاق لهم منه فان هذا هو المستفاد -بوضوح- من قوله تعالى:

ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وماانت بتابع قبلتهم ومابعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهوائهم من بعد ماجائك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كمايعرفون ابنائهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون[١]

حيث انه تعالى عد ما عند الرسول (ص) علما وعد عمل هولاء هوى يتهوسون به وبيّن ان هؤلاء قد تبين لهم الحق وعرفوه اشد معرفة كماعرفوا ابنائهم، لكنهم كتموا الحق عالمين به فاقدين عقلا عمليا يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان بقبول الحق والنكول عن الباطل.

---

١ - البقرة /١٤٦ - ١٤٥.

فاذا لاح أن مقطب السعادة هوالتحقیق وطرد ایة امنیّة لا تساند الیه وانّ معارف القرآن العلمی قداسست علی ذلك حسبما یستنبط المتدبر فیه، فعلیه یلزم الاصغاء الی ماهو المأثور عن مستنطقه وهو مولینا الرضا (ع) حیث قال:

من احب عاصیا فهو عاص ومن احب مطیعا فهو مطیع ومن اعان ظالما فهو ظالم ومن خذل عادلا فهو ظالم انه لیس بین الله وبین احد قرابة ولاینال احد ولایة الله الا بالطاعة، ولقد قال رسول الله (ص) لبنی عبد المطلب :ایتونی باعمالكم لاباحسابكم وانسابكم، قال الله تعالی فاذانفخ فی الصور فلا انساب بینهم یومئذ ولایتسائلون فمن ثقلت موازینه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازینه فاولئك الذین خسروا فی جهنم خالدون[1].

فقد صارح (ع) بان العمل السیئ من ایّ عامل صدر یوجب الخسران وانه لیس بینه تعالی وبین احدمن خلقه قرابة لكی یدعی بانه من ابناء الله واحبائه كما ادعاه الیهود رغم قتلهم الانبیاء بغیر حق. وانه لاینال ولایة الله الا بالطاعة المؤلفة من الحسن الفاعلی والحسن الفعلی... علی مامرمسبقا. ولقدروی ابوالصلت الهروی قال سمعت الرضا(ع):

یحدث عن ابیه ان اسماعیل قال للصادق (ع) یا ابتاه ماتقول فی المذنب منا ومن غیرنا فقال(ع):لیس بامانیكم ولاامانیّ اهل الكتاب من یعمل سوء یجزبه[2].

یعنی منه عدم الجدوی للانتماء ولالـلتمنی نهائیا، فالمنتسب الی رسول الله (ص) لابد وان یهتدی بهداه ویسایر بسیرته ولیستن بسنته ولایدور الامر فی النجاة مدار امنیة ایّ متمن.

ولقد روی الحسن بن الجهم قال كنت عندالرضا (ع) وعنده (ع) زیدبن

---

۱ - عیون اخبار الرضا، ۲/۲۲۵.

۲ - عیون الاخبار، ۲ / ۲۳٤.

موسى اخوه وهو(ع) يقول:

يازيداتق الله فانه بلغنا ما بلغنا بالتقوى فمن لم يتق الله ولم يراقبه فليس منا ولسامنه يازيد اياك ان تهين من به تصول من سيعتنا فيذهب نورك يازيد ان شيعتنا انما ابغضهم الناس وعادوهم واستحلوا دمائهم و اموالهم لمحبتهم لنا واعتقادهم لولايتنا فان انت أسأت اليهم ظلمت نفسك وابطلت حقك. قال الحسن بن الجهم: ثم التفت(ع) اليّ فقال يابن الجهم: من خالف دين الله فأبرأ منه كائنا من كان من اى قبيلة كان ومن عادى الله فلا تواله كائنامن كان، من اى قبيلة كان فقلت له: يابن رسول الله ومن الذى يعادى الله تعالى قال: من يعصيه[1]

وحصيلة ما افاده الامام(ع) هو ما اوعز به القرآن من دوران كرامة الانسان مدار التقوى وانها لا تتحصل بالانتساب والامنية وما الى ذلك، بل بالمراقبة والطاعة انحصاريا وان من يعصى الله فهو عدوّله، فكيف يكون وليا له. ولذلك نراه(ع) يخاطب اخاه بانه اخوه مازال فى طاعة الله عزوجل. ان نوحا(ع):

قال رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين، فقال الله عزوجل يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غيرصالح فاخرجه الله عزوجل من ان يكون من اهله بمعصيته.[2]

لان الله الذى لايجور فى الحكم -لأنه احكم واتقن واعدل حاكم وقاض-، قدحكم بان الطالح منقطع الرباط والصلة عن الصالح وان النسّب الاعتبارية لاتحمل اية حقيقة وان العصيان يوجب ويلازم الابتعاد عن الله وان الطاعة توجب وتلازم القرب اليه وان البعيد والقريب ليسابسواسيه لانه برى

---

١ - عيون الاخبار، ٢ / ٢٣٥.

٢ - عيون الاخبار، ٢/ ٢٤٤.

من البعید عن الله اذ: اولی الناس بابراهیم للذین اتبعوه وهذاالنبی (ص) والذین آمنوا والله ولی المومنین وهو-ای ابراهیم (ع)- قال لابیه وقومه اننی براء مما تعبدون. والسر فی ذلک هو ان الحق بریئ من الباطل ویضاده ولامجال له مع ظهوز الحق، کماقال تعالی:

قل جاء الحق ومایبدئ الباطل ومایعید[1].

یعنی سبحانه انه لاموقع للباطل مع مجئی الحق سواء فی ذلک الباطل الحادث البادی الغیر المستبق بوجود او الباطل الذی کان موجودا مسبقاثم زال فلا امکان لعوده کمالا امکان لحدوث غیره من الاباطیل لان الحق -بطببعته- یدمغ الباطل فاذاهو زاهق، ومن هنا یستبان معنی قولة مولبنا الرضا (ع):

النظر الی ذریتنا عبادة فقیل له،یابن رسول الله (ص) النظر الی الائمة منکم عبادة اوالنظر الی جمیع ذریة النبی (ص) قال (ع): بل النظر الی جمیع ذراری النبی (ع) عبادة مالم یفارقوا منهاجه ولم یتلوثوا بالمعاصی[2].

و ذلک لان رؤیة الذریة الطاهرة عن الذنوب والادناس تکون تذکرة للذین اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا وهذه التذکرة عبادة دون النظر الی المتلوثة بالمعاصی لانه حجاب عن ذکری هولاء المطهرین فکیف یکون عبادة فیدلنا ذلک علی دوران العبادة مدار الحق دون الانتماء ولا الامنیة والحسبان، و حیث انه (ع) کان متحققا بالحق وکان صلا ته ونسکه و محیاه ومماته لله رب العالمین وکان منزها عما یشوب الباطل والتمنی وعما یشوبه الانتماء والحسبان لایفاعل ولایوثر فیه المدح والقدح، فلذا نراه لما قال له(ع) رجل: «والله ماعلی وجه الارض اشرف منک ابا» یجیبه (ع) بکل تأکید بأن

۱- سبأ/ ٤٩.
۲- عیون الاخبار، ۲/ ٥۱.

«التقوى شرفهم وطاعة الله احظتهم»، وهكذا لمايقول له الآخر: «انت والله خيرالناس» ،يقول له:

لاتحلف يا هذا خيرمنى من كان اتق لله تعالى واطوع له والله ما نسخت هذه الاية: وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عندالله اتقيكم[١].

والسبب هو ان الانسان الكامل المعصوم(ع) لايأتيه الباطل من بين يدى المدح ولامن خلف القدح، لان القرآن العلمى المصون عن ذلك كله قد خالط دمه ولحمه من قرنه الى قدمه ومن قلبه الى قالبه ومن ملكوته الى ملكه ومن عقله الى طببعته ومن فيضه الاقدس عن شوب الكثرة والميزالى فيضه المقدس مستوعبا جميع مراتبه، فكما ان القرآن العلمى قول فصل وليس بهزل وبرهان ليس بحسبان وحق ليس بامنبة، كذلك القرآن العينى الذى هومستنطقه حق لاينخسف بالمدح الباطل ونور لاينكسف بالقدح الزور، وعلى الجملة: تكون حياته الطوبى حياة عقلية مبرأة عن التباهى بالانتماء وان كان هو(ع) فوق مدحة المادحين ماضيا او مقتبلا، كما عرّف هو(ع) الامام بمالايناله عقول الناس، الا ان الاستدلال بالقرآن انماهو لتحكيم التحقيق وطرد ايّة امنية لاىّ متمن.

والسر فى اصراره(ع) فى طرد التمنى ونبذ الامنية وراء الظهر هو انها بضاعة الشبطان وحبالته كماقال سبحانه حاكيا عنه:

...ولامنينهم[٢]

ولايغتر بها الا اهل الدنبا الذين هم تحت ولايته .ومن اظهر مصاديق هؤلاء الاميون الذين لايعلمون الكتاب الامانى ولذلك يعدهم الشيطان ويمنيهم ومايعدهم الاغرورا، كماقال اميرالمومنين(ع):

...وحذّركم عدوا نفذفى الصدورخفيّا ونفث فى الاذان نجيّا فاضل

---

١ ـ عيون الاخبار، ٢/٢٣٦. ٢ ـ النساء/١١٩.

واردی ووعد فمنی وزین سیات الجرائم[۱].

والانسان المحقق الذی تربی فی مدرسة کلامه تعالی:

لیس بامانیکم ولااماني اهل الکتاب[۲].

هوالذی یکذب مناه ویکابرهواه ویستغنی باشرف انحاء الغنی ویجاهد هواه کمایجاهد عدوه کیلا یأسر عقله هواه ولایصبح هواه امیراً علیه، کما قاله امیرالمومنین (ع):

... واشرف الغنی ترك المنی وکم عقل اسیر تحت هوی امیر[۳].

ولامناص فی التحفظ من التمنی وحبالة العدو المبین الا بالعبادة والتباهی بها اذ التفاخر بالتذلل لله ممدوح، کما اوعزالیه الامام علی (ع):

الهی کفی بی عزا ان اکون لك عبدا وکفی بی فخرا ان تکون لی ربا انت کمااحب فاجعلنی کماتحب[۴]

ومماذکرنا بکله یلوح معنیٰ کلام مولینا الرضا (ع) لما قال له المامون:

یابن رسول الله قد عرفت فضلک وعلمک و زهدک و ورعک و عبادتک اراک احق بالخلافة منی. قال(ع): بالعبودیة لله عزوجل افتخر و بالزهد فی الدنیا ارجوالنجاة من شرالدنیا وبالورع عن المحارم ارجوالفوز بالمغانم وبالتواضع فی الدنیا ارجوالرفعة عندالله عزوجل[۵]

---

۱ ـ نهج البلاغة، الخطبة ۸۳.
۲ ـ النساء /۱۲۳.
۳ ـ نهج البلاغة، قصار الکلم، ۲۱۱.
٤ ـ مفاتیح الجنان، ص ۱۳۱.
۵ ـ علل الشرایع، ۲۲٦/۱.

والمحصل: ان تعاليم القرآن مؤسسة على التحقيق والا تقاء عن الامانى وأن مولينا الرضا (ع) كغيره من العترة الطاهرة قدبنى سيرته العلميّة و العملية على التحقيق البرهانى وتحكيم مبانيه وتضعيف الأمانى وتحطيم اركانها وتنبيه المغترين بها واحياء ارتكازهم بعدم الاغترار بالانتماء والحسب والنسب وما الى ذلك من الاسماء التى ما انزل الله بهامن سلطان وذلك كله ببركة العمود النورى الذى كان ببنه (ع) وبين الله سبحانه كما اسلفنا بيانه مبسوطا.(بلغ والحمد لله رب العالمين ليلة القدر ٢٣ من رمضان المبارك عام ١٤٠٦ هـ‍ق)

الجنة الرابعة: فى ترغيب القرآن الى البرهان العقلى والشهود القلبى وترهيبه عن القياس الوهمى والتمثل الشيطانى

قد تقدم ان القرآن يهتف الى التحقيق ويأمر به ويزجر عن الركون الى الامنية و ينهى عنها، وبما أن القرآن نور لاظلامة فيه اصلا فلا يكتفى بمجرد الامر بشيئ بدون الارشاد الى كيفية تحصيله ولا يقتصر على مجردالنهى عن شيئ بلا ذكر لنموذجه وبيان لمن ابتلى به وتبيين لكيفية علاجه لانه ليس كتاب تعليم فقط كيلا يتعرض لذكر الامثال وتشريح حال المبتلين به كماهو المألوف فى سوق التصنيف ومتجر التاليف بل هو كتاب انزل «هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان».

فهو رغم تاسيس بنيانه على التحقيق ودعائه الناس الى تاسيس حياتهم عليه ومدح المحققين وذم المعرضين عنه حسبما مر مسبقا فى الجنة الثالثة، لكنه ـ فى نفس الوقت ـ لايقتنع بصرافة هذا البيان الكلى من دون تعليمه لمنهج التحقيق و هدايته شرائط النيل بالحق وتذكر موانع الوصول اليه ونقل احاديث وقصص اولئك الذين لم يتحصلوا لتلك الشرائط ولم يتقوا عن هذه الموانع ووقعوا فى تيه

الجهالة وحيرة الضلالة، كما وانه نقل سيرة المتزينّين بوجدان هاتيك الشرائط والمتخلين عن هذه الموانع والقواطع و الحاظين لما حظوا من القرب والوصال، وعليه فمن اللازم التدبر فى القرآن الحكيم لكى يتبين منطقه فى تعليم اسلوب التحقيق وان منهجه ماهو؟ وكم هو؟ ثم الانصات الى ماعن مستنطقه وهو الانسان الكامل المعصوم (ع) حتى يظهر ان بيانه فى نحو الهداية الى الحق والنيل به ماهو وكم هوايضا لبستبان ان الثقلين الذين خلفهما رسول الله (ص) فى امته بمنزلة العينين والاذنين كلاهما يبصران معاو يسمعان معا بلا ميّز و لا تعدّد ولاتخالف ولااختلاف بين مبصرانهما ولابين مسموعاتهما.

فنقول: ان الذى يفيدنا ويتحفنا القرآن الكريم هوان هنا طريقين الى الوصول للحق: احدهما التفكر العقلى و ثانيهما الشهود القلبى وكل واحد منهما وان كان ملائما للاخر و مناسبا له لكن لكل واحد منهما فصل يمايزه عن صاحبه. نعم من الممكن جمعهما فى انسان متكامل كالحكيم المتأله والعارف المحقق، واما طريق الحس فهو لبس صراطا مستقيما بجباله مادام لم ينته الى البرهان العقلى وذلك، لأن الجزئى المحسوس بما انه جزئى لاينتج وان ضم الى جزئى او جزئيات آخر وان انتج فلايخرج عن الظن الغير المغنى من الحق شيئا فيما يعتبرفيه اليقين.

وحيث انّ اسلوب و طريقة الشهود القلبى اقرب الى الحق والى سيرة الانبياء والاولياء الذين به نالوا مانالوا وهوفى نفس الوقت آدعىٰ الى العمل الصالح، كماو انه ايضا مبتن عليه، كان اهتمام القرآن به اشد من اعتنائه الى طريق التفكر العقلى ولكنه مع ذلك اصعب واعسر واوعر من التفكر العقلى رغم كونه صعبا وعسرا و وعرا ايضا،لان شرائط سلوكه اهم من شرائط التفكر العقلى وموانعه اكثر من موانعه لان شرائط التفكر الصحيح وكذا الموانع منه

معلومة مدونة و رعايتها وان كانت غير خلية من الصعوبة لكن شرائط الشهود القلبي كعقبات كئودة وعرة يصعب اقتحامها جدا والموانع عنها اودية مهلكة حفت بالشهوات وزينت بها على حد يعسر الا تقاء عنها ويشكل التجاة منها والاستيلاء عليها الا للاوحدى الذى استخلصه الله لنفسه وبلغ شأواً قاصيا لا تناله سهام الا بالسه ولا تصل اليه ايدى الأمانى والدسائس، واولئك هم القلة عددا... والمايز الاخر بين طريق التفكر والشهود هوان حصبلة التفكر البرهانى تتقبل الانتقال الى الغير بالتعليم دون ثمرة الشهود القلبى فانها لا تقبله بوحدته الآبالاستعانة من التفكر العقلى، وتفصيل المقال فى كل واحد منها فى طى مقامين احدهما ما يبحث عن موقف التفكر العقلى تجاه القرآن الحكيم و الآخر حول موقف الشهود القلبى تجاهه، فنقول:

المقام الاول: فى موقف التفكر العقلى تجاه القرآن الحكيم

ان التفكر العقلى تحرك روحى نحو المجهول من قنطرة المعلوم المنتهية اليه بالضرورة وينافيه السكون اوالتحرك من مجهول الى مجهول اومن معلوم لاينتهى الى ذلك المجهول باليقين، وان امكن انتهائه اليه بالظن الغيرالمغنى عن الحق شيئاً لذلك فقد منع القرآن الهادى للتى هى اقوم عن كلّ من السكون المعبر عنه بالتقليد فى الاصول ومن التحرك لاعلى النهج الصواب المعبر عنه بالمغالطة الفكرية التى منشاها ايحاء الشيطان الى اوليائه ليجادلوا فى الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير، ولم يقنع كتاب الله بمجرد هذا المنع كما مرمسبقا بل قدم بنفسه امام السالكين وبرهن على دعواه واستدل على مدعاه وعلّم فن البرهان لمن وعاه ونقل ماساند اليه ذلك المعرض عن الحق والنائى بجانبه وبيّن وَهن دليله بضعف مادته او صورته وحذّرعن الاستدلال بما لايفيد اليقين لوهنه

کما رَهّبَ عن الجمود والتقليد لان سلوك سبيل الغى والتحرك المغالطى لولم يكن اسوء حالا من التوقف والتقليد فلااقل منه.

والسر فی ذلك كله هو ان الدين الالهی المبتنی علی الحق لاامكان لنيله الا بوعی من العقل او بوحی من النقل، وكلما اتسع نطاق العقل فی المجتمع وشاع الوحی فيه امكن الوصول الی محتواه وسهل النيل الی مغزاه، وكلما انعكس الامر باتساع الجهل فی المجتمع اما للجمود وعدم التفكر او للتفكر الباطل العقيم صعب الوصول الی مدعاه واصبح مهجورا مطموسا، كما وان الامر فی الدين الشيطانی القائم علی الباطل علی معاكس منه حيث انه كلما اتسع نطاق التقليد وشاع التفكر المغالطی سهل رواج ذلك الجزاف وكثر تابعوه اولئک الذين يميلون مع كل ريح ولم يستضيئو بنور العلم ولم يلجوا الی ركن وثيق... ولكل من هذه الامور المارة نماذج نشير اليها كمايلی:

(فنها) مايتصل الی النهی عن اتّباع غير العلم اليقينی نحو قوله تعالی:

ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا[١].

(ومنها) ما يتصل الی تفصيل هذا النهی بان كل واحد من التصديق والاثبات وكذا التكذيب والنفی اذالم يكن بالبرهان القطعی فهو اقتفاء لما لاعلم به، وقد نهی عنه كماقال فيه مولينا الصادق (ع)[٢]

ان الله خص عباده بآيتين من كتابه ان لايقولوا حتی يعلموا ولا يردّوا مالم يعلموا وقال عزوجل:

«الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لايقولوا علی الله الا الحق[٣]»

---

١ ـ الاسراء /٣٦.

٢ ـ الكافی، باب النهی عن القول بغير علم ١/ ٤٣. ٣ ـ الاعراف/ ١٦٩.

وقال:

بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله[١].

(ومنها) ما يتعلّق الى النهى عن التقليد عمن لايهتدى ولايتعقل لانه عطلة لاحراك لها، كما قال سبحانه ذمّاً لهولاء:

واذا قيل لهم اتبعوا ماانزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آبائنا اولوكان آباوهم لايعقلون شيأً ولايهتدون[٢].

وذلك لان العمل لابد وان ينتهى الى العقل والهداية الحقة، اما بلاوساطة كما اذا كان العامل نفسه عاقلا مهتديا كالمعصوم(ع) بعناية الهية، واما مع الواسطة، كمافى غيره اذا استند اليه وحيث ان آباء هولاء المقلدين لم يكونوا عاقلين ولامهتدين والا لماتحركوا نحو الباطل ولم يبغوا سبيل الحق عوجا فلم يكن عمل الا تباع منتهيا الى العقل والهداية، ولذا قال سبحانه في شأنهم:

... مالهم بدلك من علم ان هم الا يخرصون، ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون، بل قالوا انا وجدنا آبائنا على امة وآنا على آثارهم مهتدون[٣].

يعني ان القول اذالم يستند الى العلم البرهاني ولاالى الوحى السماوى فهوَ خرْص لااعتدادبه وتقليدصرف لاجدوى له.

(ومنها) ما يتصل الى بيان استقرار الدين الالهى على العلم فلذا يرغب اليه واستواء الدين الشيطانى على الجهل فلذلك يرهب عنه.

(اما الاول) فهو فوق الاحصاء كقوله تعالى:

١ـ يونس /٣٩.

٢ـ البقرة /١٧٠.

٣ـ الزخرف/ ٢٢ ـ ٢٠.

وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون[١].
...انما يخشى الله من عباده العلماء[٢]..
وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون[٣]...

(واما الثانی) فنحوقوله تعالی:

فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوماً فاسقين[٤].

يعنی تعالی حمل فرعون قومه علی الخفّة او وجدهم خفيف العزم بالجهل فصاروا مطيعين له، وذلك لأن الحق ثقيل. كماقال الله:

انّا سنلقی عليك قولاً ثقيلاً[٥].

والعمل الصالح ثقيل فلذاتثقل موازين الصالحين، كماقال تعالی:

فامّا من ثقلت موازينه فهو فی عيشةٍ راضية وامامن خَفّت موازينه فامّه هاوية[٦].

والمحصل انّ الدين الشيطانی الذی كان فرعون يهدی اليه ويحامی عنه ويبتغيه وسيلة لدنياه حيث كان يقول:

انی اخاف ان يبدّل دينكم او ان يظهر فی الارض الفساد[٧].

انما هو القائم علی الجهل وخفّة العزم فلذا كان فرعون يذّب عن السفاهة والتمويه بترو يجها والدعاية اليها وبتهديد من يدعو الی الله بالحكمة والموعظة

---

١ ـ العنكبوت /٤٣.
٢ ـ فاطر/٢٨.
٣ ـ البقره /٢٠٣.
٤ ـ الزخرف /٥٤.
٥ ـ المزمّل/٥.
٦ ـ القارعة ٨ـ٦ .
٧ ـ غافر/٢٦.

الحسنة ولما كان الدين الجاهلي يدور مدار الاستخفاف حذّر الله رسوله والمسلمين منه فى قوله تعالى:

فاصبر انّ وعدالله حق ولايستخفنّك الذين لايُؤمنون[1].

فبالترغيب الى العلم الذى عليه عماد الدين الالهى والترهيب عن الجهل والسفه الذى عليه ابتناء الدين الشيطانى يتحول المجتمع نحو التفكر والتحرك الروحى ولصيانته عن الاعوجاج، انزل كتاباً غيرذى عوج وسلك فيه طريق التفكر الصحيح وحذّرعن تطرّق الطريق المغالطى.

(اما الاول) فهو المتجلى فى القرآن الحكيم من بدئه إلى ختمه نحو قوله:

لوكان فيهما آلهة الاالله لفسدتا[2].

وقوله تعالى:

لوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا[3].

أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانّكم الينا لا ترجعون[4].

وما الى ذلك من الآيات المصوغة بصياغة القياس الاستثنائى مع تبين التلازم بين المقدم والتالى فيه وبيان بطلان التالى المستلزم لبطلان المقدم اوالمصبوغة بصبغة القياس الاقترانى مع تبيين الربط الضرورى بين الاوسط وبين طرفيه من الحد الاصغر والحدالاكبر، لسنا الآن بصدد تفصيله.

(واماالثانى) فهو مانقل فى القرآن حكاية عن الوثنيين المتفكرين بزعمهم، لانهم كغيرهم من ارباب النحل صنفان احدهما السادة الذين يتحمّلون اعباء

١- الروم /٦٠.

٢- الانبياء/ ٢٢.

٣- النساء /٨٢.

٤- المؤمنون / ١١٥.

التفكر و ثانيها الا تباع الذين يتحمّلون اوزار التقليد واصر التبعية وان كانت الاغلال على اعناق القائد والمقود والسلاسل على ارجلهم جميعاً لانّهم بعد ماعرضوا عن ذكر الله وصاروا فى ضنك المعيشة وزيغ القلوب وضيقهاو رين الافئدة وطبعها، قاموا يترددون فى ريبهم وقد تقدم ماتمسك به الضعاف من المشركين وهو حفظ السنّة الجاهلية الموروثة من آبائهم ومضى مسبقا انه الجمود على الجهل والسكون الى السفه والقرار على التمويه واما منطق متفكريهم فهو ماحكاه الله عنهم فى قوله تعالى:

سيقول الذين اشركوا لوساء الله مااشركنا ولا آبائنا ولاحرّمنا من شئ كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى داقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتحرجوه لنا ان تتبعون الّاالظن وان انتم الا تخرصون، قل فللّه الحجة البالغة فلوشاءلهداكم اجمعين[١].

وحصيلة حجتهم الداحضة عند ربهم هو انهم بعد ما اعترفوا بأن الله سبحانه موجود وانه خالق السموات والارض وانه رب الارباب، اشركوا بعدذلك فى ربوبيّته الجزئية. فانهم ادعوا بان للانسان رباً خاصاً يربّه ويدبره ويرزقه ويسعده وهكذا للبحر رب خاص وللبر رب مخصوص فلذا اعتقدوا بالارباب المتفرقين وهؤلاء الوثنيون مع انكارهم لاصل النبوة كانكارهم لاصل المعاد كانوا يحاججون فى قبال دعوة الانبياء الى التوحيد وان الشرك باطل ليس بمرضى لله وان الله شاء ان يوحّدوه ولايشركوا به شيئاً...، بان الله -والعياذ بالله- شاء ان يشرك هولآء واراد ان يجعلوا له شريكا فى الربوبية والعبادة وشاءان يحرّموا اشياء ويحللوا اشياء آخر، وذلك لان الله قادر مطلق

---

١ - الانعام /٩ - ١٤٨.

لايعجزه شيى ولاراد لقضائه ولامبدل لحكمه.

وانما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون[١].

فلامرد لمشيته ومن البيّن انه تعالى لوكان رائدا لأن لايشركوا ولايتخذوا من دونه اربابا وان يعبدوه ولايجعلواله شريكا ولايحرموا اشياء ولا يحللوا اشياء آخر، لماقدروا على شى من ذلك ، وبما انهم قادرون عليه بشهادة ما اعتقدوا من الشرك ومافعلوا من التحريم والتحليل، فيعلم من ذلك انه تعالى شاء ان يشرك هؤلاء ويتخذوا من دونه اولياء ولم يشأ خلاف ذلك ولم يرده.

وهذا التفكير المغالطى هوالذى حكاه القرآن الكريم عن هؤلاء المشركين الذين ارادوا تصحيح مافعلوه و توجبه افاعيل آبائهم فى موارد (منها) مايحكيه قوله تعالى:

وقال الذين اشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شيئ نحن ولا آبائنا ولاحرمنا من دونه من شيئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الاالبلاغ المبين[٢].

يعنى لوشاء الله ان لانعبدالوثن ولا نحرم من عند انفسنا اشباء لماقدرنا على عبادة غيره ولا على تحريم شيئ والتالى باطل لانا نفعل ذلك كما وان آبائنا فعلوه من سابق فالمقدم مثله، اذًا: فالله قد اراد الشرك وشاء عبادة الالهة، فما يقوله مدعى الرسالة بان الله لم يشأ الشرك ولم يرد ان يعبد الاصنام افتراء عليه... فهذا هوالجدال الذى جادلوا به الحق ليدعموه ولكن القرآن الكريم الذى هو نور لاظلامة فيه اصلا قد بحث فى اطروحة التوحيد والشرك من نواح شتى وبرهن على ضرورة التوحيد وكونه حقا لايراب فيه وبيّن امتناع الشرك

١-يس/٨٢.　　٢ - النحل/٣٥.

وکونه باطلا لامرية فيه.

وكلامنا الآن هوفى فساد الشرك ودحضـة... ولقد استوفى القرآن البحث عنه فى ثنايا امور.

(الاول) فى الاستدلال العقلى على بطلان الشرك.

(والثانى) فى نفى الدليل النقلى على صحته.

(والثالث) فى تحليل ما استدل به هؤلاء وبيان مغالطتهم فى القياس.

(اما الامر الاول) فهوان المعبـود لابد وان يكون موترا فى الاحياء و الاماتة وفى الضر والنفع... وما الى ذلك، فلابد وان يكون ربا اذ لايعبد من لا تاثير له فى قضاء حوائج العبد، وحيث ان الرب لابد وان يكون خالـقا اذ التدبير وكذا الـربوبية لبس الا ايجاد الـروابط بين الاشياء وهدايتها التكـوينية الى كمالاتها الوجودية ولايشذ هذا عن الخلقة ولااقل من ان يكون مـلازما لها، اذالرب لابد وان يكون عـارفا بالشيـى وعلله الوجودية ونـعوته الكمـالية ولايكـون غيرالخالق عريفا بذلـك... فعلى اىّ تقدير يـكون الربوبية من شئون الخالق لاغير فيجب ان يكون الخالق هوالرب،ويمـتنع ان يكون الرب هوغير الخـالق كمايجب ويلازم ان يكون الخالـق هوالمعـبود ويستحيل ان يكـون المعبودهو غيره،والـقرآن يهـتـف بهذا الاصل بقوله:

أيشركون مالايخلـق شيئاً وهم يخلقون ولايستطيعون لهم نصرا ولاانفسـهم ينصرون[1].

يعنى أن الذى ليس بخـالق يمتنع ان يـكون شريكا لـلخالق وشبيها له فى الـربوبيـة، بل الذى هـو مخـلوق كغيره من المخـلوقين يمتنـع ان يكون نـدّا لخالقه

---

۱ ـ الأعراف /۲ ـ ۱۹۱.

ومثيلا له. فهذا هو البرهان العقلى على استحالة تحقق الشرك فى العالم.

ويمكن ان يُسمى هذا القياس بالجدل لان بعض مقدماته قد اخذ فيه انه المسلّم عندالخصم لقوله تعالى:

ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله [١].

يعنى ان هؤلاء المشركين قدتسلّموا بأن الخالق الوحيد هوالله وان الوثن اوالصنم ليس بخالق اصلا، وعلى الجملة ان الحكم بالشرك لابد وان يكون مستنداً الى دليل وهو اما العقل اوالنقل.

(اما العقل) فانه قائم على امتناعه حسبماتقرر، فلايهدى اليه بل يمانع عنه ويهدى الى التوحيد بالضرورة.

(واما النقل) فهو منتف -ايضا- كما نقرء توضيحه فيمايلى.

(واما الامر الثانى) اى عدم قيام الدليل النقلى عليه فهو ان الله سبحانه لم يرسل رسولا ولم ينزل كتابا ناطقاً بالشرك كماقال سبحانه:

ام آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون [٢]

يعنى لادليل نقلى لهم على تجويز عبادة الآلهة كما لا دليل عقلى لهم عليه وقال تعالى:

ام انزلنا عليهم سلطانا فهويتكلم بما كانوا به يشركون [٣].

يعنى لم ينزل الله عليهم بالوحى السماوى برهانا مسلّطا على السنن الجاهلية وعلى الاوهام والمخيلات يتكلم ذلك الوحى الالهى بتجويز الشرك

---

١ - لقمان /٢٥.

٢ - الزخرف /٢١.

٣- الروم /٣٥.

وعلیه فلاالعقل ناطق به ولاالنقل متکلم بذلك، بل النقل القطعی کالعقل الیقینی قائم علی نفیه و ناه عنه کماقال سبحانه:

قل انّما حرم ربّی الفواحش ماظهر منها ومابطن والاثم والبغی بغیرالحق وان تشرکوا بالله مالم ینزل به سلطانا وان تقولوا علی الله مالا تعلمون[۱].

یعنی ان الله الذی هورب العالمین وبیده الامر والنهی والتحلیل والتحریم قدحرم الفواحش و.... الشرك بالله بما لادلیل علیه ولم یرسل رسولا یدعوالیه ولم ینزل کتابا یهدی الیه فلاسلطان ولابرهان علیه بل البرهان علی خلافه حسبما تقدم.

وحیث انه لادلیل لهولاء علی ارتضاء الله بالشرك وان عبادة الالهة مرضیة عنده تعالی، فاسناد السنّة الوثنیة الیه تعالی افتراء محض وافك صرف، کماقال سبحانه:

ومن یشرك بالله فقد افتری اثما عظیما[۲].

یعنی لایمکن التفوه بان الشرك مرضی له تعالی اذا الظلم العظیم کیف یکون مقبولا لدی العدل المحض الذی لایظلم احداً وکیف یمضیه العدل الذی لایظلم مثقال ذرة فاسناده الیه فریة لا تغفر، اماکونه فریة فلما اوعزنا الیه من ان اسناد شیئ الی الله بلااذن منه افتراء، کما قال سبحانه:

قل ءالله اذن لکم ام علی الله تفترون[۳].

واما کونه غیر مغتفر فلانه شرك وهوظلم عظیم، کما صارح سبحانه:

ان الله لایغفران یشرك به[۴].

۱ـ الأعراف /۳۳.
۲ـ النساء /۴۸.
۳ـ یونس /۵۹.
۴ـ النساء /۴۸.

وقال تعالى:

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا...[1]

وعليه: فلاظلم اشد و اعظم من الشرك ولاظالم اظلم من المشرك المفترى على الله كذبا فلاصُلوح هناك للغفران رغم سعة رحمة الله الغفار.

(واما الامر الثالث) اى تحليل ما استدل به هؤلاء لتصحيح الشرك وبيان مغالطتهم فى القياس فهو: ان لله سبحانه ارادتين وامرين احدهما تكوينى لا مرد له والاخر تشريعى يطاع تارة ويعصى اخرى والمايز بينهما هو أن الارادة التكوينية انما تتعلق بفعل نفسه اى بان يريد الله تعالى -بالذات- ان يفعل فعلا خاصا كالاحياء والإماتة اوالقبض والبسط اوانزال المطر وإنبات النبات ومااِلى ذلك، وأن الارادة التشريعية انما تتعلّق بفعل غيره اوتركه اى بأن يريد الله سبحانه ان يفعل الانسان باختياره فعلا خاصا كالعدل والاحسان اويترك فعلا بخصوصه كالظلم و الاسائة ومآل هذه الإرادة الى ارادة التشريع والتقنين فقط بحيث يحتفظ به اختيار المأمور فى الاخذ والترك .

ويترتب على القسم الاول من الارادة: لزوم تحقق المراد وامتناع تخلفه وكون المخاطب تابعا للخطاب فى الوجود ونحو ذلك كما قال سبحانه:

انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون[2].

اذالخطاب هنا هوالايجاد لاالتكلم اللفظى لأن الاشياء بارادته دون امره مؤتمرة ولانها بكراهتة دون نهيه منزجرة فلا لفظ ولاصوت ولانداء و ماالى ذلك بل إنما هو افاضة الوجود على ماهوالمعلوم فى الحضرة العلمية مما يتقاضى الظهور

۱- الانعام/۹۳.

۲- يس /۸۲.

دون غيره مما لايستدعيه ولايصلح له، وهذاالقسم من الامر والارادة والمشية هوالذى لامردّ له ويمتنع العصيان بالنسبة اليه لان جميع الموجودات قدْاسلمت لله رب العالمين كما قال تعالى:

فقال لها وللارض ائتيا طوعا اوكرها قالتا اتينا طائعين[١].

ويترتب على القسم الثانى من الارادة انحفاظ اختيار الانسان المامور بالخير المَنْهِي عن الشرك «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة» وكونه بين نجدى الطوع والمعصية وطريق الشكر والكفر، لقوله تعالى:

...وهديناه النجدين[٢].

انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا[٣].

فالامر هيهنا و ان كان امرا الهيا، لكنه فى نفس الوقت متعلق بمتن القانون و الحكم لابنفس الفعل الخارجى، كماقال سبحانه:

ان الله يأمر بالعدل والإحسان[٤].

وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء[٥].

وهذا القسم من الأمرِ و الارادة والمشية هوالذى قديطاع كما فى قوله تعالى:

قل انى أمرت أن اعبدالله مخلصا له الدين[٦].

وقد يعصى، كمافى قوله سبحانه:

وكأيّن من قرية عتت عن امر ربها و رسله فحاسبناها حسابا شديدا[٧].

---

١ ـ فصلت /١١.

٢ ـ البلد /١٠.

٣ ـ الانسان /٣.

٤ ـ النحل /٩٠.

٥ ـ البينة /٥.

٦ ـ الزمر /١١.

٧ ـ الطلاق /٨.

فاذا تبين انَّ لله سبحانه ارادتين و ان لكل واحدة منها حكما يختص بها و ان الايمان مامور به ومراد بالامر والارادة التشريعية و أن الشرك منهى عنه و مكروه بالكراهة التشريعية وان الارادة التشريعية تقتبل للعصيان وان التى لا تقبل المعصية هى الارادة التكوينية ليس الا...

فبانجلاء هذا بكله تظهر كيفية مغالطة المتفكرين من الوثنين فى قياسهم الداحض عند ربهم، حيث انهم خلطوا بين الارادتين لمشابهة اللفظ مثلا و رتبوا حكم الارادة التكوينية على التشريعية و غالَطُوا فى قولتهم: لوشاء الله ماآشْركنا ولا آبائنا ولاحرمنا من شيئ و ذلک لان الله سبحانه شاء ان لايشركوا تشريعا لا تكوينا و مجرد اختيارهم الشرک لايدلل على انه مرادالله سبحانه فلا تلازم بين المقدم والتالى، اذالتلازم انما هو بين المشية التكوينبة و بين تحقق المراد و عدم التخلف عنها لابين التشريعية و بينه ... وعليه فلا انتاج لهذا القياس الذى لالزام بين مقدمه و تاليه رغم توهم التلازم للمغالطة الناشئة من إشتراک المشيئة بين القسمين احدهما ملازم للتالى دون الاخر.

ولقداستوفى القرآن البحث فى تحليل قياسهم المدعوم بان المشيئة التكوينية لم تتعلّق بالايمان و نفى الشرک بل المتعلقة بذلک هى التشريعبة التى ينحفَظُ معها اختيار الانسان، حيث قال تعالى:

ولوشاء ربک لآمَنَ من فى الارض كلهم جميعا...[1]

مع انه تعالى اراد ان يؤمنوا جميعا فلذا أرسل اليهم رسوله كما قال:

وما ارسلناک الا كافة للناس[2]

١- يونس /٩٩.

٢- سبأ /٢٨.

وقال:

تبارک الذی نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا[1].

فالله سبحانه وإن اراد تشريعا ان يؤمن من فى الارض كلهم جميعا، بيد انه لم يشأ ذلک تکوينا تحفظاً لبقاء الاختيار الذى به تكامل الانسان فالتلازم بين المقدم والتالى فى القياس الاستثنائى متحقق، والتعبير فى قوة قوله لوشاء ربک تکوينا ان يؤمنوا لآمنوا جميعا، لامتناع تخلف المراد عن الارادة التكوينية فعدم ايمانهم يكشف ـ بالإنّ ـ عن عدم ارادة من الله سبحانه بايمانهم تكوينا.

وقال ايضا:

...ولوشاء الله لجمعهم على الهدى[2].

اى لوشاء تكوينا لاضطر هم على الهدى ولآمنوا جميعا بالضرورة، لكنه لم يشاء ذلک صونا لاختيارهم الذى هو بين الجبر والتفويض. ولذا قال تعالى:

وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولوشاء لهداكم اجمعين[3].

اى اللازم على الله سبحانه هو بيان سواء السبيل و الصراط المستقيم والطريق الوسطى التى هى القصد بين طرفى الافراط والتفريط وليس على الله الذى كتب على نفسه الرحمة ازيد من ذلک، ولكن بعض الناس يجوز عن هذه السبيل و ينحرف عنها و يفسق عن امره ولوشاء الله هدايتهم بمشيته التكوينية التى لايتخلف المراد عنها لهداهم اجمعين بلاجور لأحدمنهم ولا اعناف فهو تعالى شاء هدايتهم تشريعا، ولم يشأها تكوينا. فلذا قال سبحانه:

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر[4].

۱ـ الفرقان /۱.
۲ـ الأنعام /۳۵.
۳ـ النحل /۹.
٤ـ الكهف /۲۹.

وعند استبانة الميزبين الارادتين بالقول المطلق واتضاح الاصول العامة فى الهدايتين والارادتين تصل النوبة الى تبيين مغالطتهم فى تفكرهم الإلحادى حيث قال سبحانه:

ولوشاء الله ما اشركوا وماجعلناک عليهم حفيظا وماانت عليهم بوكيل[١].

يعنى لوشاء الله تكوينا ان يؤمنوا ولم يشركوا ما اشركوا جزميا و بالضرورة، وقال ايضا:

....ولوشاء الله مافعلوه فذرهم ومايفترون[٢].

معناه: لوشاء الله تكوينا ان لايقتلوا اولادهم تقربا الى الالهة و لايجعلوهم قرابين لها ما فعلوه البتة.

وحيث انهم قد اشركوا و قتلوا اولادهم للالهة فانه يعلم منه ان الله سبحانه لم يشاء ذلک تكوينا فاستبان أن المشيئة التى لايتخلف المراد عنها انما هى التكوينية منها دون التشريعية وانها لم تتعلق بالايمان والطاعة حتى لايتخلّفا عنها وانما المتعلقة بذلک هوخصوص المشيئة التشريعية التى يكون الانسان المكلف مختارا فى الامتثال بها و بعدمه، فهذا التفكر الصحيح السليم هو البرهان العقلى المصون عن شوب ایّ غلط فكرى و ذاک الذى ابتلى به المتفكر الوثنى انما هوقياس مغالطى منشأة مما مرمسبقا من اشتراک المشيئين و اشتباه الامر بينهما عليهم، فلذا قال سبحانه:

قل فللّه الحجة البالغة فلوشاء لهداكم اجمعين[٣].

---

١ - الأنعام /١٠٧.

٢- الأنعام /١٣٧.

٣ - الانعام /١٤٩.

لان الحجة التی تَلِدُ النتیجة ولا تعقم عنها هی التی اقامها الله تعالی لاما تمسکوا به وهی التی لا تبلغ الیها بل تعقم عنها لاقترانها بالمغالطة.(تدبر)

تبصرة:

بما أن القرآن هدی للناس و ذکری للبشر و نذیر للعالمین لذلک فقد تعرض لمقال کل صنف منهم فما کان منها حقا صوابا ایده و ما کان باطلا فصّله الی ماکان العامل له شبهة علمیة و ماکان لشهوة عملیة... ثم انه حلل الشبهة العلمیة احسن تحلیل و ازاحها احسن ازاحة علی حد لم یبق معه مجال للریب،وکذا حلل الشبهة العملیة اجمل تحلیل و عالجها احسن علاج الی حدّ لم یبق معه مجال للابتلاء والاتصال بها، وذلک بکله لمن کان له قلب او القی السمع وهو شهید والا فقد یزید شبهة علی شبهاتهم کما نطق به تعالی فی کلمته:

فی قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا[1].

والغرض ان القیاس المغالطی الذی ابتلی به متفکروا الوثنیین قد تعرض له القرآن وبیّن موضع الغلط وعالجه اجمل علاج و هناک قیاس استثنائی آخر لمن یحمل شهوة عملیة ولایبالی بما قال بل یتفوه بکل ماجری علی لسانه و یسایر تمایلاته... والقرآن یحکیه و یحلل مافیه ویبین منشائه الجاهلی، کماقال تعالی:

وقال الذین کفروا للذین آمنوا لوکان خیرا ماسبقونا الیه واذ لم یهتدوا به فسیقولون هذا افک قدیم[2].

۱ـ البقرة/۱۰.

۲ـ الأحقاف /۱۱.

حصيلته: ان هؤلاء الكفرة حسبوا انفسهم سابقين بالخيرات وانه لايفوتهم شيئ منها وانه لوكان هناک خير لادركوه ولماسبقهم اليه غيره واذالم يقتبلوا شيئا ولم يقصدوه فانما هولاجل نقصه وعدم وجود النفع و الخير فيه، ومن هذا القبيل الايمان بالله الواحد وبما جاء به الرسول الاعظم (ص). ثم انّهم الّفوا على هذا الزعم الزائف قياسا استثنائيا لادليل على التلازم بين مقدمه وتاليه عدا حسبان انهم على شيئ، بيد ان القرآن بيّن عدم التلازم بينهما وأن منشأ هذاالحسبان الجاهلى عدم الاهتداء بما يهدى اليه الله من الطريقة التى هى اقوم ومن الخير الذى يدعو اليه، حيث قال تعالى:

أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نارجهنم والله لايهدى القوم الظالمين [١].

لذلک يبين سبحانه مزعمهم و يحلله بأن منشأ قولهم بأن الايمان ليس خيرا بل هو دس و زور و فرية ضبطها التاريخ و كذب له قدمة تاريخية و اسباب ماديه انما هو عدم الميزبين الخير والإفک وعدم التشخيص بين الخير والشر ومالى ذلک و سيوافيک مافيه بيان مبادى القياس الجاهلى مما له دخل فى تلفيق الدليل.

ثم انه كما ان البحث المسبق كان حول التقليد المحض و التفكر المغالطى و بيان مباديها و تحليل مناشى الغلط فيمايرجع الى التوحيد، كذلک فيما يرجع الى النبوة بحثٌ ينبغى الايعاز الى نموذج منه لان للنّبى (ص) دعوة و دعوى، حيث انه يدعى رسالته و نزول الوحى عليه وصيرورته نبيا، كما و يدعو الى الله الواحد الذى لاشريک له والى اليوم الاخر الذى يحشرالناس فيه جميعا الى

---

١ ـ التوبة /١٠٩.

المبدء العدل الحكيم، وهولاء الوثنيون قدقاموا تجاه كل واحد من الدعوى والدعوة ولكن الجهلة منهم قابلوا ذلک بالجمود الفكرى والوقوف على السّنة الجاهلية و حفظها والمتفكرين منهم قابلوه بتلفيق القياس المغالطى الدال على زعمهم التافه بأن من المستحيل ان يصير الانسان رسولا او يستبعدان يكون نبيا بل لو كان للنبوة اصل وللرسالة مبدئ فلابد وان تكون من اوصاف الملائكة وان الصالح لحمل رسالة الله هوالملک السماوى فقط. ولابعد فى ان يكون زمام كلاالفريقين من الجهلة والمتفكرين بيدالمستكبرين منهم، حبث ان هؤلاء الملاء استأجروا ضعفاء العقول، كما و انهم استخدموا الذين جعلوا علمهم جهلا ليوحون الى اوليائهم ليجادلوا الحق ويستكبروا عن قبوله ويصيروا صفّاً واحدا قبال مدعى النبوة بحيث يعسر ميزكل واحد من هذه الطوائف بعضها عن بعض

غيران المباحث القرآنية تفيدنا ان الجدال فى الحق والتعرض له والرد عليه عدا كونه من المكر السياسى والدسائس والحيل العملية، انما كان لامرين (احدهما) حفظ السنة الجاهلية التى اَلْفَوا آبائهم عليها (وثانيها) القاء الشبهة على شكل الاستدلال... والاول هوالتقليد والتوقف عن الحركة والثانى هوالتفكر المغالطى حسبما تقدم بيانها... ولنات بنموذج من ذلک فيما يتصل الى دعوى النبوة فنقول: إن نطاق الجهلة من المشركين فى ذلک كله منهج واحد هوحفظ السنة الموروثة وأنهم وجدوا آبائهم على ذلک ولم يسمعوا ما يخالف ذلک فى ادوارهم الغابرة، كما قال تعالى:

فلما جائهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الاسحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين. وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لايفلح الظالمون[1].

---

١ ـ القصص /٣٦٧.

وكما قال تعالى:

وعجبوا ان جائهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب... ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب[1].

الى غير ذلك من الآيات التى تدلّنا على ان عمدة سناد غثاء المشركين هو حفظ الجاهلية الموروثة و ابقاء سنتها الداثرة، واما سناد متفكريهم هو ان الرسالة من شئون الملائكة وان الانسان يمتنع اويبعد ان يصير نبيا، كما قال تعالى:

و ما منع الناس ان يؤمنوا اذجائهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لوكان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكارسولا[2].

فقال الملاء الذين كفروا من قومه ماهذا الابشر مثلكم يريدان يتفضل عليكم ولوشاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين[3].

فقال الملاء الذين كفروا من قومه مانراك الابشرا مثلنا ومانراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادئ الراى ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين[4].

ولئن اطعتم بشرامثلكم انكم اذا لخاسرون[5].

فقالوا انومن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون[6].

فقالواابشرا منا واحدا نتبعه انا اذالفى ضلال وسُعُر[7].

---

١ ـ ص /٨، ٧، ٥.

٢ ـ الاسراء /٥ ـ ٩٤.

٣ ـ المؤمنون / ٥ ـ ٢٤.

٤ ـ هود /٢٧.

٥ ـ المؤمنون /٣٤.

٦ ـ المؤمنون /٤٧.

٧ ـ القمر /٢٤.

وما الی ذلک من الآیات الدالة بالظهور او الایعاز علی ان البشر بزعم هؤلاء لایصیر رسولا وعلی ان من شرائط الرسالة کون الرسول ملکا وعلی ان البشریة تمانع عنه والقدر المتفق علیه بین جهلة الوثنیین وغثائهم وبین متفکریهم و کذابین الملاء المستکبرین منهم هو نفی دعوی النبوة و تکذیب ادعاء الرسالة رغم اختلافهم فی مبادی التکذیب. و بما انهم اتفقوا علی انکار داعیة الرسالة نسبوا مدعیها الی الجنون والکهانة والسحر والشعر و نسبوا الیه الافتراء والغرض السوء وهو ارادة اخراج الناس من ارضهم التی یعیشون علیها، کماقال تعالی:

قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر علیم یریدان یخرجکم من ارضکم فماذا تامرون[۱]

وحیث انهم لم یهتدوا بالوحی فتهوّسوا فیه بآراءشتّی و من ذلک قول قریش فی شأن القرآن تارة بانه اسطورة واخری بانه کهانة وثالثة بانه شعر وهکذا و لعله المراد من قول الله سبحانه:

الذین جعلوا القرآن عضین[۲]

ای جعلوا له اعضاء وابعاضا فعضوه و بعضوه بنسب متعددة ولم یستقروا علی شیئ اذلامعیار للسب والشتم ولامیزان للزور والایذاء ولکن الله سبحانه قدنزه ساحة الرسالة عن الواث هذه النّسب وطهرفناء النبوة عن هذه الخزعبلات. ثم بین ان منشاء استنکار الجهلة انما هو الجمود علی التقلید والاحتفاظ للتراث الجاهلی وافاد انه مانع عن ایّ تکامل کما و اوضح ان

---

۱ ـ الاعراف /۱۱۰ ـ ۱۰۹.

۲ ـ الحجر/۹۱.

منشاء استكبار متفكريهم هوالمغالطة فى القياس والانحراف عن صراط التفكر السليم.

(اما الامر الاول) فهو ان الله قد وصف الانبياء(ع) بالهداية والصفوة والاجتباء والاخلاص والعصمة عن اغواء الشيطان و وسوسته والنزاهة عن الذنب والبرائة عن الشرک واهله والخصومة للخيانة واهلها و ما الى ذلک من الكمالات الوجودية، وقال تعالى:

قال الملاء الذين كفروا من قومه انا لنراک فى سفاهة وانا لنظنک من الكاذبين، قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين [١].
كذلک مااتى الذين من قبلهم من رسول الاقالوا ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون [٢].

فافاد سبحانه و تعالى ان اسناد الجنون و نحوه الى ساحة الرسالة انماهو للطغيان وعدم التفكر ولو انهم كانوا من اهل الدراية والعقل لعلموا ان الرسول فى حفاظ وصيانة عن ذلک كله، حيث قال تعالى:

اولم يتفكروا مابصاحبهم من جنة ان هوالا نذير مبين [٣].

وحيث انهم لم يتاملوا ولم يتدبروا فلا محالة اسندوا امرهم الى مايركنون اليه وهو الْبأس والبطش والسلطنة وما الى ذلک من ذرايع الطغيان و التواصى بالطغوى، كما قال تعالى:

فتولى بركنه و قال ساحر او مجنون [٤].

ثم انه سبحانه لمابين مدار الهداية والدراية وان الانبياء الذين يدورون

١ـ الاعراف / ٧ ـ ٦٦.
٢ـ الذاريات ٣ ـ ٥٢.
٣ـ الاعراف /١٨٤.
٤ـ الذاريات /٣٩.

مدارهاهم الهداة والدراة فلذا سفّه المعرضين عن ذلک المقطب و حکم بسفاهتهم فى قوله تعالى:

ومن يرغب عن ملة ابراهيم الامن سفه نفسه[۱].
الاانهم هم السفهاء ولكن لايعلمون[۲].

(واما الامر الثانى) وهو بيان أن منشاء استنكار الجهلة هوالتقليد و حفظ تراث آبائهم الذين لايهتدون ولايعقلون، فهو كماقال تعالى:

قالوا يا شعيب اصلا تک تامرک ان نترک مايعبد آباؤنا او ان نفعل فى اموالنا مانشاء انک لانت الحليم الرشيد.
قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا مماتقول وانا لنراک فينا ضعيفا ولولا رهطک لرجمناک وما انت علينا بعزيز[۳].

يعنى تعالى ان الجمود على الاستنان بالسنة الهالكة الموروثة اوجب لهم ان لايفقهوا كثيرا مما يقوله شعيب النبى اذ التقليد ينافى التحقيق حسبما تقدم مرارا فلذلک لم يفقهوا اصل النبوة ولم يقبلوا دعويها منه(ع) ولامن غيره من مدعيها كما ولم يفقهوا دعوتهم الى التوحيد والمعاد ومااليهما...

(واما الامر الثالث) اى بيان ان منشاء استكبار المتفكرين منهم هوالانحراف عن نهج التفكر الصحيح فهوان التفكير السليم عن عيوب المغالطة فى المعارف الالهية لاامكان له من دون ان يكون للانسان معرفة سليمة عن اى نقص، اذالجاهل بنفسه فانه بغيره اجهل، ولذا عدها اصحاب المعرفة مفتاح سائر المعارف وباب تلک المدائن العلمية فلايمكن فتحها والنزوع اليها الا بمعرفة الانسان نفسه.

۱ـ البقرة/۱۳۰.
۲ـ البقرة/۱۳.
۳ـ هود/۸۷ و ۹۱.

و بما أن التفكر الوثني استقر فى معرفة الانسان على ماديته، و ان جميع شئونه مادية وان نفسه كبدنه مادى محكوم بالتطور المنتهى الى الزوال، وان الموت ضلال فى الارض ونفاد رأسا، وان الانسان جسم نام ناطق ولاغير،فهو كالشجرينمو ويفنى، لاحيات له اثرموته اصلا، فلذا اشركوافى المبدء الربوبى والعبادى اولا وانكروا النبوة والرسالة من رأس... ثانيا و نفوا المعاد واليوم الآخر ثالثا. وذلک لأن لانسان بعد افتراض ماديته لايقتدر على معرفة ربه فطبيعى له ان لايقتدر على عبادته والاستعانة منه و التوكل عليه والالتجاء اليه، كان هذا سببا لان يركنوا الى الآلهة وجعلها وسائط فيض بينهم وبين الله وشفعاء لهم وان يعبدوها ليقربوهم الى الله الزلفى... وهكذا الانسان المفروض كونه ماديا لايقتدر على مخاطبة الله واستماع كلامه و رؤية جماله بقلبه، اذالقلب حسب افتراضهم انّماهو كالقالب مادى، وعليه فلايتيسّر له تلقى الوحى من ربه بل ان كان هناک وحى وتلق له فانما هو للملک،وان كان فى البين رسالة وابلاغ فانما ذلک له ايضا لاللانسان وهكذا الانسان المزعوم كونه ماديا فانه لامجال له لان يحيى بعدالموت والبوار اذالمعدوم لايعاد والزائل لايعود.

ثانياً فهذا المبنى الغلط هوالذى انتج هاتيک الاوهام الغالطة كما وانه الداء العضال الغاشى على قلوب الماديين غشيهم من الجهل والعمى ما غشيهم، ولما كان القرآن نورا مبينا و من اجلى خواصه انارة المواضع المظلمة فلذابدء بتعريف الانسان و تحديد حقيقته المؤلفة من نفس ناطقه مجردة عن المادة مبرأة عن احكامها و من بدن مادى واقع تحت تدبير تلک النفس، اهتم بتعليم ان الانسان كادح الى ربه كدحا فيلاقيه فله ان يعرف ربه على قدر مكنته و ان يمتنع اكتناهه وله ان يعبده ولايعبد سواه ويستعينه و يستهديه ويعتمد عليه

ويراجع اليه فى كل شئونه ويتخلص بالتوحيد عن حبائل الشرک، وهكذا تفهيم ان الانسان لتجرد روحه و نزاهة ضميره و صلوح قلبه و طهارة نفسه قابل لان يتلقى الوحى من لدن حكيم عليم ويصل الى مدرج يصارح و يقول: ما كنت اعبد ربا لم اره، وكيف لا والملائكة الذين سجدوا له قابلة لذلک المدرج فللانسان ـ اذا ـ ان يصير نبيا بلا استحالة و رسولا بلا استبعاد.

وهكذا تبيين ان الموت انتقال من دار الى دار و ان الانسان لا يضل بالموت فى الارض وانه لا ينعدم حتى يعاد ولا ينفنى لكى يعود، بل هو منتقل بالموت من الدنيا الى برزخ يكون روضة من رياض الجنة او حفرة من حفرالنيران ثم الى اليوم الاخر والقيمة الكبرى... فبإء ستبانّة هذه المعارف ينجو الانسان عن غائلة انكار الوحى والنبوة والرسالة ويتحررعن إصر سلاسل نفى المعاد وغل انكاره، اعاذنا الله من ايّ تفكر لا يصحّحه الوحى الالهى و من ايّ اعتقاد لا يمضبه، ومن ايّ خلق لا يرتضيه و من ايّ عمل لا يصوبه و هدانا الله الى مخّ الحق ولب الصواب واورثنا الكتاب و ورثنا منطق من يستنطق القرآن وهم العترة الطاهرة ـ سلام الله عليهم اجمعين.

ولكل من هذه المسائل بحث يختص بها و بحقلها والمبحوث عنه هنا هوالدائر على السنة المتفكرين من الوثنيين و الذى قلدهم فيه اذنابهم وهو: ان الانسان لا يصير رسولا الهيّا وان البشرية بما هى بشرية تمانع عن النبل لذلک المدرج الشامخ (اولا) ولان مدعى النبوة بشر كغيره من احاد النوع الانسانى، فلو افترض جواز صيرورة البشر نبيا و غُض النظر عن امتناعه لجاز ذلک لغير مدعيها ايضا (ثانيا) و ذلک لانهم امثال وحكم الامثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد، فلذاترى ـ ايها القارئ العزيز ـ ان القرآن الكريم ينقل اصل الامتناع عنهم تارة و الاستدلال بالتماثل وانّ حكم الامثال واحد تارة اخرى فيجيب

عن الاستدلال للامتناع مرة... وعن الاستدلال باتحاد حکم الامثال اخری.

و محصل ما افاده القرآن فی امکان الرسالة للبشر بمعناها العام الشامل لضرورتها اذهی ای رسالة الانسان -علی الجملة- امر ضروری لایراب فیه، هوان للانسان روحامجرداعن المادة لایحویه مکان ولایضبطه زمان ولایتشکل بشکل خاص هندسی ولایحکم علیه مایحکم علی المادة و به یصیر صالحا لتعلم الاسماء والحقائق من الله سبحانه کماقال تعالی:

وعلم آدم الاسماء کلها[1].

و به یصیر معلما للملائکة وینبئهم بالاسماء والحقائق، کما قال تعالی:

یا آدم انبئهم بأسماء هؤلاء[2].

وبه یصیر مسجودا للملائکة اجمعین... فهو بذلک کله یلیق ویؤهل لان یصیر خلیفة لله تعالی کماقال:

انی جاعل فی الارض خلیفة[3].

وقال:

فسجد الملائکة کلهم اجمعون...[4].

الی غیر ذلک من الکمالات الوجودیة التی لا تنالها المادة ولوازمها، ولایتوصل الیها المقدار و احکامه فاذا جازللملک المتعلم الساجد ان ینال الوحی والرسالة، فللانسان الکامل المعصوم المعلم ایاه المسجود له جائز ذلک ایضا بالضرورة، فاذاجاز للانسان ان یصیر رسولا الهیا فلامجال للاستبعاد او

---

۱ - البقرة/۳۱.

۲ - البفرة/۳۳.

۳ - البقرة/۳۰.

٤ - الحجر/۳۰.

الاستحالة حتی یقول قائلهم: «ابعث الله بشرا رسولا.» اویقول «ولوشاء الله لانزل ملائکة...» اویتفوّه بقوله: «لولاانزل علیه، ملک...»

فالانسان صالح للرسالة الالهیة و اماضرورة کون الرسول انسانا وعدم کفایة رسالة الملک فهو امر آخر اوعز الیه القرآن و بینه ایضا. وتوضیحه: ان البحث فی النبوة والرسالة انما کان یتم فی امور... هی کمایلی:

(منها) اثبات ضرورتها و عدم کفایة العقل وحده لهدایة المجتمع البشری (ومنها) اثبات امکان الرسالة للانسان بلاامتناع (ومنها) بیان ضرورة کون الرسول المبعوث الی الناس انسانا یعیش معهم و یاکل ویمشی فی الاسواق کاحد منهم من دون کفایة رسالة الملک (ومنها) امور اخری لامجال للاشارة الیها هیهنا فضلا عن البحث عنها.

وحیث إن القرآن بحث فی غیر مورد عن ضرورة هدایة الناس الی سعادتهم الخالدة و تعرض لعدم کفایة العقل فی تأمنها حسبما قررنا فی الرسالة المعمولة فی ذلک وبیّن لزام بعث رسول خارجی مؤیّد للرسول الداخلی ـ ای العقل ـ فیما یعلمه و معلم ایاه فیما لایعلمه و منبه له فیما ارتکز فی فطرته و مثیر لدفائن علومه صارح بان ذلک الرسول الظاهری المبعوث الی هدایتهم لابد وان یکون هو من یباشرهم ویحتج علیهم و یجادلهم ویکون اسوة لهم وحجة علیهم وملجا للحوادث الواقعة وهادیا لهم فی الحرب والسلم ویعلمهم الکتاب والحکمة ویزکیهم ویأخذمن اموالهم صدقة تطهرهم وینظّم امورهم ویُعبّأ عساکرهم... ومااِلی ذلک ممااسسه الکتاب وفصّله العترة وحصله الثقلان احسن تفصیل.ومن البین ان الرسول الذی هذا شأنه لاامکان لان یکون ملکالایراه الناس و لایباشرهم بل یجب ان یکون انسانا مثلهم لکی یتیسرله ذلک، اذالرسول لابد وان یکون مماثلاً للمرسّل الیه فیما اذاکان شأنه الهدایة الخارجیة لامجرد الالقاء فی الروع

وانزال الوحى فى القلب مثلا، فلذا قال سبحانه:

قل لوكان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا[١].

يعنى: ان الملک انما يصلح لرسالة الملائكة لالرسالة الناس ولوكان القاطنون فى الأرض ملائكة لاناساً لأرسل الله اليهم ملكا رسولا وحيث ان سكنة الأرض الماشين عليهاناس ليس الا... فلابدوان يكون الرسول المبعوث اليه منهم، اى لامناص من ان يكون انسانا يعيش معهم ويموت معهم كى يكون اسوة لهم و حجة عليهم، ولو فرض ان الله ارسل ملكا الى الناس فلابد وان يصوره بصورة الرجل ليمكن لهم ان يروه ويسائلوه و يراجعوا اليه، فاذا تصور بصورة الرجل عادالامر جَذعا ولكانوا يقولون ايضا ابعث الله بشرا رسولا، اذلولم يصور الملک بصورة الانسان المادى لما امكن لهم ان يستمعوا كلامه ويتأسوابه ولو تصور بصورته لأمكن لهم ذلک ولكن كانوا يقولون ايضا (وفى نفس الوقت): «ماهذا الابشر مثلكم يريدان يتفضل عليكم ولوشاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين» والى ماقررناه يشيرقوله سبحانه:

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون[٢].

والذى تفيدنا هذه الاية لزوم وضرورة التناسب بين الرسول والمرسل اليه ليحاوره وليصير قدوة له. كما وان من اللازم كونه رجلا لامطلق انسان يعم المرئة، ايضا، كما صارح به قوله تعالى:

وما ارسلنا من قبلک الا رجالانوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون[٣].

---

١ ـ الاسراء /٩٥.

٢ ـ الانعام /٩.

٣ـ النمل /٤٣.

و ذلک، لان الرسول لابدو ان یکون مرجعا للحوادث الواقعة من الحرب والسلم... ومالی ذلك من شئون المجتمع الانسانی وهولا یتیسر فیما لوکان امرأة یسئلها الناس من وراء حجاب لیکون ازکی لهم، کما تلزمنا الآیة به:

واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب ذلکم اطهر لقلوبکم وقلوبهن... .

فالدین الذی یری طهارة القلوب فی سؤال المرئة من وراء حجاب لایمکن ان یکون قیّمه و مبلّغه و مسئوله و معلمه المرأة التی لایتمکن الناس من الا تصال والمعاشرة معها فی السر والعلن، وهکذا تفیدنا آیتنا المبحوث عنها امراً آخر هو ان لُبس الحق بالباطل و کتمانه به هو زیغ للقلب و عاهة له، والقرآن انماهو شفاء لمافی الصدور من الجهل والکبر والطمع وحب ماهو رأس کل خطیئة، کما قال سبحانه:

قدجائتکم موعظة من ربکم وشفاء لما فی الصدور[۲].

فاذالم یستشف به الذی فی قلبه مرض یمسک الله سبحانه فیضه عنه،فاذا امسک رحمتة الخاصة ولم یرسلها الیه ولم یکن هناک مرسل آخر کماقال تعالی و «مایمسک فلا مرسل له» یزداد السقم والزیغ - بطبیعته- اذالمرض یتزاید لولم یعالج، و هذا هوالموعز بقوله تعالی:

فی قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا[۳].

وقوله تعالی:

فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم .

---

۱ - الاحزاب /۵۳.
۲ - یونس /۵۷.
۳- البقرة /۱۰.
٤ - الصف /۵.

وعليه فلو ابتلى الانسان بلبس الحق بالباطل ولم يعالج مرضه هذا بما هو شفاء لمافى الصدور، فانه يسلب الله فيضه الخاص عنه فيدوم لبسه ويستمر، كما قال تعالى: «وللبسنا عليهم مايلبسون» وهذا اللبس الالهى إنما هو لبس ثانوى و ردّفعل، لانهم يعذبون به جزاء بما كانوا يلبسون كالاضلال الجزائى كما قال تعالى:

يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين[١] .

اذ الاضلال البدائى قبيح لاامكان لصدوره عن الله تعالى، والذى يصح سناده اليه انما هو الاضلال الثانوى الذى يكون جزاء وفاقا لعمل الفاسق الضال عن سبيل الله بعد تبيّنها عن سبيل الغى، والهدف هو ان الله الذى هو نورالسموات والارض لايلبس الحق على احد بالباطل ابدا، بل يهدى الكل اليه بالحق ولايلبسه بشيئ اصلا، كما قال:

الحق من ربك فلا تكن من الممترين[٢].

وقال:

قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد[٣].

يعنى ان الحق انما يتنزل من عند الله لامن عند غيره فاذا جاء الحق فلا مجال معه للباطل باطلاق كلمته لاالباطل الذى كان له سبق وجود يقدر على العود ولاالباطل الغير المستبق به يصلح للحدوث كما مرمسبقا، فلاامكان لأن يلبس الله الحق بالباطل، فمعنى قوله تعالى: «وللبسنا عليهم مايلبسون»

١ـ البقرة/٢٦.

٢ـ آل عمران/٦٠. ٣ـ سبأ/٤٩.

هوماتقرر..وعلى ضوء ذلک بکله يتضح امکان الرسالة الالهية للبشر بلامحذور فيه وبه يدعم توهم المتفکرين من المشرکين...

واما محصل ماافاد القرآن الحکيم فى دفع شبهة التمسک بقانون اتحاد الامثال فهو انلوجود النوع الانسانى مدارج بعضها على بعض ادناها کالحجارة اواشد قسوة وتنزلا و اعلاها کالمرآة الصافية التى لا تکذب مارأته و بينهما مدارج شتى ولبس کل احدٍ صالحا لتحمل اعباء الرسالة التى لايعلم موضعها و موطنها الا الله، کما قال هوتعالى:

الله اعلم حيث يجعل رسالته[1].

وهؤلاء المتشبثون بقانون التماثل لاستنادهم فى معرفة الامور الى الحس والمادة

قالوا ماهذا الابشر مثلکم ياکل مما تاکلون منه ويشرب ماتشربون[2].

فقالوابنکيرمنهم:

أنؤمن لبشرين مثلنا وقومها لنا عابدون[3].

لکن القرآن المؤسّس علومه على ان معيار معرفة الاشياء هوالعقل و الوحى دون الحس وأن الموجود اعم من المادة والمجرد عنها، افادنا -بصورة حيّة- بان التماثل فى بعض الامور لايکفى فى اتحاد الحکم مالم يستوعب المثلية جميعها، وحيت ان للنبى (ص) قلبا طاهرا عن دنس الطبيعة و رجسها و منزها عن رين المادة و رجزها و سليما عن حب الدنيا و زبارجها و مبرأ عن ضيق نشأة الشهادة

١- الانعام /١٢٤.

٢- المؤمنون /٣٣.

٣- المؤمنون /٤٧.

وزيغها... فهو صالح لان يوحى اليه و يتلقاه من لدن حكيم خبير، فلا تماثل بين من شرح الله صدره و بين من ختم على قلبه، ولا تشابه بين من لايزيغ بصره و لايطغى و بين من ران على قلبه ماكان يكسب فلايجد من لايهمه الا نفسه البهيمية ما يجد من جاهد نفسه و هواه كما كان يجاهد خصمه و عدوه.

والى ماذكر من اختصاص التماثل بين النبي (ص) وبين هؤلاء ببعض الجهات دون بعضها الآخر يتجه قوله تعالى:

وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون، قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه[1].

اذالمحجوب الذى قلبه فى كنان وفى اذنه وقر كيف يسع له أن يكون مثلا لمن خرقت ابصار قلبه الحجب النورية فضلا عن الحجب الظلمانية و وصل الى معدن العظمة وصارت روحه معلقة بعز قدس الله سبحانة فاذالم يكن هناك تماثل فى الدرجة الوجودية فلامجال معه لاتحاد الأثر، ومآل هذا التحليل الى منع الصغرى وان التماثل بين النبي (ص) و غيره -اى التماثل التام- ممنوع، وعليه فمع عدم التماثل لامجال -نهائيا- للتمسك بالكبرى الناطقة بوحدة حكم الامثال اذالمثل دليل على شبهه[2] لاعلى غيره.

تنبيه:

ان فى المسئلة مقصدين لابد وان يعتنى بشأنها (الاول) ان سائرالناس ليسوا امثالا للانبياء حتى يوحى اليهم ما اوحى الى هولاء الانبياء وينزل اليهم

١- فصلت / ٦ - ٥.

٢- نهج البلاغة، الخطبة ١٥٣.

ما انـزل على هولاء. (والثانى) هوان الانـبيـاء من ناحية فـقرهـم الوجودى وانه لايمكن ان يصدر منهم شيئ بالاستقلال وان جميع مايأتون به فهو مساند الى إذن الله سبحانه وانهـم لايتملكون لانـفسهم موتا ولا حـياة ولانفعا ولاضرا... امثال لسائر النـاس فمالم ياذن الله بشـئ لماقدروا على الا تيان به لان الانبياء كالامم محكومـون بالفقـر ذاتا وصفـة وفعلا،فلـذا لايصح للناس اقتراح آيـة رغم شهيتهم المتزايد لهـا كمالا يمـكن للانبـياء الا تيـان بها مالم يأذن الله سـبحانـه ولعلّ من المكن استنباط هذين المقصدين من قوله تعالى:

قالـت رسلهم أفى الله شك فـاطر السموات والارض يدعوكم لـيغفر لكم من ذنـوبكم ويؤخر كـم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الابشر مـثلنا تريدون ان تصدونـا عماكـان يعبد آباونـا فأتـو نابسلطـان مبين قـالـ لهم رسلهـم ان نحن الابشر مثلكـم ولكن الله يمن على مـن يشـاء من عباده ومـاكـان لنا ان ناتيـكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون[١].

اذالمستفاد من قولهم لـلانـبياء ان أنتم الابشر مثلـنا هوادعاء التماثل وعدم المزيّة الموهلة لهولاء الانـبياء كما ان الذى يفيدنـا قولهم: تريدون ان تصدونا عما كان يـعبد آبائنـا، هو لزوم حفظ السنة الموروثـة والرجوع الى الاموات ابتداًء او استدامة الرجـوع التقليدى اليهم بقاء،والمستفاد من قولهم فاتونابسلطان مبين هو اقـتـراح الاية حسب مـا يشـاؤن وامـا قول الانبـيـاء فى الجواب: ان نحن الابشر مثلكم ولـكن الله يمن على من يشاء مـن عباده،فهو يعطينا ان التماثل على الجملة ـاى فى بـعض الـوسامات والمدارج الانسانـيـةـ حق متفق عليـه، بيد الامتنان الالهـى اوجـب لبعض ممن يشاء مـن عـباده درجة فائقة مـن الانسـانية بها يمتاز الانبياء عن سـائر الناس فلا تماثل ـعندئذـ فى البين كى يتم دعوى المماثلة من

---

١ ـ ابراهيم /١١ ـ ١٠.

عند المشركين، و اما الذى يعطى قولهم فى الجواب: وماكان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله... هو أن الانسان وإن بلغ مابلغ وامتاز عن ابناء نوعه بايّ امتياز ومؤهل، فانه ـ فى نفس الوقت ـ ورغم كل ذلك لايشذ عن فقره الوجودى ولايلج باب الغنى المختص بالله القائل:

يا ايهاالناس انتم الفقراء الى الله والله هوالغنى الحميد[1].

فهولاء الانبياء العظام فى استعانتهم بالله و افتقارهم اليه و توقف جميع اعمالهم على اذنه امثال للناس ولكن الله ياذن لهم حسب مايشاء دون غيرهم فلذا يتيسر للنبي ان يقول...

وابرئ الاكمه والابرص واحي الموتى باذن الله[2].

دون غيره من آحاد الناس. ومن هذا الاذن الخاص ينتزع الاعجاز ويصح معه التحدى و به تثبت النبوة لاجله تتم الحجة، و هذا التحليل يعطينا حقيقة اخرى، هى: تبيين موضع المغالطة من متفكرى المشركين اوغيرهم ممن يقترح المعجزة بماتشتهى انفسهم المسوّلة والامّارة، و كذابيان سرقول الانبياء تجاه اقتراح هولاء: ان نحن الابشر مثلكم، وهكذا سرقوله تعالى:...

وماكان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب[3].

اذالممكن سواء أكان نبيا اوغيره و سواء اكان ملكا او انسانا فانه مفتقرالى الله فى اصل وجوده و مفتاق اليه فى ايجاده لان الايجاد كالوجود ربط محض الى ايجاده تعالى والالزم التفويض الذى هو اسوء حالا من الجبرالسّيئ

١ـفاطر/١٥.
٢ ـ آل عمران /٤٩.
٣ـالرعد/٣٨.

الممتنع عقلا والممنوع نقلا ومن هنا ينجلى معنى قوله تعالى فى تعريف الملائكة:

بل عباد مكرومون، لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون، يعلم مابين ايدهم و ما خلفهم ولايشفعون الالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون[١].

كما و يظهر ان الملك كالانسان عبد داخر فلايصح الالتجاء اليه بلااذن من الله الذى حرم عبادة مَن دونه ومنع عن اتخاذ غيره نداً له تعالى وبذلك يلوح وبيان موضع الغلط الفكرى لمن يتخذ الملائكة اربابا لهم بالاستقلال فتحصّل آنّ ارساط الناس ليسوا امثالاً للانبياء فى الكمال الوجودى وان كان الانبياء امثالاً لهم فى الفقر الذاتى تنوا فلذا لامجال لقانون التماثل فى كمال الرسالة وان كان له مجال فى احتياج المرسلين الى الاذن الالهى.

تبصرة:

إن المستفاد من القرآن هو ان الوثنيين كانوا معتقدين بالملائكة انه فوق الانسان وانه صالح لتلقّى الوحى والرسالة من الله دون الانسان وان له تقربا خاصا اليه تعالى: ليس للانسان ذلك كما وانهم كانوا يعتقدون انه ولدالله سبحانه، ولوانهم كانوا معتقدين بانه مماثل الانسان وله تركيب جسمانى مادى لما عبدوه،و لما حكموا بصلاحه و تأهّله لتلقى الرسالة دون الانسان و لما اعتقدوا بشفاعته،اما القرآن الكريم فينفى بعض هذه الامور باطلاقه كربوبيته الملك ومعبوديته و ولديته لله سبحانه وينفى بعضها الاخر مقيّدا بلااطلاق، كشفاعة الملك حيث انه نفى استقلاله فيها واثبت له ذلك مأذونا...

ولم يتعرض لكونه فوق الانسان المادى المحسوس كما ولم ينفه، بل قال بان

١ـ الانبياء ٢٨ ـ ٢٦.

الانسان ، لم تتبدل نشأة شهادته الى نشاة الغيب لما امكن له رؤية الملک، کما قال تعالى:

وقال الذين لايرجون لقائنا لولا انزل علينا الملائكة اونرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتو عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا[1].

يعنى ان رؤية الله سبحانه مستحيلة سواء كانت فى عالم الشهادة والحس اوفى البرزخ وعالم التمثل، اذلاصورة مثالية للحق المحض المجرد عن اىّ قيد عقلى فضلا عن قيد وهمى او خيالى. واما رؤية الملائكة فهى وان لم تتمكن فى نشأة الشهادة بالحس المادى، الا ان لها امكانا فى نشاة البرزخ والمثال فلذا يرونهم ذلک اليوم ولكن لابشرى لهم ـعندئذـ كما قال سبحانه:

ولوترى اذيتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم و ذوقوا عذاب الحريق[2].

كان هذا هوالسّبب لأن يقول هولاء الكفار المضروب وجوههم بعدّة من الملائكة و ادبارهم بعدّة اخرى منهم: «حجرا محجورا»، اى نحتجر بحجركم ونلوذ بمعاذكم، صونا عن الضرب والتعذيب. وزبدة المخض: ان معتقَد الوثنيين فى الملائكة هو أنهم فوق البشر وانهم صالحون لمالايصلح له الانسان و ما الى ذلک، و نفى القرآن بعضا مما كانوا يعتقدون فيهم ولم ينف تجردهم عن الجسم المادى ونحو ذلک بل امضاه بعدم امكان رؤيتهم فى نشاة الحس لان شهودهم يتوقف على تبدل احس المادى بالبرزخ المثالى اوتغير الدنيا بالاخرة حتى يتجلى للانسان ملک الموت ـمثلاًـ كما قال مولينا السجاد(ع) :

---

١ ـ الفرقان / ٢ ـ ٢١؛ ٢ ـ الانفال / ٥٠.

...وتجلى ملک الموت لقبضها من حجب الغيوب[١].

ايضاحٌ :

قد مرمعنا: ان التقليد انجماد فكرى مانع عن الرقى الى ذرى التحقيق المؤسس عليه المعارف الحقة وان التحجر الذهنى بضاعة الجهلة الذين شعارهم هو: «انا وجدنا آبائنا على امة و انا على آثارهم مقتدون» ودثارهم هو: «ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين». وان القرآن الحكيم وضع عن الانسان إصر القلادة والغل وهداه الى العقل البرهانى اوالنقل القطعى بلا تطارد بينهما بل مع التلازم والتعانق اذالبرهان العقلى يصدق لمابين يديه ولماهو فوقه وامامه من الوحى القطعى. ولان الوحى القطعى -ايضا- مصدق لمابين يديه من البرهان العقلى و سبحان الوحى القطعى عن طرد البرهان العقلى وحاشا العقل الصراح والبرهان المنزه عن شائبة المغالطة عن التمرد تجاه الوحى وعدم تخضعه لديه و عدم اقراره بماجاء به والالتجاء اليه والتفة عليه لانه بالذات -اى العقل البرهانى- قائم على ضرورة الوحى وجودا وعلى عصمته عن اىّ وهن وسوء وصيانته عن اىّ هون وحزازه وطهارته عن اى لوث وقذارة و نزاهة عن اىّ جهل و خطيئة وبرائته عن اىّ عيب و نقص وصفاً... فمعه لايمكن ان لايتعبد بالوحى القطعى ولايؤمن به والالزم ان لايعتقد بنفسه وهذا هو محذور الجمع بين النقيضين الممتنع بالضرورة.

ثم ان الانسان المتفكر على منهج الصواب اذاقام عنده الحق امابالبرهان او بالوحى فانه يعتقد به واذا كان آبائه معتقدين بذلک ايضا فهو يبتهج ويشتد

١- الصحيفة السجادية، دعاء ختم القرآن.

عزمه به، وهذا هوالوراثة الكريمة لاالتقليد الدائر مدار القائل دون المقول، اذالتقليد انما هوالركون الى شخص معين واخذ مايصدر عنه بالسمع والقبول بلا عرض له على العقل اوالوحى واما الوراثة الكريمة فهى طمأ نينة إلى الحق الذى نطق به العقل اودلل عليه الوحى، واتفق ان المتقدمين ايضا كانوا يعتقدون بذلک. ومن هذا القبيل توصية الانبياء ابنائهم بالاسلام وكذا إتباع ابنائهم لهم وابتهاجهم بهذا الا تباع. وهكذا امرالله سبحانه رسوله باتباع هداهم.

(اما الاول) فكقوله تعالى:

اذقال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الاوانتم مسلمون، ام كنتم شهداء اذحضر يعقوب الموت اذقال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهک واله آبائک ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون[1].

لان التواصى بالحق هوغير الايصاء بالتقليد والتحجر الفكرى. فابراهيم (ع) وكذا يعقوب (ع) قد اوصى بنيه بالحق.

(واما الثانى) فكقوله تعالى:

إنى تركت مله قوم لايومنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون. واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ماكان لنا ان نشرک بالله من شيئ ذلک من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون[2].

لان اتباع الحق بعد انجلائه ليس هوالتقليد وان صادف انه كان دينا للاباء، اذالمتبع هناک هوالحق لامقال الاب والجد او السنة الموروثة و ماالیها، ولذا ذكربرهان التوحيد ونفى الشرک فى قوله:... ماكان لنا ان نشرک بالله

---

١ ـ البقرة /١٣٣ ـ ١٣١.

٢ ـ يوسف / ٨ ـ ٣٧.

من شئ وذلک لان الله الذی لاحد لربوبیته، لامعنی لأن یکون شیئ دونه ربا لشیئ اصلا.

(واما الثالث) فکقوله تعالی:

اولئک الذین هدی الله فبهداهم اقتده قل لااسئلکم علیه اجرا ان هو الاذکری للعالمین [١].

لظهور الآیة فی انّ الله امررسوله باقتداء هدایة الانبیاء الماضین لاباقتدائهم بأن یصیر تابعا لاشخاصهم بما هم انبیاء، بل ان یکون تابعا للحق الذی یکون هولاء ایضا اتباعا له وذلک لأن الذی اوحی الیهم و انزل علیهم و تجلی لهم واستقر فی قلوبهم تحقق ذلک کله بالنسبة الی رسول الله (ص) ایضا ویشهد له قوله تعالی:

انا اوحینا الیک کما اوحینا الی نوح والنبیین من بعده واوحینا الی ابراهیم واسمعیل واسحق ویعقوب والاسباط وعیسی وایوب ویونس وهرون وسلیمان وآتیناداود زبورا [٢].

فالمحصّل **(اولا)** ان مجرد توافق عقیدة شخص لمعتقد قوم تقدموا علیه لیس تقلیدا واتباعا لهم بعدان کان معیار الاعتقاد عنده هوالحق المبرهن علیه بالعقل اوالناطق به الوحی.

(ثانیا) ان الفرق بین قول یوسف: «واتبعت ملة آبائی»[٣] وبین قول هولاء الجهلة من المشرکین: «انا وجدنا آبائنا علی امة وانا علی آثارهم مقتدون.» هوالفرق بین الحق الحقیق بالتصدیق وبین التقلید الباطل الذی یلزم الاتقاء عنه.

---

١ ـ الانعام /٩٠.

٢ ـ النساء /١٦٣.

٣ ـ یوسف /٣٨.

(ثالثا) ان الحق يوخذ به فى ایّ زمان و مکان و من ایّ ناطق و کاتب، کماقال مولینا الرضا(ع):

الحکمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولوعند المشرک تکونوا احق بها واهلها[1].

وهذا هوالذی یقال فیه: «انظر الی ماقال ولا تنظر الی من قال.»

(رابعا) ان الا تباع والانقیاد لایسوغ الافی الفروع دون الاصول.

(خامسا) ان التقلید لابد وان ینتهی الی التحقیق حتی یثبت ان المتبوع معصوم او منصوب من قبله بالنصب الخاص اوالعام. وهذا هوالذی ورد فیه عن ابی جعفر (علیهما السلام) فی قول الله عزوجل:

فلینظر الانسان الی طعامه[2]. قال(ع): علمه الذی یاخذه عمن یاخذه[3].

اذالعلم البرهانی طعام طیب مهیّأ من مادة بدیهیة معدودة من علوم متعارفة و من صورة بدیهة الانتاج صورها ایاها العقل السلیم عن آفة الغلط وعاهة الخیال ولایعتبر فیه ازید من الصدق الضروری کالقائل المعین اوالکاتب المعلوم و نحوذلک. اذلا تاثیر لفکره ولاللفظه ولالعمله ولالکتابته ولالشان من شئونه. لذلک فانه یستوی فیه البر والفاجر کالعلم الریاضی وما الیه و هذا علی خلاف مالمبدئه الفاعلی تاثیر فیه بنحو من الانحاء، اذلابد هناک ان یحرز کونه صالحا لان یرکن الیه لعصمة اونیابته عن المعصوم نیابة خاصة به او عامة له ولغیره.

(سادسا) ان الحجر الاساسی فی معرفة المبدء والمعاد والوحی والنبوة هو

۱ـ امالی الطوسی.

۲ـ عبس /۲٤.

۳ـ الکافی، ج ۱، باب النوادر من کتاب فضل العلم.

معرفة الانسان نفسه کما قال مولینا الرضا (ع):

افصل العقل معرفة الانسان نفسه[۱].

وقال (ع):

صدیق کل امرء عقله و عدوه جهله[۲].

وقال (ع):

صدیق الجاهل فی تعب[۳].

(سابعا) ان مقطب المعرفة ومعیارها هو العقل دون الحس، کما قال مولینا الرضا (ع):

...واعلم ان کل ماوجدتک الحواس فهومعنی مدرک للحواس وکل حاسة تدل علی ما جعل الله عزوجل لها فی ادراکها والفهم من القلب بجمیع (یجمع) ذلک کله[٤].

(ثامنا) ان التفکر انما هو بتحقیق الاصول اولاً و تفریع الفروع واستنباطها منها ثانیا کما قال مولینا الرضا (ع):

...فاعقل ذلک وابن علیه ماعلمت صوابا.

(وتاسعا) ان معرفة الله میسورة علی قدر الطوق البشری وانه لامجال فیها للتفریط بان یطلبه الانسان بالحس ولاللافراط بان یشتهی احاطته بالقلب،

۱ـ البحار ۳۵۵/۷۸.

۲ـ مسند الامام الرضا ۳/۱.

۳ـ التوحید، ص ٤۳۸.

٤ـ البحار ۳۵۵/۷۸.

كما قال مولينا الرضا(ع):

...ولكن يدل على الله عزوجل بصفاته ويدرک باسمائه ويستدل عليه بحلقه حتى لايحتاج فى ذلک الطالب المرتاد الى رؤيه عين ولااستماع اذن ولالمس كف ولااحاطة بقلب فلوكانت صفاته جل ثناؤه لا تدل عليه واسماؤه لا تدعواليه والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه كانت العبادة من الخلق لاسمائه وصفاته دون معناه فلولا ان ذلک كذلک لكان المعبود الموحد غيرالله تعالى لان صفاته واسمائه غيره[1].

وقال (ع) - ايضا:

...والاسماء كلهاتدل على الكمال والوجود ولا تدل على الاحاطة كما لا تدل على الحدود التى هى التربيع والتثليث والتسديس لان الله عزوجل وتقدس تدرک معرفته بالصفات والاسماء ولا تدرک بالتحديد بالطول والعرض والقلة والكثرة واللون والوزن وما اشبه ذلک وليس يحل بالله جل وتقدس شيئ من ذلک حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم انفسهم بالضرورة التى ذكرنا[2].

وقال (ع) ايضا فى جواب سؤال عمران عن الحكيم (اى الله سبحانه)

فى اى شيئ هووهل يحيط به شيئ وهل يتحول من سيئ الى شيئ اوبه حاجة الى شيئ: اخبرک يا عمران فاعقل ماسألت عنه فانه من اغمض مأيرد على المخلوقين فى مسائلهم وليس يفهمه المتفاوت عقله العازب علمه ولايعجز عن فهمه اولوالعقل المنصفون[3].

فالعقل اذا انصف ولم يتلوث بلوث التفريط ولم يتدنس بدنس الافراط ولم يتقذر بقذر المغالطة فى مادة القياس الفكرى ولافى صورته ولم يفته بعض

---

۱ - التوحيد، ص۴۳۷.

۲ - التوحيد، ص ۴۳۷.

۳- التوحيد، ص ۴۳۹.

المقدمات عن النتائج ولم يغفل ولم يعزب علمه عن مثقال ذرة مما يوثرفى الاستدلال فانه قدير على فهم اغمض المعارف وهو فهم التوحيدوغناءالله عماسواه وافتقاره اليه سبحانه وهذا هوالحث الى البرهان العقلى والترهيب عن القياس الوهمى الذى انتجه التدبرفى القرآن، و قدصدقه مستنطقه ـ وهوالانسان الكامل المعصوم (ص) ـ كما قال (ع):

...و بالعقول يعتقد التصديق بالله[1].

وقال (ع) ايضا:

...فكل مافى الخلق لايوجد فى خالقه وكل مايمكن فيه يمتنع فى صانعه[2].

اذ بقوله (ع) و بالعقول... الخ. حثّ و رغّب الى البرهان و بقوله (ع) فكل مايوجد... الخ حذر عن المغالطة.

المقام الثانى: فى موقف الشهود القلبى تجاه القرآن الحكيم

العلم بالشئ قديكون بلا وساطة ايّ امر آخر وقد يكون بوساطته. والاول هوالعلم الحضورى الذى لاواسطة هناك بين المعلوم والعالم والثانى هوالعلم الحصولى الذى يكون هو بنفسه واسطابين المعلوم الخارجى و بين العالم وان لم يكن بين ذلك العلم وبين العالم واسطة والاالتسلسل الامر الى غير النهاية ولذا يكون كل علم حصولى حضوريا معلوما بالذات ولاعلم ازيدمنهما اذلا معلوم عدا معلومهما، وعليه: فالمعلوم اما وجود واما ماهية او مافى حكمها وهو المفهوم. والاول لايعلم الابالحضور ولا يمكن نيله الا بشهوده فى موطنه وهوالخارج

---

١ ـ عيون الاخبار ١٤٩/١.

٢ ـ عيون الاخبار ١٤٩/١.

لامتناع تحققه فى الذهن والّالزم انقلاب الخارج ذهناً.

واما الثانى: فهو من حيث انه معلوم بالذات فى الذهن و موجود لدى النفس و مشهود لها علم حضورى، ومن حيث انه حاک ماورائه و وسيلة لنيل النفس الى الخارج المحكى علم حصولى. وهذا العلم الحصولى ينقسم الى التصور والتصديق ثم خصوص التصديق منه ينقسم الى الصواب والخطاء وللميز بينهما ميزان متكفل لبيان المواد الحقة المنزهة عن الخطا ولبيان الصور المنتجة المبرأة عن العقم. وقد تقدم فى المقام الأول ان الميزان القسط الذى انزله الله بالحق على قلب من هو بنفسه لسان صدق و ميزان حق هو المعيار الوحيد للميز بين القياس البرهانى الواجد لشرائط المادة وآداب الصورة و بين القياس المغالطى الفاقد لبعضها اولكلها.

والمبحوث عنه فى هذا المقام هو تشريح الشهود القلبى والعلم الحضورى و تبيين مورده والتدليل على تحققه خارجا والتحريض الى تحصيله والهداية إلى ماهو الشهود القلبى الذى يهشد القلب فيه للذى له تحقق خارجى الذى هو تمثل شيطانى او نفسانى لاوجود له فى الخارج عن صقع النفس ولااعتداد به مالم يكن له مبدء رحمانى او ملكى.

والذى ينبغى أن يتنبه له هو ان عناية القرآن بهذا القسم من العلم اشد من عنايته بالقسم الاول وان كان تعرضه للقسم الاول ودعوته اليه و تبيين معارفه فى كسوته واطاره اكثر، والسر هو ما مر مسبقا فى مقدمة الجنة الرابعة من الميز بين هذين القسمين من العلم،(مضافا) الى ان القرآن ـ نفسه ـ علم حضورى و وحى شهودى لاحجاب هناک بين قلب النبى و بين الواقع المشهود. لاحجاب صورة ذهنية ترى الموجود الخارجى ولاغطاء مفهوم ذهنى يحكيه ولايمكن معرفة هذا القسم من العلم الا بنبله فى الجملة لان العلم الحصولى قاصر عن بيان حقيقته

لأنه من وراء سحاب الصورة او من وراء غمام المفهوم. وكل واحدمنهما وان كان حاكيا لما ورائه إلاان المشهود هوغير المحجوب وان المعلوم بلاواسطة هوغيرالمعلوم معها، فلذا كان اعتداد القرآن وعنايته بهذاالقسم من العلم اشدّ من اعتنائه بالقسم الحصولى منه.

ثم ان العلم الحصولى بالموجود الخارجى وان كان بالنسبة الى العلم الحضورى حجابا الّاانه مقيسا إلى الجهل بالواقع نور و شهود، وكذا العالم بالواقع من وراء حجاب البرهان وان كان محجوبا واعمى بالقياس الى العالم به بلا وساطة المفهوم والشاهد له بلاغطاء الصورة الذهنية، الاانه شاهد وبصير بالقياس الى الجاهل فلذلك نلاحظ القرآن الحكيم يوسم المؤمن بالبصير والسميع ويصف الكافر بالاعمى والاصم سواء أكان المومن آمن بالاصول شهودا او آمن بها برهانا، بل الثانى اكثر لصعوبة الاول وعسره والدليل على إطلاق النور على كلاالقسمين قوله تعالى:.

قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون[1].

وقال سبحانه:

قد جائكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ[2].

وقال تعالى:

مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون[3].

---

١ ـ الانعام/٥٠.
٢ ـ الانعام/١٠٤.
٣ ـ هود/ ٢٤.

والسر فی کون العلم بصیرة هوانه بنفسه نور و حضور وان کان مقیسا الی الخارج المحکی حصولا فلا اختصاص للبصیرة والشهود ومالی ذلک بالعلم الشهودی بعد ما کان الغالب فی المومنین هوالایمان بما جاء به الوحی بعدالعلم به برهانا، ویشهدله قوله سبحانه بعد ما اقام البرهان علی التوحید والترغیب الیه والتحذیر عنه.

افمن یعلم انما انزل الیک من ربک الحق کمن هواعمی انما یتذکر اولوالالباب[1].

اذالعلم بکون مانزل الی الرسول (ص) حقا اعم من الحصولی والحضوری، بل الاول هوالدارج والمألوف بین الناس فمن علم حصولا بالبرهان ان الوحی حق وآمن به فهو علی نورمن ربه وهو بصیر و من جهل به ولم یعلمه لابالبرهان ولابالعیان فهو اعمی وقدبین الله سبحانه ان هذاالعمی انما هو وصف القلب لاالحسن البَصری کما قال تعالی:

افلم یسیروا فی الارض لهم قلوب یعقلون بها اوآذان یسمعون بها فانها لا تعمی الابصار ولکن تعمی القلوب التی فی الصدور[2].

فالنفس الانسانیة التی من شانها ان تدرک الحقائق حصولا او حضورا اذا عمیت علیها ولم تدرکها صارت اعمی واصم ولاخصوصیة لذلک بالشهود القلبی والعلم الحضوری بل یعّمه والعلم الحصولی الدارج، وان کان شموله للشهود القلبی و ظهوره فیه اقرب واتم من شموله للعلم الحصولی. والی هذین القسمین من العلم قد اشار مولینا الرضا(ع) فی قوله(ع): ... «ولکن القوم

۱- الرعد/۱۹.

۲- الحج /۴۶.

تاهوا وعموا وصمواعن الحق، من حيث لايعلمون» وذلک قوله عزوجل: «ومن كان فى هذه اعمى فهوفى الآخرة اعمى واضل سبيلا. يعنى اعمى عن الحقائق الموجودة»[١]. لان قوله(ع):«يعنى اعمى عن الحقائق الموجودة.» عام بالنسبة الى قسمى العلم من الحصولى البرهانى و الحضورى الشهودى، كما وان قوله(ع): «وقد علم ذووا الالباب ان الاستدلال على ماهناک لايكون الابماههنا...»[٢] خاص بالنسبة الى الحصولى بالبرهان ولكن لم يعبّرفيه بالعمى والبصر.

والغرض ان العلم البرهانى وان كان حجابا مقيسا الى الشهود القلبى ولكنه نور و حضور فى نفسه، فالعالم به بصيروالجاهل به اعمى. لكن الكلام هيهنا فى العلم الحضورى وكونه نورا وكون العالم به شاهدا و بصيرا و كون الجاهل به غائبا واعمى وما الى ذلک من المباحث الهامة الراجعة اليه.

وقد تبين فى ثنايا المقال حقيقة العلم الحضورى واللازم هنابيان تحققه خارجا وإمكان نيله كذلک ومايترتب عليه من الآثار الحسنة المستفادة من كلمة مولينا الرضا(ع) فنقول:

اما تحقق العلم الشهودى خارجا فهوان كل واحد منا يدرک ذاته ويشهد نفسه بلاحجاب صورة ذهنية ولاغطاء مفهوم.

و ذلک لان كل مفهوم ذهنى حتى مفهوم «انا» فانه بالحمل الشايع اجنبى عن الذات و خارج عنها ويحمل عليه انه «هو»لا انا لأن ذات كل واحد

---

١ ـ التوحيد، ص ٤٣٨.

٢ ـ التوحيد، ص ٤٣٨.

منا موجود خارجي منشأ لغير واحد من الا ثار الخارجيه وذلک المفهوم ای مفهوم كان حتى مفهوم «انا» امر ذهنى لايترتب عليه الأثر.

ولأن كل مفهوم ذهنى حتى مفهوم «انا» امركلى صالح للانطباق على كثيرين وذات كل واحد منا موجود عينى ممتنع الانطباق على كثيرين فلايكون شي من المفاهيم الذهنية هوعين ذاتنا فلايكون العلم بها هوالعلم بذاتنا فلايكون العلم بذاتنا علماً حصوليا بل يكون العلم بها علما شهوديا لاحجاب هناک بين العالم والمعلوم العينى ولا مجال هناک لإنقسام المعلوم الى مابالذات وما بالعرض كما كان له مجال في العلم الحصولى.

والمحصل ان البرهان والوجدان متطابقين على ان علم النفس بذاتها شهودى وان العلم هوعين المعلوم العينى، كما و انه عين العالم ايضا وانه لاحجاب هناک اصلا وحيث ان العلم عين النفس الانسانية والنفوس الانسانية معادن كمعادن الذهب والفضة ولها مدارج شتى، مضافا الى كون كل نفس بمنزلة معدن خاص يكون بين مراتب تكونه و بلوغه حدالنصاب و خروجه عن بطن الارض الى ظهرها و تصفية جوهره عن ترابه المصاحب له واذابته للتخليص و صياغته بصيغ خاصة تليق لان تزين به... لذلک كان فيها و بينها تفاوت وتمايز، فالعلم الشهودى له مدارج متعددة وكل نفس يكون وجودها اقوى يكون علمها الحضورى بذاتها اشد وكل نفس يكون وجودها اضعف يكون علمها الحضورى كذلک حتى ينتهى الى حدهو في غاية الضعف يخالطه الجهل ويشوبه النسيان ويمتزجه الذهول، كما يأتى. وقد تبين فى الكلام ان علم النفس بصورها الذهنية ايضا حضورى وان كان علمها بما تحكيه تلک الصور حصوليا اذلوكان علمها بها حصوليا والعلم الحصولى هوالصورة الحاصلة من الشئ لدى النفس يلزم ان يكون علم النفس لتلک الصور بوساطة علمها

بصور ذهنية اخرى فيذهب الامر الى مالا نهاية... وهو محال، وعليه فعلم النفس بها حضورى كما يساعده الوجدان. ومن هذا القبيل ايضا علم النفس بقواها المدركة والمحركة التى تستخدمها بعدالعلم بها الجريان ما تقدم من توافق البرهان والعيان على كون العلم بذلک حضوريا. فزبدة المخض: ان علم النفس بذاتها و بقواها و بشئونها الذاتية حضورى يكون الموجود الخارجى بوجوده العينى مشهودا للعالِم كما ان علم اى موجود مجرد عن المادة بذاته حضورى.

هذا هوالقول الاجمالى فى تحقق العلم الشهودى فى الخارج وامكان نيله -على الجملة- بالنزاهة عن الموانع الحاجبة عنه وبالبرائة عمّا يوجب الاخلاد إلى الارض والاغترار بزهرة الحيوة الدنيا و بالقداسة عما يصدعن الحق وعما ينسى الاخرة من اتباع الهوى وطول الامل حسبمايأتى بيانه -انشاء الله تعالى-...

واما الا ثارالحسنة المترتبة عليه فهى ان العلم الشهودى عين المعلوم الخارجى المشهود بلا مايز بينهما لاوجودا ولا حكما. فاذا كان المشهود غنيّا عماعداه قائما بذاته فان العلم به ايضا غنى عن غيره، قيامه بذاته، كعلم الواجب سبحانه بذاته واذاكان المشهود مفتقرا الى غيره قائما بمبدئه فان العلم به ايضا كذلک فكما لاامكان لتحقق ذلک المعلوم منقطع الصلة عما عداه، كذلک لاامكان لتحقق العلم به منقطع الرباط عن العلم بمبدئه، وعليه فلامجال لتوهم انقطاع العلم الشهودى بالفقير المحض والربط الصرف عن العلم الشهودى بالغنى المحض والمستقل الصرف، اذا المفترض ان العلم عين المعلوم و ان المعلوم عين الصلة الى المبدء فالعلم به عين الصلة الى العلم بالمبدء، لان جميع مايرتبط بالمعلوم والمشهود اويرتبط هوالبه من العلل والمعالىل والمصاحبات فى العلية اوالمعلولية منحفظة الارتباط بالعلم الشهودى به.

وبهذا يتجه معنى ماورد عن العترة الطاهرة فى غير مورد: من عرف نفسه

فقد عرف ربه.
وغاية المعرفة ان يعرف المرء نفسه، وكيف يعرف غيره من يجهل نفسه، و من عرف نفسه كان بغيره اعرف، نال الفوز الاكبر من ظفربمعرفة النفس، لاتجهل نفسک فإن الجاهل معرفة نفسه جاهل كل شيء اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه: من عرف نفسه تجرّد، من عرف نفسه جلّ امره...[١].

والخبير المتطلع يجد فيما ورد فى الحث لمعرفة النفس نصوصاجمة، يستنبط من ضم بعضها الى بعض ان معرفة النفس شهوديا ممكنة. وان الا ثار الحسنى المرتبة عليها كثيرة جدا. وان السئيات المرتبة على الجهل بها ونسيانها غير مغفورة. وان الذى كان علمه بها اشد واعزز كان علمه بربه اكثر فاكثر.. وما الى ذلک من الا ثار الحسنة اوالسئية المترتبة على معرفة النفس وجودا وعدما.

ومن هنا يظهر أن ما افاده المحدث محمدبن الحسن العاملي ـقدس الله نفسه الزكيةـ من الوجوه الا ثنى عشر[٢] فى بيان هذا الحديث المعروف وجرى عليه الحجة السيد عبدالله شبرـرضوان الله عليهـ[٣] مما يمكن استفادتها منه بعنوان التبيين او تفريع الآثارعداالوجه الثانى عشر، حيث قال (قده): «انه علّق محالا على محال، اى كما لايمكن معرفة حقيقة النفس كذلک لايمكن معرفة حقيقة الرب فيجب ان يوصف بما وصف نفسه تعالى والله اعلم»[٤]. اذلامجال لامتناع

---

١ ـ الغرر والدرر للآمدى، ج٧، ص ٣٩١ ـ ٣٨٧.
٢ ـ الفوائد الطوسية، ص ٧٩.
٣ ـ مصابيح الانوار ٢٠٤/١.
٤ ـ الفوائد الطوسية، ص ٨٠.

معرفة حقيقة النفس لانها امر موجود مجرد يشهد ذاته، ان لم يحجبها الذنب كماياتی بيانه ولامجال ايضا للتلازم بين معرفة حقيقة النفس وبين معرفة كنه ذات الحق سبحانه. كما وان ما افاده (قده) بعنوان الوجه العاشر مما يمكن استفادته من قوله (ع): من عرف نفسه جاهدها،فراجع.

وغرضنا هيهنا هوان معرفة النفس بالعلم الحضوری ممكن وان العلم الحضوری عين المعلوم وان المعلوم العينی هنا عين الربط الی الله فالعلم الحضوری به عين الربط الی العلم الحضوری بالله سبحانه ولا ثمرة اهم من معرفة الله. ولعله هوالهدف لكلمة مولينا الرضا(ع) فی قوله:

افضل العقل معرفة الانسان نفسه[1].

وذلک لأن العلم الكامل هوالذی يصحبه العمل الصالح ولايفترقان حتی ينتهيا الی الهدف السامی بأن يصعد اليه العلم والاعتقاد ويرفعه العمل الصالح. ومن البيّن ان العلم الشهودی بالنفس وبخالقها القيوم لهايوجب الإيمان بماجاء به الوحی من الله ويلازم العمل الصالح. واما العلم الحصولی بالمبدء والتصديق البرهانی بالوحی والمعاد فهو وإن يوجب الايمان بذلک ويلازم العمل الصالح ولكن علی نحوالايجاب الجزئی الذی لايناقضه السلب الجزئی، فلذا يمكن ان لايكون فی بعض الموارد ناجحا اصلا بل يصيرحجة وَ وبالاً علی العالم المتيقن كما هوالمستفاد من قوله تعالی:

أفرأيت من اتخذاله هواه واضله الله علی علم وختم علی سمعه وقلبه وجعل علی بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون[2].

۱ـ مسند الامام الرضا(ع) ۱/۳۰۲.

۲ـ الجاثية /۲۳.

لدلالته على عدم اللزام الضروری بين العلم الحصولی و بين الايمان، وعلى عدم التنافی بينه و بين الكفر والنفاق.

ثم انه قد يذكر بعد بيان هذا الأصل العام موارد جزئية تشهد على عدم اللزام الوجودی بين اليقين الحصولی و بين الإيمان والعمل الصالح، كما تشهد على عدم التضاد بين العلم الحصولی و بين الانكار والطغيان، حيث قال تعالى:

وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين[1].

لدلالته على ان اليقين الحصولی بأنّ ما أتى به موسى آية مبصرة على نبوته قد لا يصحبه خضوع العقل العملی الذی به يعبد الرحمن و يكتسب الجنان. بل قد يخالفه ويتبدّل هناک العدل بالظلم والتواضع بالاستعلاء كما كان شعارهم يومئذ «قد افلح اليوم من استعلى» فلا تلازم بين العلم القطعی الذهنی وبين العمل الصالح لأن لكل منهما مبدء خاصا يختص به اذ العلم مبدئه العقل النظری المتكفل لإدراک الامور سواء أكانت مما تتعلق بالعمل كمسائل الحكمة العمليّة اولا يتعلق به كمسائل الحكمة النظرية.

واما العمل فمبدئه العقل العملی المدبر للطبيعة والبدن وهما قوتان اوشأنان من قوى النفس او شؤنها، كالمدركة والمحركة اللتين هما من قواها اوشونها فی المرحلة النازلة، حيث انه يمكن ان يكون احديهما موجودة والاخرى معدومة او احديها ضعيفة والاخرى قوية اوكلتا هما ضعيفتين او قويتين كما هوالمشاهد فی العالم العادل فانها بقوتها معاً فيه، والمشاهد فی الجاهل الظالم من ضعفها اوعدمها معاًفيه، والمشاهد فی العالم غيرالعادل من وجود احديهمادون الاخرى

---

١ ـ النمل /١٤.

فیه، وهکذا المشاهد فی المتنسک الجاهل والتفصبل فی محله، والغرَض هوامکان افتراق العلم البرهانی عن العمل الصالح لان لکل منها سببا یختص به ولبس احدهما عین الاخرولا کلاهما معلولا سبب ثالث، کما انه لیس احدهما معلولا تاما للاخر و لاالاخر سبب تام له، وان کان بینهماصلة علی الجملة حسبما یظهر بالتامل، وعلیه فلامجال للتلازم الضروری بینهما، کماقال سبحانه ـ ایضا ـ:

الذین آتیناهم الکتاب یعرفونه کما یعرفون أبنائهم وان فریقا منهم لیکتمون الحق وهم یعلمون.[1]

وقال سبحانه:

الذین آتیناهم الکتاب یعرفونه کما یعرفون ابنائهم الذبن حسروا انفسهم فهم لایؤمنون[2].

لدلالة ذلک علی ان انکار علماء اهل الکتاب لیس الامن باب کتمان الحق المعلوم بالبدیهة کمعرفة الأب لابنه، معناه ان العلم برسول الله (ص) واوصافه الخاصة قدبلغ حدالحس والبداهة ومع ذلک انکروه و کتموا الحق حتی کأن لم یعرفوه اصلا، کما قال سبحانه:

ام لم یعرفوا رسولهم فهم له منکرون[3].

یعنی تعالی انه لاوجه لانکارهم بعد ما کانوا عرفوا رسولهم فلا حجة لهم یوم القیمة یحتجّون بها عندالله لأن هلاکهم کان هلاکا عن بینة کما ان حیاة العلماء الصلحاء کانت حیاة عن بیّنة، حیث قال تعالی:

---

١ ـ البفرة / ١٤٦.

٢ ـ الانعام / ٢٠.

٣ ـ المومنون / ٦٩.

ليهلك من هلک عن بينة ويحيى من حى عن بينة[١].

فالمتحصل ان العلم الحصولی لايلازم العمل الصالح ولايضاد العمل الطالح فليس هوافضل العلوم بل الافضل هوالذی اشاراليه مولينا الرضا(ع) وهوالعلم الشهودی الذی يلازم العمل الصالح، ولامجال معه للعمل الطالح وهوألعلم الحضوری بالنفس الذی هوعين العلم المرتبط بمشاهدة الرب سبحانه على قدر الطاقة البشرية، ولا مجال للذنب مع مشاهدة جماله وجلاله، كما لامجال لشهود جماله وكبريائه مع الذنب حسبما يظهر لأن الذنب اعراض عن ذكر الله واخلاد الى الارض ولامجال لشهود النفس مع ذهول الرب الذی هوسببها المقوم لها اذ لا وجه لشهود المعلول مع الغفلة عن علته، ولعله لذلک قال سبحانه:

واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه اخلدالى الارض واتبع هواه[٢].

يعنی ان اتباع الهوی صده عن مشاهدة جمال الحق والارتفاع بها و اوجب الاعراض عن آياته،وهذا اصل قرآنی لااختصاص له بعصردون عصر، كما فی مجمع البيان عن ابی جعفر(ع) حيث قال:

الاصل فی ذلک بلعم ضربه الله مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله من اهل القبلة[٣].

وزبدة المخض: ان الايمان بالله واليوم الاخروان العمل الصالح الذی هو امتثال ماجاء به الوحی... المعبر عنهما بالكلم الطيب المصاعد الى الله وبالرافع له، انما يتحققان بالعلم الشهودی بالنفس الذی هوشجرة طوبى توتی اكلها كل

١ـ الانفال / ٤٢.

٢ـ الاعراف /١٧٥.

٣ـ نورالثقلين ٢/١٠٢.

حين باذن ربها وكفى بذلک اثرا هامّا مترتبا عليه، وبما ان العلم الشهودى بالنفس غير منفک عنْ العلم الشهودى بالله الذى هوالقيوم عليها وعلى كل نفس بما كسبت وعلى كل شئ بماله من الخواص والا ثار فيترتب عليه، عدا ماتقدم من الآثارالحسنى، العلم الحضورى بمظاهر الاسماء الالهية التى ملأت اركان كل شئ من السموا ت و الارضين و كلما كان الروح قوية وكان العلم الشهودى به شديدا كان العلم الحضورى بقيومه شديدا.

ويتفرع عليه كون العلم بمظاهر الاسماء الحسنى ايضا شديدا وبالعكس فالامر فى معرفة الغيب والشهادة والاطلاع على السرائر والضمائر والعثور على ماكان ومايكون وماهوكائن يدور مدار معرفة الله سبحانه الدائرة مدار معرفة النفس شهودا فهى الطريقة المثلى والسبيل الأقوم للسائر فى الصراط والصائر الى الله سبحانه، اذ كما ان شهود المسبب المتقوم لايمكن الا بشهود السبب القيّم عليه، كذلک شهودالسبب القيوم على كل نفس بما كسبت، وكذا المهيمن على كل شئ ظهر فى ساهرة الامكان لاينفک عنه شهود معاليله و مظاهره.

وكما ان وجود النفس العارف ذاتها ربط محض و فقر صرف كذلک شهودها لبارئها ولا ثاره الصادرة منه فاقة بحتةٌ الى علم خالقها و فانية فى علمه سبحانه بالاشياء فلايلزم محذور اصلالأن علم الانسان الكامل الذى عرف نفسه بلاحجاب وعرف ربه بلاغطاء بالاشياء الغائبة والحاضرة علم امكانى وفقر محض كاصل وجوده و كاصل علمه بنفسه و علمه بخالقه، اذ العلم الذاتى والاصالى والمستقل لايتصور فى مورد اصلا الالمن هو وجود محض وعلم صرف وهوالله سبحانه. فالذى عرف نفسه شهودا تاما وعرف ربه بالطوق البشرى له ان يرى الاشياء كما هى. ولوكان نيلها كما هى ممتنعا لماسأله رسول الله عن ربه بقوله (ص):

رب ارنى الاشياء كما هى[١].

ويشهد له قوله:

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون[٢].

اذ المستفاد منه هو ان كل عمل يعمله الانسان فى السر والعلن فانه يراه الله تحقيقا لا تسويفا وهكذا رسوله والمومنون الذين اظهر مصاديقهم العترة الطاهرة(ع) كما ورد التطبيق عليهم منهم (ع) حيث قال عمر بن اذينة: كنت عند ابى عبدالله فقلت له:

جعلت فداك، قوله عزوجل: وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون قال: ايانا عنى[٣].

وقال عبدالله بن ابان الزيات ـ وكان مكينا عند مولينا الرضا (ع) ـ له:

ادع الله لى ولاهل بيتى فقال (ع): اولست افعل والله إن اعمالكم لتعرض على فى كل يوم وليلة قال فاستعظمت ذلك فقال: اماتقرء كتاب الله عزوجل وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ـ قال هو والله على بن ابى طالب (ع)[٤].

وليس المراد هو الحصر فى اميرالمؤمنين (ع) بل ذكره بعنوان كونه ابا الائمة (ع)، فلذلك قال: ... ان اعمالكم لتعرض علىّ. وهذا الوجه هو المصحح لقول مولينا الرضا (ع) ـ على حذنقله الوشاء ـ:

ان الاعمال تعرض على رسول الله ابرارها وفجارها[٥].

---

١ ـ رسائل الشريف الرضى ج ٢/٢٦١.

٢ ـ التوبة/١٠٥.

٣ ـ تفسير نورالثقلين ٢/٢٦٣.

٤ ـ تفسير نورالثقلين ٢/٢٦٤.

٥ ـ تفسير نورالثقلين ٢/٢٦٤.

وهذا المعنی هوالمراد بشهادة الاعمال التی هی من شؤن الولایة للانسان الکامل وقدأفاده القرآن الکریم فی مواضع، منها قوله تعالی:

کلا ان کتاب الابرار لفی علیین وما ادراک ماعلیون، کتاب مرقوم یشهده المقربون[۱].

ولا اختصاص للاعمال بالظاهرة منها بل هی الاعم منها ومن العقائد والاوصاف النفسانیة التی قد اذن الله سبحانه لکرام الکاتبین الذین وکّلهم بحفظ مایکون من الانسان فی الصحف النورانیة المصونة عن المادة ولوازمها، و تلک الصحائف محاطة بصحائف اخری فوقها. حیث قال: ان کتاب الابرار لفی علیین. ثم فسرالعلیین بانه کتاب مرقوم فالکتاب فی کتاب آخر فائق محیط به یشهد ذلک الکتاب المحیط، المقربون فلا یشذ عن شهودهم العلمی بصحائف الاعمال شئ، ذلک فضل الله یؤتیه من یشاء.

و بهذا المضمون ما رواه مولینا الرضا(ع) عن ابیه عن آبائه(ع) قال قال رسول الله(ص):

ما ینقلب جناح طائرفی الهواء الاوعندنافیه علم[۲].

ومنه: ماکتب عبدالله بن جندب الی مولینا الرضا(ع) یسئله عن تفسیر قوله تعالی:

الله نورالسموات والارض... فکتب(ع) فی الجواب: اما بعد فان محمدا کان امین الله فی خلقه فلما قبض النبی(ص) کنا اهل البیت ورثته فنحن امناء الله فی ارضه عندناعلم المنایاوالبلایا وانساب العرب و مولد الاسلام و مامن فئة تضل مائة وتهدی مائة الاونحن نعرف بسائقها

۱ـ المطففین / ۲۱ ـ ۱۸.

۲ـ مسندالامام الرضا(ع) ۱ ص ۲٤٦، عن العیون ۲ /۳۲.

وقائدها و ناعقها وانا لنعرف الرجل اذا رايناه بحقيقة الايمان و حقيقة النفاق وان شيعتنا لمكتوبون باسمائهم واسماء آبائهم اخذ الله علينا و عليهم الميثاق يردون موردنا و يدخلون مدخلنا ليس على ملة الاسلام غيرنا و غيرهم الى يوم القيمة نحن آخذون بحجزة نبينا ونبينا آخذ بحجزة ربنا والحجزة النور وشيعتنا آخذون بحجزتنا...[1].

ولعل هذا النور هوالعمود النورى الذى تقدم نقله عن مولينا الرضا (ع) انه قال:

ان الله عزوجل قد ايدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك لم تكن مع احد ممن مضى الامع رسول الله وهى مع الائمة منّا تسددهم و توفقهم وهو عمود من نور بيننا و بين الله عزوجل...[2].

ولسنا الآن بصدد البحث عن نحو علم الامام بالغيب اذ له مقام و حقل خاص و دليل مخصوص،بل هدفنا هيهنا ألإيعاز الى جانب من الآثار المترتبة على العلم الشهودى بالنفس.

والذى يهمنا هنا هوتبيين موقف الشهود القلبى لدى القرآن الحكيم و بيان الطريق الهادية الية و ذكر عقباتها الكؤدة والايعاز إلى شرائط طيها والى الموانع عن قطعها والى مايمكن علاجها والى الميز بين الشهود القلبى وبين التمثل الشيطانى كى يستبان المرغوب اليه عن المرغوب عنه. فنقول: إن الله سبحانه نور لاظلام له اصلا فلا حجاب عليه ولاحجاب له، كما قال مولينا الرضا (ع):

حجب بعضها عن بعض ليعلم ان لاحجاب بينه وبينها غيرها...[3].

---

١ ـ تفسير القمى ١٠٤/٢.

٢ ـ مسند الامام(ع)، عن عيون الاخبار ٢٠٠/٢.

٣ ـ مسندالامام (ع) ١٢٣/٢، عن عيون الاخبار ١٤٩/١.

يعنى(ع) انّه لاحجاب له تعالى اصلا فلا ذاته حجاب لذاته ولاغيره حجاب له فهو يشهد ذاته كما يشهد غيره وانما الحجاب بينه تعالى وبين الاشياء هو نفس الاشياء. فكما ان المضاف فى الإضافة الاشراقية عين الاضافة لاغيرها، بمعنى انه ليس بين المضاف والمضاف اليه شيئ عدا المضاف فهكذا المحجوب فى هذا الحجاب فانه عين الحاجب المانع، فليس بينه و بين المحجوب عنه شيئ عدا نفس المحجوب ومادام المحجوب متوجها إلى نفسه فهوفى حجاب وكنان، وبا نقطاع التفاته عن نفسه وانابته الى خالقه يرفع الحجاب بينه و بين بارئه تعالى فيشاهده بحسب وسعه ثم يشاهد بنوره الاشياء كما قال مولينا الرضا(ع):

...اما بلغك قول الرسول(ص): اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظربنورالله.
قال: بلى، قال(ع): وما من مؤمن الاوله فراسة ينظر الله على قدرايمانه ومبلغ استبصاره وعلمه[1].

فالحجاب انما هوالتوجه إلى النفس بالنظرة الإستقلالية المعبرعنه بالهوى. لاالتوجه اليها بماهى مرآة الحق فإن هذا الالتفات كما مرمسبقا انما هوعلم شهودى بالمسبب المتقوم الذى يمتنع انفكاكه عن شهود السبب المقوم اذالمرآة بماهى مرآة لاتحكى الاالصورة المرئية فيها ولاتهدى الا اليها فكلما كان التوجه الذى فيه هوى النفس قويا كان الحجاب غليظا، وكلما كان ضعيفا كان رقيقا والى هذا المعنى أشار مولينا الرضا فى جواب الرجل الذى سئله بقوله:

فلم احتجب؟ـ اى الله سبحانه ـ قال(ع):

١ـ العيون ٢/٢٠٠.

إن الاحتجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم فاما هوفلا يخفى عليه خافية فى آناء الليل والنهار، قال السائل: فلم لا تدركه حاسة البصر؟ اجاب(ع): للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الابصار منهم ومن غيرهم ثم هواجل من ان يدركه بصر اويحيط به وهم اويضبطه عقل...[١].

فلاحجاب الآ الذنب فالمذنب هوالمحجوب مادام على ذنبه، فمن اذنب واحتجب بذنبه ومات بلا انابة تخرق حجاب الذنب فهو فى كنان العصيان وحجاب الطغيان، كما قال سبحانه:

كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، ثم انهم لصالوا الجحيم[٢].

وحيث ان الذنب الذى اجترحوه صاربعينه رينا على قلوبهم ولاميزبين الذنب المكتسب وبين المذنب الافى المفهوم إذا العمل القلبى قد صار بالملكة عين العامل، يظهر أن مراده تعالى من قوله: «واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا»[٣]. ليس هوالحجاب الخارجى المنفصل عن قلوب هؤلاء الكفار المسدول عليهم، بل المرادهو هبوط قلوبهم ودفن نفوسهم فى قبور سيآتهم المكتسبة التى صارت طبعا لها ورينا عليها كماقال تعالى:

وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولّوا على ادبارهم نفورا...[٤].

ولما كان الذنب حجابا والمذنب محجوبا عن الحق، اكدّ سبحانه بانهم:

---

١ ـ التوحيد ص ٢٥٢.

٢ ـ المطففين ١٤ ـ ١٣.

٣ و ٤ ـ الاسراء / ٤٦ ـ ٤٥.

ان تدعوهم الی الهدی لایسمعوا و تریهم ینظرون الیک وهم لا یبصرون[۱].

یعنی انّهم اهل الحس والنظر لااهل الشهود والبصر، ویؤید ماانتجه التدبر فی القرآن من ان العمل السیئ حاجب، کلمة مولینا السجاد الذی هومن مستنطق القرآن حیث قال(ع):

وان الراحل الیک قریب المسافة وانک لاتحتجب عن خلقک، إلا ان تحجبهم الاعمال دونک...[۲]

وهکذاقولة امامنا الکاظم(ع) فی دعائه یوم السابع والعشرین من رجب حین انطلقوا به صوب بغداد:

...انک لاتحتجب عن خلقک... وقد علمت ان افضل زاد الراحل الیک عزم اراده یختارک بهاوقد ناجاک بعزم الارادة قلبی[۳].

فالمتحصل ان الرحلة الی الله سهلة المنال وقریبة المسافة لمن کان له زادالعزم وقوت الارادة وکانت مطیته التقوی وراحلته الطهارة عن مطلق الذنوب، لکنها عسرة المنال بعبدة المسافة لمن احتجب بالذنب واستتربالعصیان، اولئک ینادون من مکان بعید[۴]:

کذلک یطبع الله علی قلب متکبرجبار[۵].

وان الحجاب منحصر فی الذنب فما لاذنب هناک فلاکنان. وماکان الذنب حقیرا ولمماً کان الحجاب رقیقا. وان الطهارة من الذنب من اهم

۱ـ الاعراف /۱۹۸.

۲ـ دعاء ابی حمزة الثمالی.

۳ـ مفاتیح الجنان ، اعمال الیوم السابع والعشرین من رجب.

۴ـ فصّلت /۴۴. ۵ـ غافر /۳۵.

شرائط الشهود القلبي كما يعطيه قوله تعالى:

يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا...[١].

اذالمراد من هذاالفرقان هوالنور الخاص الذى به ينكشف الحق ويزاح الباطل لا الفرقان العام المعبرعنه بالهداية العامة التى يستوى فيها المتقون والفجار لان الله سبحانه انزل القرآن هدى للناس بلاميز فيه بين اهل التقوى واهل الفجور.

... وكذلك هوالمستفاد من قوله تعالى:

ومن يؤمن بالله يهدقلبه والله بكل شئ عليم[٢].

ومن قوله سبحانه:

وان تطيعوه تهتدوا...[٣].

حيث ان المراد من الهداية فى هذه الايات ومايضاهيها مما اشترط فيها الايمان والاطاعة هى الهداية الخاصة المعبرعنها بالايصال الى المطلوب الذى هولقاء الله وشهود اسمائه الحسنى وامثاله العليا لما ثبت ان لاحجاب هناك الاالذنب المفروض انتفائه بالتقوى والطاعة فبنبغى للمؤمن فهم هذه الاسرارو ان يصبح ممن يحدثه الله وملائكته، كما تفيده كلمة مولينا الرضا(ع):

انى احب ان يكون المومن محدّثا، قال: قلت واى شيئ المحدث؟ قال المفهّم[٤].

---

١ ـ الانفال /٢٩.

٢ ـ التغابن /١١.

٣ ـ النور/٥٤.

٤ ـ مسندالامام الرضا(ع) ١/٢٦٠، عن العيون ١/٣٠٧.

فمن یردالله ان یهدیه یشرح صدره للاسلام و من یرد ان یضله یجعل صدره ضیّقا حرجا کانما یصعد فی السّماء کذلک یجعل الله الرجس علی الذین لایؤمنون[1].

والصدر المشروح هوالصدر البصیر، کما ان الصدر الضیق هوالصدر الاعمی عن الحقائق فمن ارادالله ان یشرح صدره یقول له: کن مشروحا، فیکون کذلک اذلاراد لارادته، کما لامجال لصیرورة الصدر بصیرا وشاهدا بالفعل ولایکون هناک امر موجود مشهود للصدر المنشرح وان لایراه المصدر الضیق الاعمی. وهذا الشرح نورخاص الهی به ینظر المومن الی العالم من غیبه و شهادته. کما نقرئه فی روایة مولینا الرضا (ع) عن آبائه عن علی (ع) عن النبی (ص) انه قال:

المؤمن ینظر بنورالله[2].

ولعل هذا المؤمن المنشرح الصدر بالهدایة الموصلة الی الهدف اکرم علی الله سبحانه من ملک مقرب، کماروی مولینا الرضا (ع) عن آبائه عن علی (ع) قال رسول الله (ص):

إن المؤمن یعرف فی السماء کما یعرف اهله و ولده وانه لأکرم علی الله من ملک مقرب[3].

فاذا شرح الله صدرالمؤمن السالک الی الله بقدمی الایمان والعمل الصالح وأراه من آیاته وعلمه من لدنه علما خاصا لایتعداه العمل ولا یتبدل بالجهل

---

۱ ـ الانعام /۱۲۵.

۲ ـ مسندالامام ۱/ ۲۶۱. عن العیون ۲/ ۶۱.

۳ـ مسندالامام ۱/ ۲۶۰، عن العیون ۲/ ۳۳.

وذلک، لان الله وملائکته انما يعلمون المؤمن ويفهمونه مالا يعلمون غيره، حيث قال سبحانه:

هوالذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما[١].

لظهوره فى اختصاص تصلية الله و ملائكته بمن آمن وأطاع واتقى وصدق بالحسنى، وهذه التصلية هى الرحمة الخاصة الممهدة و المسهلة للسير الى الله. ولما كان الراحل اليه تعالى قريب المسافة وتوقف تسهيل السبيل اليه على الايثار والاتقاء وعلى الايمان بالعاقبة المحمودة لمن آمن واتقى، اشار سبحانه هاديا الى ذلک بقوله:

فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى[٢].

وقال تعالى:

يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم[٣].

وقال تعالى:

والذين جاهدوا فينالنهد ينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين[٤].

وقدبين سبحانه ان هذه الهداية الخاصة انما تتحقق بشرح الصدر و توسعته فى قبال ضيق الصدر وتعميته، حيث قال تعالى:

١ـ الاحزاب /٤٣.
٢ـ الليل /٧ ـ ٥.
٣ـ المائدة /١٦.
٤ـ العنكبوت /٦٩.

ولايغشاه النسيـان ولايغطّيه السهـو ولايداخله الـوهـم ولايتطرق اليه الخيال، تنفجرالحكمة من قلبه على لسانه.

كما نلاحظه بصراح فيما روى مولينـاالرضا (ع) عن آبائه عن على قال قال رسول الله (ص):

ما اخلص عبدألله عزوجل اربعين صباحا الاجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه[1].

ولاخصيصة للسان ـ انحصاريا ـ بل المراد هوانفجار ينابيع الحكمة التى هى الخيرالكـثير مـن جميع شئون حـياته الطيبـة، سواء فى ذلك اللسان وغـيره. لأن جميع القوى المدركة والمحركة مجارى لـفبض القلب وتابعة له فى الكمال والنقص فاذا صلـح صلحت واذا فسـدفسدت ولا تأتـمر الابامره ولا تـنتهى الابنهيـه لانّه إمام لها اخذا وتـركـا. وهى امته كذلـك ولامجال لاستفلالهـا وغنائها عـنه، كما لامجال لافتقارها الى غيره.

ومـا ورد من ان «لسان العاقل وراء قـلبه وقلـب المنافـق وراءلسانه» ليس هوبمعنى انّ لسان العاقل فقط تابع لفلبه و امالسان المنافق فليس تابعاله بل قلبه مطيع لـه متاخر عـنه ومؤتم بـه ايتمام المـاموم بامـامه، بل المراد ان قـلب المنـافق لكونه اعمى عن الحقائق لايبصر الاهواه ولايرى الازهرة الحياة الدنيا وزبارجها ولايأمر الابالمنكر ولاينهى الاعن المعروف، كماقال سبحانه:

المنـافقـون والمنـافقـات بـعضـهـم مـن بعض يـأمـرون بـالمنـكـر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون[2].

١ـ مسندالامام (ع) ١/ ٢٩٠.

٢ـ التوبة /٦٧.

غافلا عن خاتمة الامر بالمنكر و ذاهلاً عن عاقبة النهى عن المعروف وجاهلا لثمرة سحب اليد عن التعاون على البروالتقوى و عامهاً عن نتيجة نسيان الله سبحانه.

ثم انه يبدوله بعد ذلک سوء ما کسب وقبح مااجترح فيدرک حينذاک سوئة صنعه وحاق به ماکان يکتسب، فعلى اى تقدير وافتراض يكون اللسان مطلقاوراء القلب ومؤتما به، كما ان سائر الاعضاء ايضا كذلک و هذاالعبد المخلص لله الذى اوتى الحكمة التى رأسها مخافة الله هوالذى احياه الله وجعل له نورا يمشى به فى الناس فيکون صراط مشيه فى صلته مع الله ومع نفسه ومع الناس لله وفى سبيل الله وعلى مايرضاه الله ويرضاه الرسول فتنفجر ينابيع الحكمة من قلبه على بنانه كما تنفجر منه على بيانه وتنفجر من قلبه على سمعه وبصره كما تنفجر منه على لسانه وتنبع منه على سكوته كما تنبع منه على كلامه لأنه يسكت عن الباطل وإمضائه كما ينطق بالحق ويمضيه و تجرى منه على قعوده كماتجرى منه على قيامه وتنفجر منه على صلحه وسلمه كما تنفجرمنه على حربه وجهاده لانه وجّه وجهه للذى فطرالسموات والارض حنيفا مسلما وماكان من المشركين ان صلاتـه ونسكه ومماته لله رب العالمين لاشريک له وبذلک أُمرَ ان يكون من المسلمين، و لانه يدور مع الحق حيثمادار.

ومن الممكن ان يكون من هذا الباب ـ وبنفس السبب ـ التصلية والتسليم على الامام المعصوم (ع) فى جميع شؤنه. كما نقرئه فى زيارة آل يسين:

> السلام عليک يا تالى كتاب الله وترجمانه. السلام عليک فى آناء ليلک واطراف نهارک... السلام عليک حين تقوم. السلام عليک حين تقعد السلام عليک حين تقرء وتبيّن. السلام عليک حين تصلى وتقنت. السلام عليک حين تركع وتسجدالسلام عليک حين تهلل وتكبر. السلام عليک حين تحمد وتستغفر. السلام عليک حين تصبح وتمسى السلام عليک

فی اللیل اذا یغشی والنهار اذا تجلی...[١].

والهدف هوان الاخلاص یوجب ویلازم تنور القلب الحاکم علی القوی والاجهزة، فکلماقوی الاخلاص تقوّی نورالقلب حتی ینتهی إلی سدرة منتهاه وهوالإخلاص المحض الخاص للانسان الکامل المعصوم(ع)، وکلما ضعف الاخلاص یضعف نورالقلب واذا ضرب عصا الاخلاص علی القلب المؤهل المستعدانبجست منه العیون الخرارة العلمیة والعملیة علی القوی العلامة والعمالة الصافیة عن ایّة کدورة، لأن التکدرمن الشیطان الغوی المغوی، فاذا تذکر العبد واخلص فی ذکراه و ذکرالله فی نفسه تضرعا وخیفة ودون الجهرمن القول بالغدو و الاصال ولم یکن من الغافلین، ذکره الله تعالی کما وعده فی قوله:

اذکرونی اذکرکم[٢].

فاذا ذکره الله سبحانه لایقترنه الشطان لانه لایهجم علی الانسان الاعندالغفلة عن ذکرالله ولایدهم الالدی النسبان عن ذکره ونبذکتابه وراء ظهره. لانه ـ کما قال سبحانه:

انه یراکم هووقبیله من حیث لا ترونهم[٣].

انمایری الغافل ویهجم علیه ویغویه عن سبیل الله.

واما المومن المتذکر فهو یراه ویشاهد هجومه وینظر اضلاله واعوانه فیستعیذ بالمعاد ویلتجی بالملجاء وهوالله سبحانه، کما قال تعالی:

ان الذین اتقوا اذا مسهم طائف من الشیطان تذکروا فاذا هم مبصرون[٤].

---

١ ـ مفاتیح الجنان، زیارة صاحب الأمر(ع).

٢ ـ البقرة /١٥٢.

٣ ـ الاعراف /٢٧.

٤ـ الاعراف /٢٠١.

وقال تعالى:

واما ينزغنک من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم[١].

وقال سبحانه:

ولن تجدمن دونه ملتحدا.[٢]

فاذا ابصرو تذكر واستعاذ بالله الذى لاملتحد ولاملجاء دونه ينصره الله ويصونه و يتفضل عليه ولاراد لفضله كما لاكاشف لضره، حيث قال تعالى:

وان يمسسک الله بضر فلا كاشف له الاهو وان يردک بخير فلاراد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهوالغفور الرحيم[٣].

والمحصل أن المؤمن المتذكر يكون فى حصن الله فلاينفذاليه الشيطان لانه لا يستطيع ان يظهر عليه ولايستطيع له نقبا حيث ان الشيطان مرجوم من الحصن ومبعدعن السدالذى بناه الله سبحانه من قدرته فاذا لم يكن للشيطان عليه سبيل ولالقبيله اليه طريق ولالخيله ورجله اليه مسيرولالجنوده اليه مسلک اصلاً يكون جميع ما يشاهده بالقلب ويسمع بالصدرويرى بالبصيرة حقا ويكون جميع ما يتمثّل له فى المنام اواليقظة ربانيا اوملكيا لانفسانيا ولاشيطانياً اذالمفترض انه قدافلح بتزكية نفسه وذكر ربه ونجاعن الخيبة بتدْسيتها وراض نفسه بالتقوى وهذبها بالطاعة وحذرها عن الطغوى فعرف جميع حبائل النفس الامارة بالسوء اوالمسولة كما و عرف جميع مصائد وشرک الشيطان وقبيله واتقى من ذلک كله، اذًا فلابضاعة ورأسمال للشيطان ولاسلاح ولاعدة له حتى

---

١ ـ الاعراف /٢٠٠.

٢ ـ الكهف /٢٧.

٣ـ يونس /١٠٧.

یداخل بـه فی شـهـوده کمالم یکـن لـه ذلک بالنسبـة الی فکره الذهنی وعـلـمه الحصولی. والی ذلک یوعز قوله تعالی:

کلالو تعلمون علم الیقین لترون الجحیم، ثم لترونها عین الیقین...[۱].

ولا انحصـار بذلک لرؤیـة الجـحیم اذالمؤمن المتق الـذی جـعل الله له نورا کمایری النار ویسمع عوا اهلها کذلک یری الجنة ودعوی اهلها وهی التسبیح والحمد وتحیة اهلهـا وهوالسلام. والسرفی ذکر الجحیم هوان الـغالب علی الناس هوالخوف مـن النار وان الـموثـر فی طباع اکـثرهم هـوالانـذار لاالتبشیر ولـذلک نـلاحظ القـرآن الحکیم یحصـرشأن الـرسول فیـه رغم انـه کان مـبشرا کما کان منذرا:

قل یا ایها الناس انما انالکم نذیر مبین[۲].

فمن اخلص لله یشاهد الحق شهـودا لایشوبه الباطل ویری الاسماء الحسنی ومظاهرهـا من الرضا والـرحمة و مظهـرها وهی الجنـة و من السخط والـغضب و مظهره وهـی النـارو من الـقیض والبسط و مظـاهرهـا ومن الاضـلال و الهدایة ومرایا هما وهکـذا... والسبب فی ذلک کلـه هوما مرمسبقا من ان الله سبحانه نـور لاحجـاب له اصـلا وکذا اسـمـائه الحسنی لاکـنان لهـا ولاغطاء علیـهـا انما الغطـاء هوالمسـدول علی اعین الکفـار والمنـافقین بالذنب، کما یـفصح عـنه قوله تعالی:

وعرضنا جهنم یـومئذ للکافرین عرضا، الذین کانت اعینهم فی غطاء عن ذکری وکانوالا یستطیعون سمعا[۳].

۱ـ التکاثر/۷ـ ۵.

۲ـ احنج /۴۹.

۳ـ الکهف / ۱۰۱ - ۱۰۰.

لظهوره فی ان أعین الکفار فی غطاء عن ذکرالله لاان ذکرالله فی غطاء فالقصور انما هو فی اعینهم لافی ذکره تعالی، وهکذا قوله:

لقد کنت فی غفلة من هذا فکشفنا عنک غطائک فبصرک الیوم حدید[1].

لأنّ له دلالة علی ان القیامة ومشاهدها موجودة بالفعل وانها مصونة عن الغطاء، بید انها مسدولة علی بصر الکافر و سیکشف یوم القیمة فیصیر حدیدًا، ذاحدة نافذة یری مظاهر الغضب ویسمع مشاهد السخط رغم کونه اعمی عن مظاهر الرحمة و مشاهدالرضا وبیان ذلک کمایلی:

ان الذنب رین ینطبع به القلب فیصیر محجوباعن رؤیة آیات الله فی الانفس والافاق فیصیر اعمی کما قال مولی العارفین سیدالشهداء الحسین بن علی (ع):

عمیت عین لا تراک علیها رقیبا[2].

فلایری شیئا من اسمائه الحسنی الجمالیة ولاالجلالیة، فبموته وانتقاله الی الدار التی تبلی فیها السرائر و کانت سریرته اعمی... یظهر باطنته و یحشر ـیومئذـ اعمی، کما قال سبحانه:

ونحشره یوم القیمة اعمی[3].

یعنی اعمی عن الحق وجماله ورحمته الخاصة، لذلک قال:

انهم عن ربهم یومئذ لمحجوبون[4].

---

۱ ـ ق/۲۲.

۲ ـ مفاتیح الجنان: دعاء الحسین(ع) یوم عرفه ص ٤۹٦ (ط. علمی ۱۳۸۳ هـ).

۳ ـ طه/۱۲٤.　　٤ ـ المطففین /۱۵.

وحیث إن الاعمال تصیر هناک قلائد فی الاعناق[1] وسلاسل فی الارجل وان الظالمین یصیرون حطبا للنار، کماقال:

واما القاسطون فکانوا لجهنم حطباً[2].

وقوداً للنار، لذلک یرون انفسهم یسجرون فی النار، قائلاحینذاک:

ربناأبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا[3].

فهم رغم کونهم عمیًا عن شهود الجمال والرحمة یصبحون مبصرین للنار ولهیبها وبالرغم من صممهم عن سماع کلمة الحق یبیتون سامعین لتغیظ النارو زفیرها، کماقال تعالی:

اذا رأتهم من مکان بعید سمعوالها تغیّظا وزفیرا[4].

وقال:

اذاالقوا فیها سمعوا لها شهیقاوهی تفور[5].

وذلک لانهم کانوا فی الدنیا یستمعون هتاف الشیطان فقط وماکانوا یستطیعون سمع الحق ولم یکونوا یبصرونه. فتظهرهذه الحالة لهم یوم القیمة فلا یشاهدون جمال الرحمة ولایسمعون کلام الله اذ لایکلمهم الله ذلک الیوم تکلیم عنایة وتشریف ولاینظر الیهم نظرة رأفة ورحمه لأن الله حرم الکلام والنظر الخاصین علی الکفار العُمی عن الحق والصُم عنه، کماحرم الماء وغیره من

۱ـ الصحیفه السجادیه، دعاء ختم القرآن.

۲ـ الجن /۱۵.

۳ـ السجدة /۱۲.

٤ـ الفرقان /۱۲.

۵ـ الملک/۷.

ارزاق الجنة عليهم، كما قال سبحانه:

ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة أن افيضوا علينا من الماء او ممارزقكم الله قالوا ان الله حرمها على الكافرين [1].

والمراد من التحريم هنا هوالمنع التكوينى دون النهى التشريعى، اذلا تشريع فى دارالجزاء و نشأة الحساب. وبهذا التحليل يظهر عدم التنافى بين مايدل على ان هؤلاء الطغاة اللئام يحشرون يوم القيمة عميا صما، وبين الذى يدل على رؤيتهم النار وسمعهم شهيقا لها وهى تفور، لما مرمسبقا من ان يوم القيمة هو يوم ظهور الملكات والاخلاق و قدكانوا فى الدنيا بالقياس الى الحق عميا صما و مقيسا الى الباطل مبصرين و مستمعين فتبلى هذه السريرة الخاصة لهم ذلك اليوم وقد كانوا فى الدنيا كما حكى الله تعالى عنهم:

وان يروا كل آية لايومنوا بها وان يرواسبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يرواسبيل الغىّ يتخذوه سبيلا ذلك با نهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعماهم هل يجزون الاما كانوا يعملون [2].

ولاغرو فى هذا التفكيك فى العلم الشهودى بان يشاهد الانسان شيئا ولايشاهد شيئاً آخر و يسمع صوتا ولايسمع صوتا آخر وهكذا كما لاغرابة فى ذلك بالنسبة الى العلم الحصولى بأن يفهم الانسان شيئاً ولايفهم شيئاً آخر مقابلاله ـ مثلا ـ ان الذى استقر و عشش فى قلبه بعض المبانى المادية فانه لايفهم الاالذى له صلة و مساس بالمادة، واما ماهو خارج عنها فلايفهم منه شيئابل يراه اسطورة لاواقعية لها كما حكاه الله عنهم فى قوله:

---

۱ ـ الاعراف /۵۰.

۲ـ الأعراف / ۷ ـ ۱۴۷.

قالوا یا شعیب ما نفقه کثیرا مما تقول...[۱]

وفی قوله تعالی:

لهم قلوب لایفقهون بها ولهم اعین لایبصرون بها ولهم آذان لایسمعون بها اولئک کالانعام بل هم اضل اولئک هم الغافلون[۲]

ومنهم من یستمع الیک حتی اذا خرجوا من عندک قالوا للذین اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئک الذین طبع الله علی قلوبهم واتبعوا اهوائهم[۳].

وفی قوله:

واذا تتلی علیهم آیاتنا قالوا قد سمعنا لونشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطیر الاولین[۴].

الی غیر ذلک من الایات الحاکیة عدم فقههم ما هو الخارج عن نطاق الحسّ والفائق علی إطار المادة وان کانوا یدرکون المحسوسات و مالها من الا ثار المادیة الداثرة وکذا یدرکون المعانی الخیالیة التی لاواقعیة لها فی الخارج من التشبیهات والاستعارات والکنایات الشعریة التی احسنها اکذبها. وهولاء نوع من الناس عبّر القرآن الحکیم عن مثلهم بالمختال ای الذی یحوم حول الخیال ولایدور مدار العقل الذی هو الحق، حیث قال سبحانه:

ولا تصعر خدّک للنّاس ولا تمش فی الارض مرحا ان الله لایحب کل مختال فخور[۵].

فهولاء یدرکون الاوهام المنسوجة بایدی الوهم والخیال ولایدرکون

---

۱ ـ هود /۹۱.
۲ ـ الاعراف /۱۷۹.
۳ ـ محمد(ص) /۱٦.
٤ ـ الانفال /۳۱.
٥ ـ لقمان /۱۸.

الحقائق التى صنعها الله الذى بيده ملكوت كل شىء، فان حكم فى مورد بانهم لايفقهون شيئا فان المراد من العموم المستفاد من وقوع النكرة فى سياق النفى هوالشىء المعقول لاالاعم منه ومن الموهوم والمتخيل. فبذلك يستبان ماهوالمقصود من قوله تعالى:

فما هولاء القوم لايكادون يفقهون حديثا[1].

اذالمرادمن الحديث الذى لايفقهه هولاء هو الحديث العقلى المؤسس بنيانه على البرهان اليقنى دون الاعم منه و من القائم على شفا جرف الوهم والخيال. ومن هذا القبيل قوله تعالى:

هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عندرسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لايفقهون[2].

وذلك لأن هولاء رغم بلوغهم من الدهاء والنكراء حدا «اذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انومن كما آمن السفهاء» حيث انهم يحسبون انفسهم عقلاء ويزعمون ان المومنين بالله واليوم الاخرهم السفهاء، ولكنهم ـ فى ذات الوقت ـ لايفقهون الحقائق الغيبيّة ولايدركون ماهوخارج عن مصاف الحسّ ومنال الخيال ومدهم الوهم.

والمحصل انه كما ان التفكيك فى العلم الحصولى امرممكن بل واقع، كذلك التفكيك فى العلم الشهودى جائزبل واقع ضرورى، لانه عبارة عن ظهور سريرة التفكيك الحصولى الذى كان فى الدنيا محققا لأن هذه الدار الداثرة دارعمل ولاحساب والدار الاخرة التى هى الحيوان دارجزاء وحساب

١ـ النساء /٧٨.

٢ـ المنافقون /٧.

لاعمل فیها فجمیع ماکان الانسان قداجترحه فی الدنیا یظهر بنفسه فی الاخرة ولا امکان هنالک لکسب شی لم یجترحه، فاذا کانت باطنة الانسان فی الدنیا اعمی عن الحق و بصیرا بالباطل یظهر هذا الباطن یوم القیمة ویظهر الحق الذی کان مرعوبا عنه له بصورة الجنة التی تجری من تحتها الانهار او اعلی منها کجنة اللّقاء، ویظهر الباطل الذی کان مرغوبا فیه له بصورة النارالتی تطّلع علی الافئدة أدلی منها کالنار الجسمانیة التی تحرق الجلود التی کلما نضجت بدلت جلودا غیرها لیذوق صاحبها العذاب.

وهذا هوالذی یستفاد من قوله تعالی:

ومن کان فی هذه اعمی فهو فی الاخرة اعمی واضل سبیلا[1].

اذلیس المراد من العمی هنا هوالعمی الحسی لأن الذی لایغض بصره عن المحارم ولایتحرّزعن خائنة العین فهو بصیر لااعمی، بل المراد منه هوالعمی العقلی لأن الذی لایفقه ان لله خزائن السموات والارض، ولایفهم ان بیده ملکوت کل شی، وان الله یحیی ویمیت، وانه تعالی یأتی بالشمس من المشرق، وانه فالق الحب والنوی، وانه یعز و یذل،وانه یقبض ویبسط، وانه خالق کل شئ وعلی کل شیئ وکیل. فهو اعمی عن الحقائق رغم ابصاره المحسوسات، وحیث ان الاخرة باطن الدنیا وانّ باطنة کل انسان فانها تظهر هنالک، فمن کانت باطنته اعمی فی الدنیا یظهر عماه فی الاخرة کما تقدم عن مولینا الرضا(ع) فی قوله:

... ولکن القوم تاهوا وعموا وصموا عن الحق من حیث لایعلمون وذلک قوله عزوجل: ومن کان فی هذه اعمی فهوفی الاخرة اعمی واضل سبیلا یعنی اعمی عن الحقائق[2].

---

۱ ـ الاسراء /۷۲.

۲ ـ التوحید ص ۴۳۸.

ثم انه قد مرمنا مسبقا ان الحق سبحانه نورلاحجاب له ذاتا ولا يعتريه الخافية عرضا وان النفس الانسانية موجود مجرد لاحجاب له بالذات وان يطرء عليه الغطاء بالعرض.

وان شهود النفس متقوم بشهود الحق سبحانه كما ان وجودها متقوم بوجوده تعالى.

وان شهود الحق موجب لشهود اسمائه الحسنى ومظاهره العليا.

وان الحاجب عن الشهود لكونه عرضيا يزول لامحالة وهو يوم ظهور الحق ظهورا تاما لايبقى معه مجال للريب و موقع للحجاب كما قال سبحانه:

يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هوالحق المبين[۱].

وان شهود الحقائق الخارجية ميسور للأنسان الذى يشاهد نفسه ولا يغفل عنها بلا اختصاص لذلك بالانبياء، اذا النبوة وان كانت موهبة خاصة لا تنال غيرهم بها، وان الرسالة وان كانت عطية مخصوصة لا تنال سائر الناس حيث ان ذلك عهد الهى وهو تعالى: «اعلم حيث يجعل رسالته» كما وانها ايضا محددة زمانا ومنقطعة امدامع بقاء شريعة الخاتم(ص) الا ان الولاية موهبة عامة لا انقطاع لامدها ولا نهاية لعددها لان الله سبحانه هوالولى ولهذا الاسم مظهر فى كل جيل وعصر ومصر.

وان الطريقة المثلى التى هى أقوم انّما هى معرفة النفس شهودا وأن الذى يبغيها عوجاً يتيه فى الارض وانّ الذى يسلكها بلا اعوجاج لا يضل ولا يغوى. وان الحجاب المانع عن شهود النفس الملازم لشهود الرب هو الذنب لاغير، وقد وعدنا بيان ما هوالحجاب الاصيل و بيان ما هو الفلاح عن ذلك الحجاب فلزام علبنا انجاز الوعد

---

۱ ـ النور/۲۵.

وعليه فنقول: إن حب الدنيا الذى هورأس كل خطيئة هوالحجاب عن ذكر الله والغطاء عن معرفة النفس وشهودها بحيث لا يجتمع حبها مع ذكر الله وكذا مع معرفة الله. حيث قال سبحانه:

فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم ان ربک هواعلم بمن ضل عن سبيله وهواعلم بمن اهتدى[1].

لدلالته على ان ارادة زهرة الحيوة الدنيا تحجب عن ذكر الله، فالدنيا مصداق للذهول فطالبها ذاهل ليس بذاكر فإرادتها مساوقة للذهول عن ذكر الله فكل من ارادها فقد ذهل عن الله ونسيه وكل من نسى الله انساه الله نفسه كما قال سبحانه:

...نسوا الله فانساهم انفسهم اولئک هم الفاسقون[2].

فكل مريد للحيوة الدنيا فهوذاهل عن نفسه وناسيها، وهكذا كل من نسى الله ينساه الله سبحانه عن الذهول والسهو، كما قال تعالى:

...نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون[3].

وحيث ان النسيان لا يتطرق الى من لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء كما قال سبحانه:

...وما كان ربک نسيا[4].

فلابد من ان ينتزع النسيان المنسوب اليه سبحانه من مقام الفعل لا الذات

---

١ ـ النجم / ٣ ـ ٢٩.

٢ ـ الحشر/١٩.

٣ ـ التوبة /٦٧.

٤ ـ مريم /٦٤.

ولا الوصف الذاتي ، ولما كان النسيان امرا عدميًا فان منشأه امرعدمي ـ لا محالة ـ اذلا ينتزع الامر العدمي من متن الامر الوجودي بما انه وجودي ، بل ان كان ولا بد فمن حيثية عدميّة هو امساک الفيض الخاص وعدم ارساله حسبما تقدم بيانه ، فاذا امسک الله فيضه الخاص ولم يرسله الى من اعرض عن ذكره واراد الحيوة الدنيا والمفترض انه لا مرسل غيره تعالى فيصير ذلک الغافل الناسي الساهي عن ذكره فاقداً لكمال وجودي. وقد بين القرآن بصراح انّ فقد ذلک الكمال الوجودي هو العمى عن شهود الحق ، كما قال تعالى:

ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى ، قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلک اتتک آياتنا فنسيتها فكذلک اليوم تنسى[1].

لظهوره في ان كون المعرض عن ذكر الله اعمى انما هو مصداق لنسيان الله وانه لو ذكره الله لصار بصيراً شاهدا ، كما وان المعرض عن الدنيا والذاكر لله يصير مذكورا لله سبحانه. وحيث ان الذكر والنسيان متقابلان ، فاذا كان العمى منشاء لانتزاع النسيان يكون البصيرة منشاء لإنتزاع ذكر الله عبده وبما ان المراد من العمى هنا هو عمى القلب يكون المراد من البصيرة ههنا هو بصر القلب ، فقلب الذاكر شاهد بصير ، كما ان قلب الغافل الناسي اعمى فيدور الشهود القلبي مدار ذكر الله وحبه و يدور العمى القلبي مدار ذكر الدنيا وحبها المساوق لنسيان الله ونسيان النفس فيترتب على حيثيته العدميّة وهو النسيان امر عدمي هو العمى والصم وما الى ذلک ، و يترتب على حيثيته الوجودية وهو ذكر الدنيا وحبها والحنين اليها امر وجودي هو العذاب يوم القيمة كما قال تعالى:

---

۱ ـ طه /٦ ـ ١٢٤

فذوقوا بما نسیتم لقاء یومکم هذا انا نسیناکم وذوقوا عذاب الخلد بما کنتم تعملون[۱]

وقیل الیوم ننساکم کما نسیتم لقاء یومکم هذا ومأواکم النار ومالکم من ناصرین ذلکم بانکم اتخذتم آیات الله هزوا وغرتکم الحیوة الدنیا فالیوم لایخرجون منها ولاهم یستعتبون[۲].

لظهور هذه الآیات فی آنّ منشأ العذاب هونسیان المعاد وهوالرجوع الی الله الذی هوالمبدء. وفی آنّ منشاء النسیان هوالاغترار بالدنیا واشراب حبها فی القلب، وهذا هوالامر الوجودی الذی یظهر بصورة العذاب یوم القیمة، کما وان ذکر الله وحبّه امر وجودی یترتب علیه عدا الأمر الوجودی المتقدم وهو الشهود القلبی امروجودی آخر هوالرّفاه والتنعم فی جنة عرضها السموات والارض وفی آنّ منشاء الاستهزاء بآیات الله هوالولع بذکر الدنیا الغرور و حبها الذی هورأس کل خطیئة فی الدنیا ومنشأُ کل عذاب فی الاخرة، کما ان حب الله رأس کل صواب فی الدنیا ومنشاء کل تنعم فی الآخرة... وإلی ذلک کله یوعز قوله تعالی:

ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون، قال اخسئوا فیها ولا تکلمون، انه کان فریق من عبادی یقولون ربنا آمنا فاغفرلنا وارحمنا وانت خیرالراحمین، فاتخذتموهم سخریا حتی انسوکم ذکری وکنتم منهم تضحکون، انی جزیتهم الیوم بما صبروا انهم هم الفائزون[۳].

لظهور هذه الآیات فی بیان مبادی تلک الاوصاف فی الدنیا والاخرة... وحیث ان الدنیا وزینتها وزهرتها وزبارجها... حبالة الشیطان وانه بها یقتبض الانسان، کما قال:

---

۱ ـ السجدة /۱٤.

۲ ـ الجاثیة/ ۵ ـ ۳٤.

۳ ـ المومنون / ۱۱۱ ـ ۱۰۷.

...لازينن لهم في الارض [١].

فلا بد وان يستند نسيان الله والغفلة عن ذكره والإعراض عن تولية الوجه شطره الى الشيطان، اذ النفس الأمارة والمسولة وسائر شؤن النفس المعرضة عن ذكر الله تحت تدبير الشيطان الذى اتخذه الانسان المغتر بالدنيا وليا له وولى وجهه شطره وبايع معه، كما قال سبحانه:

استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون [٢].

فبتبيين ما مر بكله يتبين هيهنا اصل آخر هو: ان المعرض عن ذكر الله الغافل عنه المولع بذكر الدنيا والمحب لها هو تحت ولاية الشيطان. كما ان المعرض عن الدنيا المطلّق لها المتذكر لله والمحب له تعالى تحت ولائه. كما قال:

الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور... [٣].

وقال:

ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين [٤].

وقال تعالى:

تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم [٥].

وحيث ان الامور الأُخروية نتائج الملكات الدنياوية فكون الشيطان وليّا لهؤلاء

١- الحج /٣٩.
٢- المجادلة /١٩.
٣- البقرة /٢٥٧.
٤- الاعراف /١٩٦.
٥- النحل /٦٣.

فى الاخرة انما هو لكونه وليا لهم فى الدنيا و بيده زمام ناصيتهم الخاطئة وهو المسطر عليهم والمعبود لهم.

وليس المراد من ولاية الشيطان على الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واخذوا آيات الله هزواً واتخذوا المؤمنين سخريا هو الولاية المستقلة اذلا استقلال لشئ فى دار التحقق الا لله الذى هو الحق بذاته ومنه الحق فى فعاله، بل المراد ان الشيطان الذى هو بنفسه جند من جنود القهر الإلهى والاضلال الجزائى دون الاضلال البدائى المنزه منه الله: «الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى» هذا الشيطان يصبر ماموراً لإغوائهم ولا زاغة قلوبهم وتعمية صدورهم واخراجهم من نور الفطرة الى ظلمة الكفر والنفاق، بعد ان زاغوا بسوء اختيارهم وضلوا عن سبيل الله بسوء فعالهم واقبلوا الى الدنيا مدبرين عن الآخرة بسوء نياتهم واشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم الكاسدة بسوء اعمالهم فعندئذ يسلط الله الشيطان عليهم ليزداد سقم قلوبهم، كما قال سبحانه:

انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يومنون[1].

وقال:

انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازاً[2].

فالغرض هو ان التوحيد الافعالى والربوبية المطلقة التى لله رب العالمين لا تدع مجالا لان يستقل شيئ فى امره سواء فى ذلك الشيطان وغيره، بل جميع ما فى السموات والارض عبد داخر له تعالى وجند خاضع لديه ولكن الله سبحانه قد يرسل ملكا ليخرج عبده الصالح من اى ظلمة محتملة الى النور دفعا اورفعا. وقد يرسل شيطانا

---

١ ـ الاعراف /٢٧.

٢ ـ مريم /٨٣.

ليتولى أمر عبده الطالح بعدما امهل له غير مرة وفتح لوجهه ابوابا من التوبة والانابة والاسلام....

والمحصّل آنَّ الولى المطلق الذى لا شبيه له فى ولايته ولا شريک له فى سلطنته ولاندّ له فى سيطرته ولامثيل له فى هيمنته ـ وعلى الجملة ـ الولى الذى ليس كمثله شيئٌ بالضرورة الازلية... انما هوالله سبحانه وآنَّ محور التولبة ومدارالسيطرة هوالنفس لاغيرفالله وليها ليخرجها من الظلمات إلى النوربالتزكية، والشيطان وليها كى يخرجها من النورالى الظلمات بالتدسيس والتخييب وآنَّ اس رقى النفس هوشهودها القلبى، الطاهر عن دنس التمثل الشيطانى و بنيان هبوطها وهويها هوالعمى القلبى المشوب بالمغالطة الفكرية اوالتمثل الشيطانى فى المثال المتحصل بها وآنَّ الموعد الوحيد للتضارب والسباق والانتصار بين الحق والباطل هومسرح النفس ولا همّ وشأن للشيطان سوى اغوائها، كما وان العناية الخاصة الالهية إنما هى منعطفة نحوهدايتها وتزكيتها وعليه فان الاساس والقطب هوالنفس لاغيرلان جميع الشئون المدركة والمحركة تابعة لها، كما وان جميع ما هوخارج عنها تابع لها.

وحيث أن النفس هى النقطة المركزية للسعادة والشقاوة.. حث القرآن العلمى والقرآن العينى على معرفتها ومعرفة مايصلحها ومايفسدها وحرّضا على تهذيبها وتجريدها عن التعلق والرباط بالطبيعة وحذراها عن الذهول والنسيان وانذراها عن الطغوى والعصيان وأمراها بالتقوى والايمان.. واليک جانبا مما فى القرآن العلمى و بعضاً مما عن القرآن العينى ذى النفس المطمئنة الراضية المرضية الراجعة الى لقاء بارئها الدخيلة فى عباده المخلصين وفى جنته الخاصة، لكى يستبان بذلک لزوم الاهتمام بمعرفة النفس ويمتاز به الشهود القلبى الحق المرغوب اليه عن التمثل الشيطانى الباطل المرغوب عنه. قال سبحانه:

يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله

مرجعکم جمیعا فینبئکم بما کنتم تعملون[۱].

فالذی تفیدنا الآیة الکریمة هوان الانسان سالک الی الله وصائر الیه ولابد للسالک من الطریق، کماولابد له من الغایة والهدف. اما الطریق فهی النفس. واما الغایة فهی جنة اللقاء ولاطریق لها الامعرفة النفس وتزکیتها ولاغایة للنفس الّالقاء بارئها، ولذا اهتم به المحققون من القدامی وغیرهم فی کتبهم الممتّعة المرموقة وکذا فی سیرهم الطاهرة عن رجس الطبیعة.

ولقد کفانا فی العرض لهذا الموضوع القیّم سیدنا الاستاذ العلامة الطباطبائی (قده) فی کتابه الممتع «المیزان فی تفسیرالقرآن» فی موارد عدیدة سیا فیا ذیّله لآیتنا المبحوث عنها وکذافی سائر تصانیفه الثمینة لا سیا رسالته المعمولة فی الولایة... ومعه لامجال للإسهاب فی ذلک، عدا نقل بعض ماورد فی النفس ممالم تتح الفرصة لسیدنا الاستاد (قده) لان یتعرض له اوانه (ره) رای فیا نقله غنیةً عمالم ینقله. ومهما کان الأمر فان القرآن العینی ـ ای الانسان الکامل المعصوم ـ لما کان بنفسه قد سلک هذه الطریقة الوعرة التی هی احدّ من ایّ سیف قاطع وادق من ادقّ الشعریات والمناثیر وبلغ بغیته وصار بنفسه إماماً لایّ سالک رَامَ ان یسلک طریق النفس وقدوة لایّ سائر عزم ان یسیر مسیرها واسوةً لایّ مرتاض اراد ان یروض نفسه بالتقوی...

فانه لزام علینا نقل جانب مماصدر عن صدره المنشرح وقلبه الشاهد ولسانه الناطق بالحق... فقد قال مولینا الرضا (ع):

من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف امن، ومن اعتبر ابصر، ومن ابصر فهم، ومن فهم علم. وصدیق الجاهل فی تعب. وافضل العقل معرفة الانسان نفسه[۲].

۱ـ المائدة /۱۰۵.

۲ـ مسندالامام الرضا(ع) ۱/۳۰۴ ـ ۳۰۲، عن البحار ۳۴۵/۷۸ ـ ۳۵۰

وفی «الغرر والدرر» للآمدی عن مولینا امیر المومنین (ع):

الاشتغال بتهذیب النفس اصلح، من لم یهذب نفسه لم ینتفع بالعقل، من لم یهذب نفسه فضحه سوء العادة[۱].

الغفلة اضر الاعداء، الغفلة شیمة النوکی، دوام الغفلة یعمی البصیرة، بینکم و بین الموعظة حجاب من الغفلة والغرة، من غلبت علیه الغفلات مات قلبه، و یل لمن غلبت علیه الغفلة فنسی الرحلة ولم یستعد[۲].

الفکر عبادة، الفکر جلاء العقول، التفکر فی ملکوت السموات والارض عبادة المخلصین، بالفکر تنجلی غیاهب الامور، صیام القلب عن الفکر فی الآثام افضل من صیام البطن عن الطعام، من اسهر عین فکرته بلغ کنه همته، لا بصیرة لمن لافکر له[۳].

الهوی شریک العمی، الهوی اله معبود، ان طاعة النفس ومتابعة اهویتها اسّ کل محنة وراس کل غوایة، ان اَطَعْتَ هواک اصمک واعماک وافسد منقلبک وارداک، دواء النفس الصوم عن الهوی والحمیة عن لذات الدنیا، صلاح النفس مجاهدة الهوی، ردع النفس عن تسویل الهوی ثمرة النبل، ردع النفس عن الهوی الجهاد الاکبر، کم من عقل اسیر تحت هوی امیر، کیف یجد لذة العبادة من لایصوم عن الهوی، لوارتفع الهوی لانف غیر المخلص من عمله، مغلوب الهوی دائم التقاء مو بد الرق، نظام الدین مخالفة الهوی والتنزه عن الدنیا[٤].

الیقظة نور، لا تنجع الریاضة الا فی نفس یقظة، الیقین نور، سبب الاخلاص الیقین، کفی بالیقین عبادة ما اعظم سعادة من بوشر قلبه ببرد الیقین، الیقین یثمر الزهد[٥].

الاخلاص اعلی فوز، العمل کله هباء الا ما اخلص فیه، عند تحقیق الاخلاص

---

۱ ـ الغرر والدرر للآمدی ـ ۷/۴۲۲.

۲ ـ الغرر والدرر للآمدی ۷/۹ ـ ۳۹۸

۳ـ الغرر والدرر للآمدی ۷/ ٦ ـ ۳۱۳

٤. المصدر ٤۲۹ ـ ٤۲٥

٥ـ الغرر والدرر للآمدی ۷/ ٤ ـ ٤۳۲.

تستنیر البصائر، من اخلص النیة تنزة عن الدّنیة[۱].

حسن النیة جمال السرائر، سوء النیة داء دفین[۲].

الثقة بالنفس من اوثق فرص الشیطان، الثقة بالله افضل عمل[۳].

الذکر نور العقل وحیاة النفوس وجلاء الصدور، استدیموا الذکر فانه ینیر القلب وهو افضل العبادة، ذکر الله جلاء الصدور وطمأنینة القلوب، علیک بذکر الله فانه نور القلب، من ذکر الله سبحانه احیی الله قلبه ونور عقله ولبه[۴].

لا عمل کالتحقیق ولا ینفع اجتهاد بغیر تحقیق، لا سنة افضل من التحقیق[۵].

الدنیا مصرع العقول، ایاک وحب الدنیا فانها اصل کل خطیئة ومعدن کل بلیة، ان النفس التی تطلب الرغائب الفانیة لتهلک فی طلبها وتشق فی منقلبها، ان من هوان الدنیا علی الله ان لا یعصی الا فیها، ان الدنیا منتهی بصر الاعمی لا یبصر مما ورائها، انک لن تلقی الله سبحانه بعمل اضر علیک من حب الدنیا، آفة النفس الوله بالدنیا، حب الدنیا یفسد العقل و یصم القلب عن سماع الحکمة، طلاق الدنیا مهر الجنة، عجبت لمن عرف نفسه کیف یأنس بدار الفناء، کما ان الشمس واللیل لا یجتمعان کذلک حب الله وحب الدنیا لا یجتمعان، لحب الدنیا صُمَّتِ الاسماع عن سماع الحکمة وعَمِیّت القلوب عن نور البصیرة، من غلبت الدنیا علیه عمی مما بین یدیه، هلک من استنام الی الدنیا وامهرها دینه فهو حیثما مالت مال الیها، ینبغی لمن علم شرف نفسه ان ینزهها عن دنائة الدنیا، المؤمن من طهر قلبه من الدنیة[۶].

الشریعة ریاضة النفس، لقاح الریاضة دراسة الحکمة وغلبة العادة، من استدام ریاضة نفسه انتفع[۷].

اذا احب الله عبدا الهمه حسن العبادة، دوام العبادة برهان الظفر بالسعادة،

---

۱ ـ الغرر والدرر للآمدی ۳/۷ ـ ۹۱.

۲ ـ الغرر والدرر للآمدی ۹/۷ـ ۳۹۸.

۳ـ الغرر و الدرر للآمدی ۳۹۹/۷.

٤ ـ الغرر والدرر للآمدی ۵/۷ ـ ۱۲۳.

۵ ـ الغرر والدرر للآمدی ۷۷/۷.

٦ ـ الغرر والدر للآمدی ۱۱۷/۷ ـ ۱۰۵.

۷ ـ المصدر ۱٤٦/۷.

من قام بشرائط العبودية اهّل للعتق [١].

العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل، جمال العالم عمله بعلمه [٢].

الصمت روضة الفكر، طوبى لمن صمت الآمن ذكر الله، قد افلح التقي الصموت، كن صموتا من غير عيّ فان الصمت زينة العالم وستر الجاهل [٣].

الصمت بغير تفكر خرس [٤].

افضل الجهاد جهاد النفس عن الهوى وفطامها عن لذات الدنيا، جهاد النفس مهر الجنة، حاربوا هذه القلوب فانها سريعة العثار، ذروة الغايات لاينالها الا ذووا لتهذيب والمجاهدات، من عرف نفسه جاهدها [٥].

البطنة تحجب الفطنة، اذا ملئ البطن من المباح عمي القلب عن الصلاح، كيف تصفو فكرة من يستديم الشبع، لافطنة مع بطنة، لايجتمع الشبع والقيام بالمفترض [٦].

التجوع انفع الدواء، تأدم بالجوع وتادب بالخضوع، نعم العون على اسر النفس وكسر عادتها التجوع، نعم عون الورع التجوع [٧].

عين المحب عمية عن معايب المحبوب واذنه صماء [٨].

من نسي الله انساه الله نفسه واعمى قلبه [٩].

افضل الذكر القرآن به تشرح الصدور وتستنير السرائر، ليكن سميرك القرآن [١٠].

الأمل سلطان الشياطين على قلوب الغافلين [١١]

المؤمن نفسه اصلب من الصلد وهواذل من العبد [١٢].

البكاء من خيفة الله للبعد عن الله عبادة العارفين، البكاء من خشية الله ينير

١ـ الغرر والدرر للآمدي

٢ـ المصدر ٧/ ٢٨٠.

٣ـ المصدر ٧/ ٦ ـ ٢٠٥.

٤ـ المصدر ٧/٣١٣.

٥ـ المصدر

٦ـ المصدر ٧/٣٧ ـ ٣٦.

٧ـ المصدر ٧/ ٥٠ ـ ٤٩.

٨ـ المصدر ٧/٥٧.

٩ـ المصدر ٧/ ٣٨٠.

١٠ـ المصدر ٧/٣٢٢ ـ ٣٢٠.

١١ـ المصدر ٧/٢١.

١٢ـ المصدر ٧/٢٦.

القلب و یعصم من معاودة الذنب[۱].

الحازم یقظان، الغافل وَسْنان، انما الحزم طاعة الله ومعصیة النفس[۲].

من طال حزنه علی نفسه فی الدنیا اقرالله عینه یوم القیامة[۳].

ثمرة المحاسبة صلاح النفس[۴]

القلب مصحف الفکر، انتباه العیون لا ینفع مع غفلة القلوب، اصل صلاح القلب اشتغاله بذکر الله، تکاد ضمائر القلوب تطلع علی سرائر الغیوب، صوم القلب خیر من صیام اللسان وصیام اللسان خیر من صیام البطن، فالصورة صورة انسان والقلب قلب حیوان، قلوب العباد الطاهرة مواضع نظر الله سبحانه فمن طهر قلبه نظر الیه، لا یصدر عن القلب السلیم الا المعنی المستقیم[۵].

رضاء المرء عن نفسه برهان سخافة عقله، رضا العبد عن نفسه مقرون بسخط ربه[۶].

ازهد فی الدنیا یبصرک الله عیوبها ولا تغفل فلست بمغفول عنک، ان عقلت امرک اواصبت معرفة نفسک فاعرض عن الدنیا وازهد فیها، بالزهد تثمر الحکمة، سبب صلاح النفس العزوف عن الدنیا، من زهد فی الدنیا اعتق نفسه وارضی ربه[۷].

شر الفقر فقر النفس[۸].

اعجاب المرء بنفسه حمق، اعجاب المرء بنفسه برهان نقصه وعنوان ضعف عقله[۹].

العقل رقی الی علیین، بالعقل کمال النفس، بالعقل یستخرج غور الحکمة، بالعقول تنال ذروة العلوم، حد العقل الانفصال عن الفانی والاتصال بالباقی، خیر المواهب العقل، لا یزکو عند الله سبحانه الا عقل عارف ونفس عزوف، من عقل تیقّظ من غفلته وتأهب لرحلته وعمر دار اقامته[۱۰].

الخوف جلباب العارفین، الخوف سجن النفس عن الذنوب ورادعها

۱- الغرر والدرر للآمدی ۷/۳۷.
۲- المصدر ۷/٦٤.
۳- المصدر ۷/٦٥.
٤- المصدر ۷/٦٦.
٥- المصدر ۷/ ۳۲٦ - ۳۲٥.
٦- المصدر ۷/۱۳۹.
۷- المصدر ۷/۳۱۲.
۸- المصدر ۷/۲۳۲.
۹- المصدر ۷/۱٥۱ - ۱٥۰.
۱۰- المصدر ۷/۲٦۳ - ۲٥٦.

عن المعاصی[١] .

السجود النفسانی فراغ القلب من الفانیات[٢].

صلاح السرائر برهان صحة البصائر[٣].

من عرف قدر نفسه لم یهنها بالفانیات[٤].

النفس الکریمة لا توثر فیها النکبات، من کرمت نفسه صغرت الدنیا فی عینه[٥]

نزّهوا انفسکم عن دنس اللذات وتبعات الشهوات، ولوع النفس باللذات یغوی ویردی[٦].

المکور شیطان فی صورة انسان[٧].

سیاسة النفس افضل سیاسة ورياسة العلم اشرف ریاسة، صوم النفس امساک الحواس الخمس عن سائر الماثم، کلما ازداد علم الرجل زادت عنایته بنفسه وبذل فی ریاضتها وصلاحها جهدة لیس علی وجه الارض اکرم علی الله سبحانه من النفس المطیعة لامره، إن النفس لجوهرة ثمینة من صانها رفعها ومن ابتدلها وضعها، ان الحازم من قید نفسه بالمحاسبة وملکها بالمغاضبة وقتلها بالمجاهدة، خیرالامراء من کان علی نفسه امیرا، ینبغی ان یکون الرجل مهیمنا علی نفسه مراقبا حافظا لسانه[٨].

التوحید حیاة النفس[٩].

سوسوا انفسکم بالورع[١٠].

المواعظ صقال النفوس وجلاء القلوب[١١].

اجعل لنفسک فیما بینک وبین الله سبحانه افضل المواقیت والاقسام[١٢].

---

١ ـ الغرر والدرر للآمدی ٧/٩٧.

٢ ـ المصدر ٧/١٥٤.

٣ ـ المصدر ٧/١٥٨.

٤ ـ المصدر ٧/٣١٩.

٥ ـ المصدر ٧/٣٤٦.

٦ ـ المصدر ٧/٣٥٨.

٧ ـ المصدر ٧/٣٦٥.

٨ ـ المصدر ٧/٣٩٣-٣٨٩.

٩ ـ المصدر ٧/٤٠١.

١٠ ـ المصدر ٧/٤٠٣.

١١ ـ المصدر ٧/٤٠٧.

١٢ ـ المصدر ٧/٤١١.

حرام على كل قلب متوله بالدنيا ان يسكنه التقوى، خلو القلب من التقوى يملأه من فتن الدنيا، ملاک التقوى رفض الدنيا [١].
لاتجعلن لنفسک توکلا الا على الله ولايكن لک رجاء الا الله [٢] .

والمتحصل من هذه النصوص النورية هو: أنّ النفس الانسانية جوهر مجرد ذاتا عن المادة. وأنّ لها الرقى الى ذروة الملكوت وشهود الغيب... وأنّ الفكر الصافى الذى هو من شئون قوتها النظرية جلائها. وأنّ الاخلاص والتقوى والزهد وما الى ذلک من الملكات الفاضلة التى هى من شئون قوتها العملية صقالها وصفائها... وأنّ توحيد الله ذاتا وصفة وفعلا حياتها وأنّ ذكر الله آناء الليل و اطراف النهار وكذا عند اقبال الليل وادبار النهار وعند طلوع الكواكب وادبار النجوم نورها وسبب طمأ نينتها... و أنّ التحقيق فى المعارف والاصول والتحرز عن التقليد والجمود سنة فاضلة لاافضل منها ولاينفع اجتهاد ومكابدة بدونها. وأنّ معرفة النفس انفع المعارف وشرط لمؤنة غيرها... وأنّ الشريعة السمحة السهلة باوامرها ونواهيها و بعزائمها ورخصها وبفرائضها ونوافلها وبحلالها وحرامها وبآدابها وسننها وبحدودها وثغورها وبعباداتها ومعاملاتها واحكامها وسياساتها وباصولها وفروعها... كلها جميعا رياضة للنفس،ومالها من رياضة بلاحاجة الى بدعة ولافاقة الى ابتداع ولااحتياج الى تشريع لان الله الذى جعل شريعته رياضة للنفس صرح بكمالها وتمامها، حيث قال تعالى:

اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا [٣].

١ـ الغرر والدرر للآمدى ٧/٤١٦-٤١٥.
٢- المصدر ٧/٤١٩.
٣ـ المائدة /٣.

قال سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائى (قده): لقد سمعت بعض مشايخى وقد سئل عن طريق معرفة النفس لِمَ لَمْ يبين شرعا وهو اقرب الطرق الى الله سبحانه، فقال ـ مدظله ـ: وایّ بيان فى الشرع لايروم هذا المقصد ولايشرح هذا الطريق[1].

وقال (قده) ايضا: «ونعم ماقال بعض اهل الكمال ان الميل من متابعة الشرع الى الرياضات الشاقة فرار من الاشق الى الاسهل فان اتباع الشرع قتل مستمر للنفس دائمى مادامت موجودة والرياضة الشاقة قتل دفعى وهو اسهل ايثارا»[2].

وانَّ تطليقة الدنيا وهى مايشغل النفس عن لقاءالله مهر الجنة وثمن لقائه تعالى، وأنَّ الصمت والجوع والسهر والذكر والخلوة المندوب اليها فى الشرع معدات للنفس، لان يدفع الرين اويرفعه لتصير مرآة صافية يتجلى فيها الغيب وان جهادها والظفر عليها وتملك زمامها والتأمر عليها واسرها تحت قيد العقل الذى به يعبد الرحمن ويكتسب الجنان، هوالفوز الاكبر وأنَّ الغفلة عن الله والإعراض عن ذكره سبحانه حجاب يمنع عن مشاهدة الحق واسمائه الحسنى وأنَّ للقلب المتذكر بصرا وسمعا وذوقا يبصر ويسمع ويذوق بذلك ماهو الغائب عن الحواس. وأنَّ للقلب الساهى حواس خيالية يستخدمها الشيطان ويتصرف فيها ويدرك او يحرك بها. كما قال اميرالمومنين (ع):

اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ فى صدورهم ودب ودرج فى حجورهم فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم[3].

والى بعض ماتقدم قداشار مولينا الرضا (ع):

---

١ ـ رسالة الولاية، الفصل الرابع.

٢ ـ رسالة الولاية، الفصل الرابع.

٣ ـ نهج البلاغة، الخطبة ٧.

ان للقلوب اقبالا وادبارا ونشاطا وفتورا فاذا اقبلت بصرت و فهمت واذا ادبرت کلت وملت، فخذوها عند اقبالها ونشاطها و اترکوها عند ادبارها وفتورها[۱].

وأنّ للقلب التطلع علی الغیب وما استتر فی ضمیر الغیر کما قال مولینا الرضا(ع) لحسن بن الجهم لما قال له (ع)لا تنسنی من الدعاء قال(ع):

اوتعلم انی انساک؟ قال فتفکرت فی نفسی وقلت هو یدعو لشیعته وانا من شیعته. قلت: لا. لا تنسانی. قال(ع): وکیف علمت ذلک؟ قلت: انی من شیعتک وانک لتدعوهم فقال (ع) هل علمت بشیئ غیرهذا؟ قال: قلت:لا، قال(ع): اذا اردت ان تعلم مالک عندی فانظر الی مالی عندک[۲].

وأنّ الانعتاق عن رقّیة الدنیا والتحرر عن زیّ عبودیتها انما یتحصل بالعبادة لله. وأنّ افضل انحاء العبادة مایکون حبالله لاخوفا من النار ولاطمعا فی الجنة. وأنّ حب الله کالشمس المضیئة وحب الدنیا کالليل المظلمة لایجتمعان اصلا.

وأنّ الهوی مانع عن الالتذاذ بالعبادة وحاجب عن الا تعاظ بالموعظة الحسنة.

وأنّ الذی قال ربی الله ثم استقام علی التوحید الربوبی تتنزل علیه الملائکه وتبشره اما بالتمثل الملکی اوبالقاء الفکر فی نفسه، وان الشیاطین انما تتنزل علی کل افّاک اثیم اما بالتمثل الشیطانی او بالقاء الفکر الحصولی فی ذهنه. ویجمع کل ذلک قوله تعالی:

...وان الشیاطین لیوحون الی اولیائهم لیجادلوکم[۳].

۱ـ مسندالامام الرضا(ع) ۳۰۳/۱. عن البحار ۳۵۳/۷۸.

۲ـ مسندالامام الرضا(ع) ۳۰۱/۱. ۳ـ الانعام/ ۱۲۱.

وآنّ الميزان المقسط الفارق بين الشهود القلبي الصحيح والتمثل الشيطاني بالباطل هوالقرآن العلمي والقرآن العيني، اعني الثقلين الذين لايفترقان في مورد اصلا ويدوران مدار الحق حيثمادار، بل الحق هوماحققاه والباطل هوما ابطلاه، وآنّ طريق وصول القلب الى الحق ومسير نزول الحق على القلب هوالعبادة والا ستغفار، كماهو المستفاد من قول مولينا الرضا (ع) لابن اسباط:

ائت المسجد في غيروقت صلاة فريضة فصل ركعتين واستخر الله مأة مرة ثم انظر اى شيئ يقع فى قلبك فاعمل به[1].

لان ظاهرة كلامه ان القلب الطاهر يتطلع على الغيب وهوالخير الذى سيقع بعد ذلك وان طريق عثوره هو الصلاة وطلب الخير من الله تعالى اذلايوجد الخير الامن عند الله كماقال مولينا السجاد (ع) فى دعاء السحر.

وآنّ العثور على الغيب تارة يتحصل فى النوم واخرى فى اليقظة، كما كان رسول الله (ص):

اذا اصبح قال لاصحابه «هل من مبشرات»؟ يعنى به الرؤيا[2].

وآنّ رؤيا غير المعصوم كيقظته بحاجة الى الميزان، لاحتمال الخطاء فى ذلك كله... وان رؤيا المعصوم (ع) كيقظته حق و قسط مصون عن تطرق الخطاء وتمثل الشيطان، كماقال مولينا الرضا (ع) للوشاء:

رايت ابى(ع) فى المنام قال(ع): يابنى اذاكنت فى شدة فاكثر ان تقول يارؤف يارحيم، والذى نراه فى المنام كمانراه فى اليقظة[3].

١ـ مسند الامام الرضا (ع) ٣١٤/٢ و ١٨٠، عن التهذيب ٣١١/٣.

٢ـ الكافى ٩٠/٨.

٣ـ مسند الامام الرضا(ع) ٦٦/٢.

وکما قال ایضا مولینا الرضا(ع) لحسن بن علی:

ان ابی کان عندی البارحة. قال قلت: ابوک؟ قال(ع): ابی. قلت ابوک؟ قال(ع):ابی.قلت: ابوک؟ قال(ع):فی المنام ان جعفرا کان یجیئ الی ابی فیقول یابنی افعل کذا یابنی افعل کذا. قال فد خلت علیه بعد ذلک قال(ع) یا حسن ان منامنا ویقظتنا واحدة[1].

وآنَّ الاخرة غیب عن الحس والطبیعة لایشاهدها الاالذی تنزه عن الدنیا واخرج حبها من قلبه وطهره من درنها وقدسه عن رینها، کما و ان النائل بالجنة والواصل الیها لایکون الامن لایرید علوا فی الارض ولافسادا. وآنَّ طلب الجمع بین الدنیا والاخرة من خداع النفس وآنَّ شهودها لایتیسر الالمن تتزودها علما بتحصیل الیقین وعملا بتحصیل التقوی الذین هما الزادان للمعاد... وآنَّ العدوان علی العباد بئس الزاد له. فلذا کان امیرالمومنین(ع) ینادی بقوله:

الا متزود لاخره قبل ازوف رحلته[2].

مشیراً إلی دنو القیامة وضیق وقتها، ولذا یقال لها الآزفة، کما نقرئه فی قوله تعالی:

ازفت الآزفة[3].

کما ویعبر عنها بالساعة ایضا اذ من الطبیعی ان المسافر الذی ینزل فی طریقه و مسیره لیتروح لحظات لوعلم اقتراب الترحال وضیق وقته استعدلها بکل جد... ولعلّه لذلک قال سبحانه:

اتی امرالله[4].

---

۱ ـ مسندالامام الرضا(ع) ۱/۱۵۸.

۲ ـ الغرروالدرر للآمدی ۴/۷.

۳ ـ النجم /۵۷.

۴ ـ النحل /۱.

حيث عبرعن القيامة بلفظة الماضى لقربها وضيق وقتها، كما افاده الراغب فى مفرداته... وانّ شهود المعارف الالهية لااختصاص له بالانبياء(ع) الّافيما يرجع الى التشريع. اذلكل ممن آمن بماجاء به النبى(ص) وعمل به واتقى واخلص لله ينكشف له الحقائق على قدر ايمانه وانشراح صدره. نأخذ مثالا: حارثة بن مالک، حيث قال رسول الله(ص) فى حقه: «عبد نورالله قلبه». وكما ان الانسان اذامات بالموتة الطبيعية يتجلى له غيرواحد من الحقايق، كذلک اذامات بالموتة الارادية وامات ذكر الدنيا عن قلبه واحيى عقله وامات نفسه و احيى قلبه بالعظة وامات هواه المردى و نفسه المسولة بالزهادة واسمع دعوة الموت... اذن قلبه قبل ان يدعى به وكان بالنسبة الى الموت كقارب ورد وطالب وجد، وذلل نفسه بذكرى الموت... يجعل الله سبحانه له فرقانا يفرق به بين الحق والباطل، وبين الجنة والنار، وبين الولى والعدو. ويتمثل له ذلک تمثل عيان لايقتدرعلى شرحه البيان و ذلک فضل الله يؤتيه من يشاء. ومثل هذا العبد الصالح المتاسى بالعترة الطاهرة فى سيرته هوالحرى المؤهل لأن يكون مصداقا لصالحى مواليه، على حد تعبير امامنا الرضا(ع) بقوله:

من لم يقدرعلى صلتنا فليصل على صالحى موالينا يكتب له ثواب صلتنا ومن لم يقدرعلى زيارتنا فليزر صالحى موالينا يكتب له ثواب زيارتنا [١].

وانّ للمعارف الالهية اسراراً محجوبة تحت حجاب الظواهر لاينالها الّا الذى ارتاض بالشريعة الغرّاء بلانقص ولازيادة وحفظ ظواهرها و جعلها قنطرة اليها وممرّاً لها، فانه يصل اليها بما هو الميسورله. لان الانبياء(ع) وكذلک العترة الطاهرة(ع) يكلّمون الناس على قدرعقولهم،وليس المعنى انهم(ع) يقتصرون

---

١ ـ مسندالامام الرضا(ع) ٢/٢٥٤، عن كامل الزيارات ٣١٩.

فی بیان تلک المعارف بقدرخاص ویزهدون فی النصح بل بمعنی انهم یبیّنون جمیع مایقرّب العباد الی الله وإلی الجنة ویأمرونهم بها، کماو یبیّنون جمیع مایبعدّهم عن الله ویقرّبهم الی النار و ینهونهم عنها.

فالمراد کما افاده سیدنّا الاستاد العلامة الطباطبائی(قده)[1]. هوأنّ هناک اموراً لایبلغها فهم السامعین من الناس حیث قال (ره)... التعبیر ناظر الی الکیف دون الکم فیدل علی انّ هذه المعارف حقیقتها التی هی علیها وراء هذه العقول التی تسیر فی المعارف بالبرهان والجدل والخطابة... ومن هنایظهر أنّ نحو ادراک هذه المعارف بحقائقها غیر نحو ادراک العقول وهو الادراک الفکری... ثم نقل (ره) الاحادیث الناطقة بان حدیثهم (ع) صعب مستصعب لایحتمله الاّملک مقرّب اونبی مرسل اوعبد مؤمن امتحن الله قلبه بالایمان وانّ الصعب هوالذی لم یرکب بعد وانّ المستصعب هوالذی یهرب منه اذا روی، وللمتتبّع ان یعثر علی المزید منه سیا برجوعه الی «بصائر الدرجات» ولنأت فیا یلی بنموذج له:

روی ابوالصلت الهروی قال، قال المأمون یوماً للرضا(ع):

یا اباالحسن أخبرنی عن جدّک امیرالمؤمنین(ع) بایّ وجه هوقسیم الجنّة والنار وبایّ معنی فقد کثر فکری فی ذلک؟فقال له الرضا (ع):یا امیرالمؤمنین ألم تروعن ابیک عن آبائه عن عبدالله بن العباس انه قال سمعت رسول الله(ص) یقول: حبّ علیّ ایمان وبغضه کفر؟ فقال: بلی، فقال الرضا(ع): فقسمة الجنة والنار اذا کانت علی حبه وبغضه فهوقسیم الجنة والنار. فقال المامون:لاابقانی الله بعدک یا اباالحسن. اشهد انک وارث علم رسول الله(ص). فقال ابوالصلت الهروی: فلما انصرف الرضا(ع) الی منزله اتیته فقلت له:یابن رسول الله(ص) ما احسن ما احببت به امیرالمؤمنین. فقال

۱ـ الفصل الاول من رسالة الولایة.

الرضا(ع): يا اباالصلت انما كلمته من حيث هوولقد سمعت ابى يحدث عن آبائه عن على(ع) انه قال رسول الله(ص): يا على انت قسيم الجنة يوم القيامة تقول للنار هذا لى وهذالک[1].

لظهوره فى ان الكلام الواحد وهو كلمة الرسول الاعظم (ص) لعلى(ع): «انت قسيم الجنة والنار» يبين لكل شخص على حسب استعداده. فالكلام واحد والافهام شتى، لان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة. فكل من اخلد الى الارض واتبع هواه فانه محجوب عن نيل البغية، وكل من تجافى عن دار الغرور واناب الى دار الخلود واستعد للموت قبل حلوله ورآه بعين يقينه فرآه قريبا دون ان يراه بعين أمله حتى يراه بعيدا، فهو الذى يشهد الملكوت ويرى المَلک النازل عليه يسدوه ويؤيده ويبشره بالأمن من الخوف ولايكذب فؤاده مارأى ولايزيغ بصره ولايطغى كل ذلک بماهو ميسر له.

حيث ان الله سبحانه:

يرفع الذين آمنوا والذين اوتواالعلم من المؤمنين درجات.

فلايتيسر لكل احد ان يشاهد مايشاهده ذلک الاخر الذى هومظهر الرفعة. كما انه ليس لاحد ان يشاهد ماشاهده النبى(ص) فيما اوحى اليه مااوحى، ولكن لكل من طهر قلبه من ارجاس الرذايل كما اوصى بذلک مولينا اميرالمومنين(ع) فى قوله(ع):

طهروا قلوبكم من الحسد فانه مكمد مضنى[2].

و:

طهروا قلوبكم من الحقد فانه داء....[3]

١ـ عيون الاخبار ٨٦/٢.

٢و٣ـ الغررو الدرر للآمدى ٧٣/٧ و ٦٨.

وخلاه عن الادناس وحلاه بالفضائل... فان له ان يشاهد الغيب ويراه شهودا مصونا عن الخطاء، رؤية طاهرة عن الختل. وكل من لم يحصل له هذا النصاب فان شهوده مشوب بالتمثل النفسانى ورؤيته ممتزجة بالتمثل الشيطانى والمائز هوالثقلان اللذان لايحوم حومهما هاجس نفسانى ولاوسواس شيطانى لان سمائهما ملآنة بالحرس الشديد والشهب الثاقبة، فاىّ شيطان رام الاستماع والإستراق فانه يجدله شهابا رصدا. فاىّ تمثل لايوازيهما فهومدسوس واىّ شهود لايطابقهما فانه موضوع وحاشاهما ان لايصححا شهودا هوحصيل التقوى ولايمضيا كشفاهو وليد الهدى ولايصوبا الهاما هوثمر الجهاد فى الله حق جهاده. لأنهما هما اللذان وعدا السالكين بالشهود والسائرين بالكشف والمجاهدين بالالهام. فهما اولى بانجازما وعداه، واحق بتحقيق مابشرا به واحرى بتصديق ما اخبرا به.

ولعل الى بعض مامر من معنى الرؤية وان لنصوص اهل البيت(ع) كالقرآن اسرارًا محجوبة عن افهام الاوساط من الناس وان جهادالنفس نعم العون على كشفها وان طلاق الدنيا مهر شهودها... اشار شيخ مشايخنا الامامية محمدبن على بن بابويه القمى (قده) فى كتابه القيّم المدون فى التوحيد ونفى التشبيه والجبر، باب ماجاء فى الرؤية، حيث قال(ره):

«والأخبارالتى رويت فى هذا المعنى واخرجها مشايخنا -رضى الله عنهم- فى مصنفاتهم عندى صحيحة. وانما تركت ايرادها فى هذاالباب خشية ان يقرأها جاهل بمعانيها فيكذب بها فيكفر بالله عزوجل وهولايعلم، والاخبار التى ذكرها احمدبن محمدبن عيسى فى نوادره والتى اوردها محمدبن احمدبن يحيى فى جامعه فى معنى الروية صحيحة،لايردها الا مكذّب بالحق اوجاهل به والفاظها الفاظ القرآن ولكل خبر منها معنى ينفى التشبيه والتعطيل ويثبت التوحيد،وقد امرنا

الائمة ـ صلوات الله عليهم اجمعين ـ ان لانكلم الناس الا على قدر عقولهم ومعنى الرؤية الواردة فى الاخبار العلم وذلک ان الدنيا دارشکوک وارتياب وخطرات فاذا كان يوم القيمة كشف للعباد من ايات الله واموره فى ثوابه وعقابه مايزول به الشکوک ويعلم حقيقة قدرة الله عزوجلّ و تصديق ذلک فى كتاب الله عزوجل:

ولقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنک غطائک فبصرک اليوم حديد.[۱]

فمعنى ماروى فى الحديث انه يُرى اى يعلم علما يقينا. كقوله عزوجل:

الم ترالى ربک كيف مدالظل.[۲]

وقوله تعالى:

الم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه.[۳]

وقوله تعالى:

الم ترالى الذين خرجوا منهم ديارهم وهم الوف حذرالموت.[۴]

وقوله تعالى:

الم تركيف فعل ربک باصحاب الفيل.[۵]

واشباه ذلک من رؤية القلب وليست من رؤية العين واما قول الله عزوجل:

فلما تجلى ربه للجبل.[۶]

۱ـ ق/۲۲.
۲ـ الفرقان/٤٤.
۳ـ البقرة/۲٥۷.
٤ـ البقرة/۲٤۲.
٥ـ الفيل/۱.
٦ـ الاعراف/۱٤۲.

فمعناه: لماظهر عزوجل بآية من آيات الاخرة التى يكون بها الجبال سرابا والتى ينسف بها الجبال نسفاً تدكدك الجبل فصار ترابا لانه لم يطق حمل تلك الاية. وقد قيل انه بدا له من نور العرش[1].

والمستفاد من كلامه (قده) هو ان الرؤية فى تلك النصوص المعتبرة ليست هى رؤية العين الحاسة المادّية، لنزاهة المرئى من المادة ولوازمها، كما و انها ليست هى العلم الحصولى الذهنى، لانه مشوب بالشكوك والخطرات، حيث انه من وراء حجاب المفهوم وغيم المعنى الذهنى، بل المراد هى الرؤية القلبية المنزّهة عن اىّ حجاب حاجب، المبرأة عن اىّ تشكيك، المصونة عن اىّ ارتياب، المعصومة عن اى خطر. ثم قال (ره): ولو اوردت الاخبار التى رويت فى معنى الرؤية لطال الكتاب بذكرها وشرحها واثبات صحتها، ومن وفقه الله ـتعالى ذكره ـ للرشاد آمن بجميع مايرد عن الائمة (ع) بالاسانيد الصحيحة وسلم لهم و رد الأمر فيما اشتبه عليه اليهم اذكان قولهم قول الله ـعزوجل ـ وامرهم امره، وهم اقرب الخلق الى الله عزوجل واعلمهم به ـصلوات الله عليهم اجمعين[2].

وانت ـايها القارئ الكريم ـ بعد التأمل فيما قدمنا من استحالة تعلق الرؤية الحسية بالله سبحانه مطلقا ومن امتناع العلم الحقيقى به سبحانه من وراء حجاب المفهوم اوغمام الصورة الذهنية وما الى ذلک اذليس شيئ من ذلک شبيها به تعالى ولا مثيلا له سبحانه حتى يحكيه ويطابق عليه كماهو المعتبر فى العلم الحصولى ولايمكن نيل ذاته بهذا العلم الذهنى والّايلزم انقلاب الذهن

---

١ ـ التوحيد، ص١٢٠ ـ ١١٩.

٢ ـ التوحيد، ص ١٢٢.

خارجا او الخارج ذهنا والكل ممتنع، فلا يتمكن من العلم الحقيق به تعالى من وراء حجاب الاستدلال وسحابة القياس الحصولى... وهكذا بعد التنبه بما مر من استحالة احاطة العلم الشهودى به سبحانه مع امكان اصله بل ضرورته...

تعرف حقيقة المراد من كلام مولينا الرضا (ع) حين قال له (ع) ذوالرياستين:

جعلت فداك اخبرنى عما اختلف فيه الناس من الرؤية... **فقال بعضهم يرى وقال بعضهم لايرى. فقال(ع): يا اباالعباس من وصف الله بخلاف ماوصف به نفسه فقد اعظم الفرية على الله. قال الله تعالى: «لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير» هذه الابصار ليست هى الاعين انما هى الابصار التى فى القلب لايقع عليه الاوهام ولايدرك كيف هو**[1].

اذ المراد من الرؤية المنفيّة هنا هى الرؤية الحسيه والوهميه دون الشهودية القلبية وان عبرفى بيانه (ع) بالابصار التى فى القلب.

ويؤيد ذلك ماروا‌ه محمد بن الفضيل قال سألت اباالحسن (ع):

هل رأى رسول الله ربه عزوجل؟ فقال: نعم، بقلبه **رآه اما سمعت الله عزوجل يقول ماكذب الفؤاد مارأى، اى لم يره بالبصر، ولكن رآه بالفواد**[2].

وهذا لاينافى مع ماروى عنهم (ع) من تفسير رؤية الفؤاد برؤية نورالعظمة تارة و رؤية الايات تارة اخرى بعد ما اسلفنا من انهم (ع) كانوا يكلمون الرواة والسائلين على قدر عقولهم (مضافا) الى ان نورالعظمة انما هو نورالذات، لان

١ـ مسندالامام الرضا(ع) ١/٣٣٢. عن تفسير العياشى ١/٣٧٢.

٢ـ التوحيد، ص ١٢٢.

العظمة من شؤن القدرة التى هى عين الذات.

ومما يصحّح الرؤية القلبية بالمقدار الميسور هو ما رواه ابوبصير عن ابى عبدالله (ع) قال: قلت له:

اخبرنى عن الله عزوجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة. فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم الست بربكم، قالوا بلى، ثم سكت ساعة. ثم قال: وان المؤمنين ليرونه فى الدنيا قبل يوم القيامة الست تراه فى وقتك هذا؟ قال ابو بصير: فقلت له: جعلت فداك فاحدث بهذا عنك؟ فقال لا، فانك اذا حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ماتقوله ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالروية بالعين تعالى الله عمايصفه المشبهون والملحدون[1].

و بالجملة إن القلب لتجرده عن المادة صالح لشهود الملكوت لولا ان يحوم الشيطان حومه فاذا حام حومه اعماه واصمه و اخرسه، لأنه قرين سوء مأمورمن القهر الالهى لان يسدى الغطاء على عين قلب كل متكبر جبار لا يؤمن بيوم الحساب، حيث ان الذى يتعامى عن شهود الايات المبصرة التى لاحجاب عليها، ويتعاشى عن رؤية البينات التى لاسترة لها، وكذا يتصنع الصمّ والخرس، يخرج بسوء اختياره عن الاسماء الجمالية، ويحرم منها ويدخل تحت الاسماء الجلالية الحاكمة على من اشترى الضلالة بالهدى، فيصير مقرونا بوليه المضل له وهوالشيطان، كما قال سبحانه:

ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهوله قرين[2].

فيزيده العمى والعشا باجتراح الذنوب. اذ العصيان موجب للعمى والاصرار عليه موجب لزيادته.

١ـ التوحيد ص ١١٧.

٢ ـ الزخرف /٣٦.

وقد ذكر مولينا الرضا (ع) بعض مصاديق الذنوب الموجبة للعمى فى قوله (ع) جوابا عن سؤال محمدبن الفضيل، سئله عن قول الله تعالى:

ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا، فقال (ع): ذاک الذى يسوف الحج، يعنى حجة الاسلام، يقول العام احج العام احج حتى يجيئه الموت [1].

وقد تقدم منه (ع) تطبيق ذلک على من كان اعمى عن الحقائق الموجودة.

فالمستفاد من ذلک كله هو ان اىّ عمل لايرضاه الله ورسوله فهو موجب للعشاء لانه مصداق تعاش عمدى و تعام قهرى عن ذكرالله فلا خصيصة لتسويف الحج، بل المدار هوالتعاشى عن ذكر الله الذى يندرج تحته الاعتقاد والخلق النفسانى والعمل الجارحى. فلذا قديطلق الذكر على الصلاة، كمافى قوله تعالى:

واذانودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكرالله [2].

اذاً لصلاة بماهى عبادة خاصة مصداق لذكره تعالى وسبب لحفظه ولعله لذا قال تعالى لموسى عند ابتداء الوحى:

إنى أناربک فاخلع نعليک انک بالواد المقدس طوى، وانا اخترتک فاستمع لمايوحى، اننى اناالله لااله الا انا فاعبدونى واقم الصلاة لذكرى [3].

وقال تعالى:

قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى [4].

---

١ ـ مسندالامام (ع)، عن تفسير العياشى ٢/٣٠٥.

٢ ـ الجمعة /٩.

٣ ـ طه/ ١٤ ـ ١٢.

٤ ـ الأعلى /١٥.

وحیث انهم(ع) کانوا یکلمون الناس علی مبلغ عقولهم و قلوبهم التی هی الاوعیة للعلوم والمعارف وخیرها اوعاها، نراهم(ع) (تارة) یتکلمون بامکان رؤیة الله سبحانه قلبیا (واخری) یصارحون بأن الرؤیة إنما هی تتعلق بالثواب، لیس الا... کما وان الحجاب ایضا قد یفسر بالنسبة الی الثواب. لذلک فقد قال مولینا الرضا(ع) فی قوله تعالی:

وجوه یومئذ ناضرة الی ربها ناظرة[1] : یعنی مشرقة تنظر ثواب ربها[2].

وقال (ع) فی قوله تعالی:

کلاانهم عن ربهم یومئذ لمحجوبون:ان الله تبارک وتعالی لایوصف بمکان یحل فیه فیحجب عنه فیه عباده ولکنه یعنی انهم عن ثواب ربهم لمحجوبون[3].

وقد مرمسبقا منهم(ع) انه لاحجاب اصلا بین الله سبحانه وبین خلقه الاّ الخلق نفسه ولیس وزان شهود الله بالقلب المنزه عن غیره هو وزان المجیٔ والذهاب ومالی ذلک مما یتصل بالانتقال او الانفعال. فلذا قال مولینا الرضا(ع): فی تفسیرقوله تعالی:

وجاء ربک والملک صفا صفا: ان الله تعالی لایوصف بالمجیٔ والذهاب تعالی عن الانتقال، انما یعنی بذلک: وجاء امر ربک والملک صفا صفا. وقال(ع) فی قوله تعالی: سخرالله منهم. وقوله تعالی: الله یستهزء بهم. وقوله تعالی: ومکروا ومکرالله، وقوله تعالی: یخادعون الله وهو خادعهم ـ قال ـ: ان الله تعالی لایسخر ولایستهزء ولایمکر ولایخادع، ولکنه تعالی یجازیهم جزاء السخریّة وجزاء الاستهزاء وجزاء المکر والخدیعة تعالی الله عما یقول الظالمون علوا کبیرا[4].

١ـ القیامة /٢٣ ـ ٢٢.

٢ـ عیون الأخبار ١/١١٥.

٣ـ التوحید ص ١٦٢.

٤ـ عیون الاخبار ١/١٢٦.

فايّ وصف يلازم التنقل اويصاحبه الانفعال فلابد وان ينتزع من فعل الحق سبحانه، لافارق فى ذلک بين الانفعال المادى، كما فى الحادث الزمانى وبين الانفعال الذّاتى، كما فى الحادث الذاتى المستوعب لجميع ماسواه تعالى، وذلک لان الانفعال انما يتحصل فى مورد الفقر الذاتى، اذالغنى المحض لايتأثر عن الغير اصلا، فلاانفعال، فلاشيئ من الغنى الصرف بمنفعل، فلاشيئ -اذًا- من المنفعل بغنى، وعليه فلابد وان يكون فقيرًا ليكون له حاجة الى غيره وينفعل عن ذلک الغير -بطبيعته-....

الفهرس